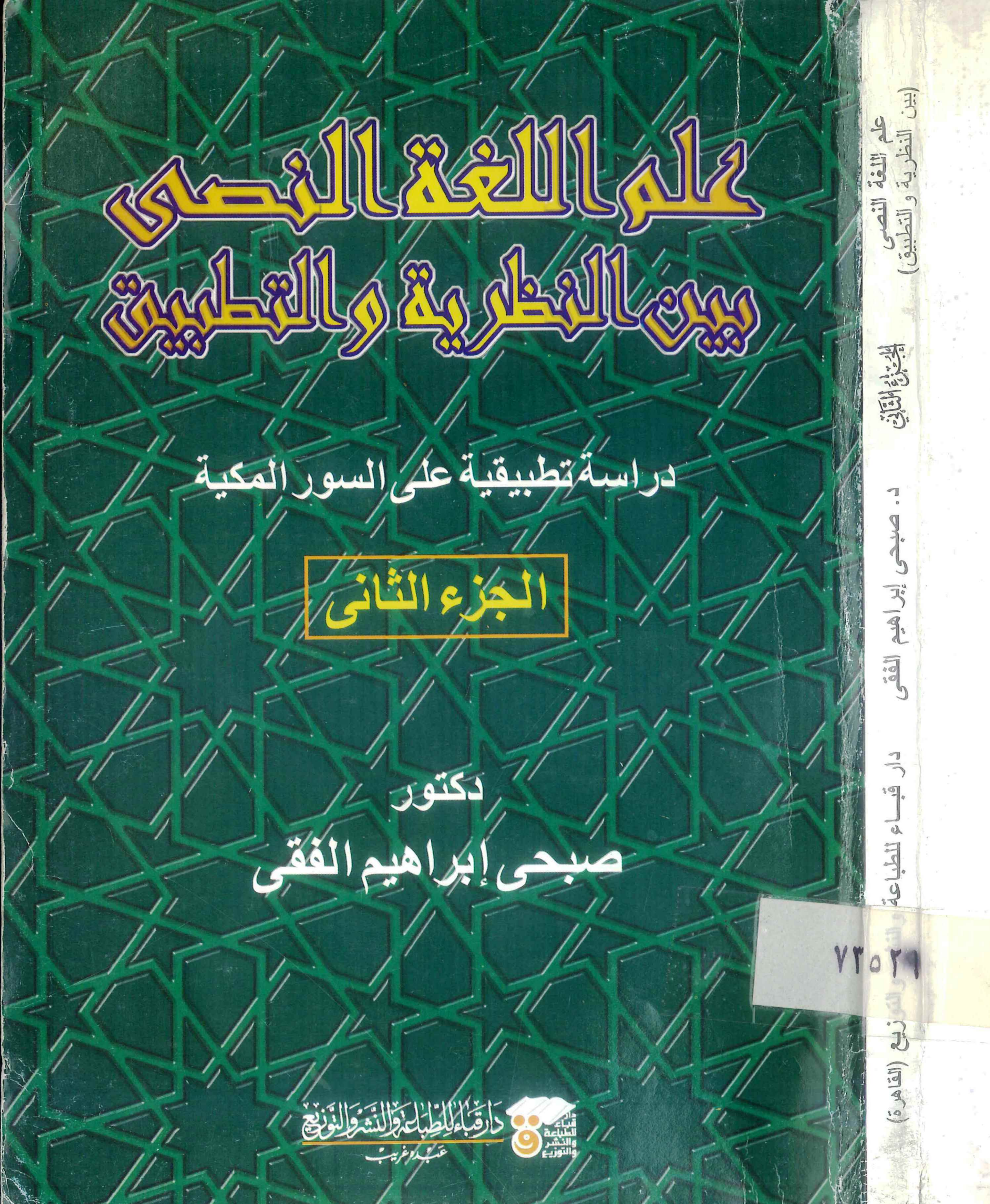


علم اللغة النصى (بين النظرية والتطبيق) الجزء الثانى د. صبحى إبراهيم الفقى دار قبـاء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)

هذا الكتاب

أَوَقَفَ التحليل النصى عند مرجعية الضمائر، والتوابع، أم توجد هناك وسائل أخرى فى ذلك التحليل؟

وإذا كانت هناك وسائل أخرى فما موقف علماء العربية منها؟ وكذا موقف علماء النصية؟

وكيف يمكن تطبيق هذه الوسائل على نص القرآن الكريم، السور المكية بصفة خاصة؟

هذه الأسئلة يجيب عنها هذا الجزء من الكتاب إضافة إلى ما قدمه الجزء الأول من وسائل من الناحية النظرية والناحية التطبيقية.

أحمد غريب

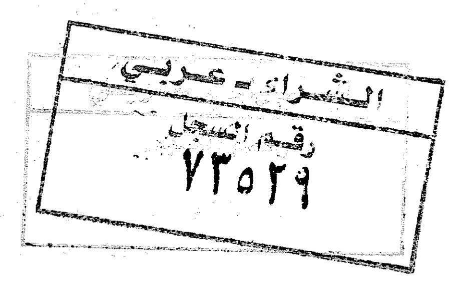
علم اللغة النصى

بين النظرية والتطبيق

علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق

دراسة تطبيقية على السور المكية

الجزء الثاني



دكتور

صبحي إبراهيم الفقي

مدرس العلوم اللغوية

كلية الآداب - جامعة طنطا

الناشـــر

دار قبـــاء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)

عبده غريب

الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

الكتـــــاب: علم اللغة النصى بين النظرية والتطبيق

المـؤلـــف : د. صبحى إبراهيم الفقى

رقـم الإيـداع : ٩٩/١٨٠٣١

الترقيـم الدولى : ISBN
977 – 303 – 324 - 8

تـاريخ النشر : ٢٠٠٠

الناشـر : **دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (عبده غريب)**
شركة مساهمة مصرية

الإدارة : ٥٨ شارع الحجاز - عمارة برج آمون - الدور الأول - شقة ٦
☎ ٢٤٦٢٥٦٢ - فاكس/ ٢٤٧٤٠٣٨

التوزيـــع : ١٠ شارع كامل صدقى الفجالة (القاهرة)
☎ ٥٩١٧٥٣٢ / ✉ ١٢٢ (الفجالة)

المطابـــع : مدينة العاشر من رمضان - المنطقة الصناعية (C1)
☎ ٠١٥/٣٦٢٧٢٧

رئيس مجلس الإدارة / **أحمد غريب**


بسم الله الرحمن الرحيم
﴿سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا
إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾
صدق الله العظيم



الإهداء

❁ إلى أستاذى الكريمين :

الأستاذ الدكتور/ عبده على الراجحى

والأستاذ الدكتور/ محمود سليمان ياقوت

❁ إلى نبع الحنان وفيض الحب ووافر العطاء بلا انتظار لمقابل، أمى الحبيبة

❁ إلى من عانت معى مخاض هذا البحث وميلاده، زوجتى

❁ إلى زهرتى حياتى محمد وإسراء



الفهـــرســـت

الفصل	المبحث	الموضوع	الصفحة
		المقـدمـة	١٣
الخامس		**التكـــــرار**	١٨٢-١٥
	الأول	المعنى اللغوى والاصطلاحى	١٨
	الثانى	أنواع التكرار	٢٠
	الثالث	أغراض التكرار ووظيفته	٢١
	الرابع	التحليل النصى للسور المكية	٢٤
السادس		**المناسبـــــة**	١٨٥-٨٣
	الأول	موجز تاريخى	٨٥
	الثانى	أنواع المناسبة	٩١
	الثالث	أهمية المناسبة وعلاقتها بالتماسك النصى	٩٧
	الرابع	التحليل النصى للسور المكية :	١٠٣
		٤ - أ المناسبة على مستوى السورة المفردة	١٠٥
		أ -١ مناسبة اسم السورة لمضمونها	١٠٥
		أ-١-١ التماسك بين اسم السورة وحدث مذكور فيها	١٠٨
		أ-١-٢ التماسك بين اسم السورة وقصة مذكورة فيها	١١٣
		أ-١-٣ التماسك بين اسم السورة والسورة كلها	١١٧

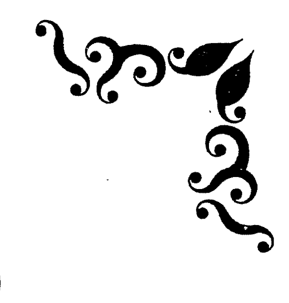
تابع الفهرست

تابع الفهرست

مُقَدِّمَة

لا شك أن الوسائل المتبعة لتحليل النص عامة، وتحقيق التماسك النصى خاصة، لا تقف عند حد مرجعية الضمائر، والتوابع بأنواعها، بل توجد وسائل أخرى كثيرة نخصص منها وظيفة التكرار، والمناسبة، والحذف.

والسؤال: كى يمكن تحليل النص تحليلاً نصيا معاصراً عبر هذه الوسائل؟ أكان للقدماء إسهامات حول هذه الوسائل نصيًّا؟ وما موقف علم النص منها؟ وهل ذكر علماء النص هذه الوسائل، أم لا؟ هذا موضوع الجزء الثانى الذى بين أيدى القارئ الكريم.



الفصل الخامس

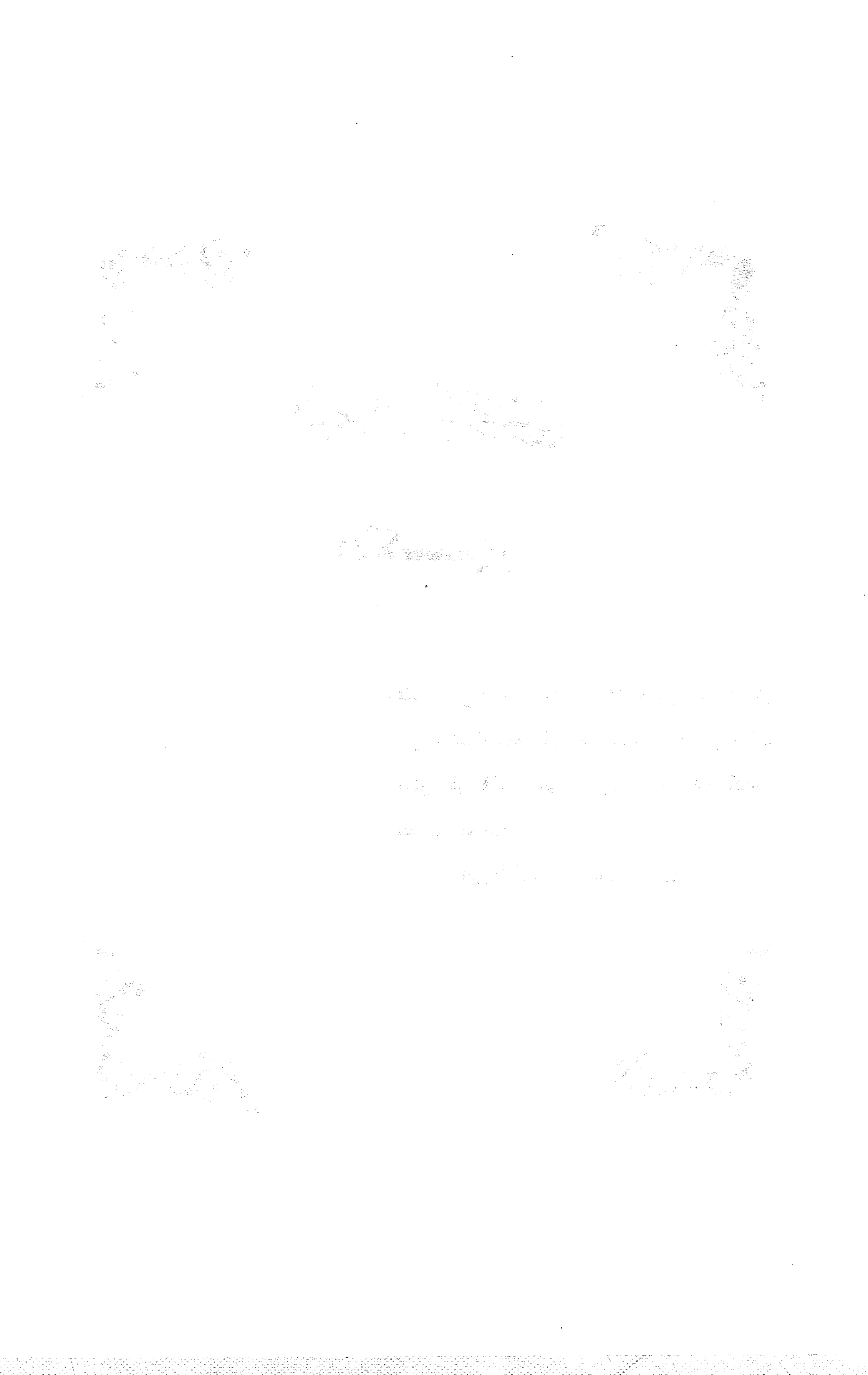
التكـــرار

اعلم أن فى القرآن مكرراً لا فائدة فى تكريره، فإن رأيت شيئاً منه تكرر من حيث الظاهر، فأنعم نظرك فيه فانظر على سوابقه ولواحقه لتتكشف لك الفائدة منه.

ابن الأثير: المثل السائر، ٣/٢٧







التكرار من الظواهر التى تتسم بها اللغات عامة، واللغة العربية خاصة. ولا يتحقق التكرار على مستوى واحد؛ بل على مستويات متعددة؛ مثل تكرار الحروف، والكلمات، والعبارات، والجمل، والفقرات، والقصص أو المواقف كما هو واقع فى القرآن الكريم.

وقد لاحظت، فيما قرأت من دراسات، أن كتب النحو والبلاغة فى ذخائر تراثنا العربى كانت مقصورة على عدة أمور منها بيان معنى التكرار، وأنواعه المتعددة، وأغراضه البلاغية، وذكر شواهد له.. إلخ من هذا النوع من القضايا المتعلقة بالتكرار. فلا نجد إسهامات توضح دور التكرار فى تحقيق التماسك بين عناصر النص المتباعدة، وهذا بالطبع نتيجة لكون دراستهم مقصورة على الجانب الجمالى أو البلاغى فى الغالب. هذا باستثناء بعض الإشارات التى أشار إليها البلاغيون(١).

والدراسات حول التكرار قديماً وحديثاً متعددة، ومع ذلك لم يُدرس التكرار فى ضوء علم اللغة النصى إلا قليلاً بصورة موجزة. هذا باستثناء الدراسات الغربية التى أسهمت كثيراً، وإن لم يكن مثل غيره من الوسائل، فى مناقشة علاقته بالتماسك النصى.

ومن هذا سوف تتجنب الدراسة القضايا التى كثر فيها الحديث لمحاولة دراسة العلاقة بين التكرار والتماسك النصى، وذلك بالتمهيد النظرى، ثم الدراسة التحليلية.

وهذا الفصل يجيب عن عدة أسئلة هى :

- أيوجد فى معنى التكرار اللغوى ما يوحى بدوره فى التماسك؟
- أهو نوع واحد أم له أنواع متعددة ؟
- أتقتصر فوائده على ما ذكره القدماء ؟

(١) انظر : د. جميل عبدالمجيد : البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص ٧٩ : ١٠٧

- الدراسة التحليلية لدوره في تحقيق التماسك فى السور المكية كيف ؟

استعراض المعنى اللغوى لمصطلح التكرار يبين أن معانى مادة (كرر) تدور حول عدة محاور يبينها ابن منظور، فيذكر أن "الكُرُّ: الرُّجُوعُ ... والْكَرُّ: مَصْدَرُ كَرَّ عَلَيْهِ يَكُرُّ كَرًّا وكُرُورًا وتَكْرَارًا: عَطَفَ ... وكَرَّرَ الشَّيْءَ وكَركَرَهُ: أعادَهُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى. وكَرَّرْتُ عَلَيْه الْحَدِيثَ ... رَدَّدْتَهُ عَلَيْه ... والْكَرُّ: الرُّجُوعُ عَلَى الشَّيْء، ومِنْه التكرار. والكَرَّةُ: الْبَعْث وتَجْدِيدُ الْخَلْقِ بَعْدَ الفَنَاء ... والْكُرُّ: الْحَبْلُ الْغَلِيظُ ... والكَرْكَرَةُ صوتٌ يردده الإنسان فى جوفه ... والكَرُّ: مَا ضَمَّ ظَلِفَتَي الرَّحْلِ وَجَمَعَ بَيْنَهُمَا ..."(١).

فمن معانيه: الرجوع. ويُلاحَظُ أن علاقة التكرار تشمل الإحالة القبلية أو السابقة بالرجوع لما سبق ذكره فى النص بتكراره مرة أخرى.

ومن معانيه كذلك: البعث وتجديد الخلق بعد الفناء. وكأنى به يريد القول بأن المتكلم - على سبيل المثال - يذكر عدة جمل متتالية، وبعد فترة من الحديث يكاد المستمع أن يصل إلى نسيان ما قيل فى أول الكلام، فنجد المتكلم يعود ليكرر بعض ما قاله أولاً ليذكر المستمع ويبعث الجملة ويجددها بعد أن كادت تنسى.

ومن معانيه أيضاً: ضم ظلفتى الرحل، وفى هذا تحقيق للتماسك بين هاتين الظلفتين، ومن ثم يبدو فيه معنى التماسك.

إذن هذا التعريف يحمل فى ثناياه بعضاً من معانى التماسك، منها المرجعية القبلية، والبعث والتجديد، والضم للشيئين المتباعدين ليتماسكا.

ويذكر الرضى كذلك معنى التكرار قائلاً: "التكرير ضم الشيء" إلى مثله فى اللفظ مع كونه إياه فى المعنى للتأكيد والتقرير ..."(٢). وفى هذا بيان

(١) أ - ابن منظور : لسان العرب، مادة " كرر"، ٤ / ٣٨٥١ - ٣٨٥٢ .
ب- وانظر معناه الاصطلاحى : تحرير التحبير لابن أبى الإصبع المصرى، ص ٣٧٥.
(٢) الرضى : شرح الكافية، ١/ ١٥.

لوظيفة من وظائف التكرار، وهى الضم، والضم يعنى ربط الشيء بما ضم إليه، وفى هذا الربط يتحقق التماسك بينهما.

وعرفه الزركشى بأنه الترديد والإعادة، وذكر أن من أسباب كونه من أساليب الفصاحة "تعلق بعضه ببعض"(١). وهذا التعلق من الأمور التى تحقق التماسك، مثل تعلق شبه الجملة بما يرتبط به.

وقد جعله ديفيد كريستال واحداً من عوامل التماسك النصى، وجعل له مصطلح "Repeated"، وذكر أنه "التعبير الذى يكرر فى الكل والجزء"(٢). وأضاف غيره مصطلحاً آخر هو "Recurrence"(٣).

واللافت للانتباه أن هاليدى ورقية حسن لم يجعلا التكرار من وسائل التماسك النصى، وهذا اتضح فى كتابين لهما: "الاتساق فى الإنجليزية" و"اللغة، السياق والنص"(٤). وقد سبق أن ذكرنا أن الكتاب الأول قام كله على هذه الوسائل الخمس.

ويذكر د. سعيد بحيرى أن "الإحالة التكرارية هى الإحالة بالعودة، وتتمثل فى Epanaphora، تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ فى بداية كل جملة من جمل النص قصد التأكيد ... والإحالة بالعودة أكثر أنواع الإحالة دوراناً فى الكلام"(٥).

---

(١) الزركشى : البرهان، ٣/٩.
(2) David Crystal, The Cambridge Encyclopedia of language, p. 119.
(3) R. de Beaugrande & w. Dressler, Introduction to text linguistics, p. 54.
(٤) اكتفى هاليدى ورقية حسن بذكر خمس وسائل فقط: المرجعية، الإبدال، الحذف، العطف، المعجم.
(٥) أ – د. سعيد بحيرى : من أشكال الربط، ص ١٥١ .
ب– انظر د. الأزهر الزناد : نسيج النص، ص ١١٩ .
ج– د. جميل عبد المجيد : البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص ٧٩

ويرى الباحث أن موضع الألفاظ المكررة ليس مقصوراً على بداية جمل النص، لكن قد يكون فى أول الجمل، وقد يكون فى ثنايا الجمل، وقد يكون فى آخرها. وهذا ما سوف نؤكده فى النماذج التحليلية فيما بعد٠

وكذلك ليس التكرار مقصوراً على عدد من الألفاظ فى الجملة، بل قد تتكرر جمل كاملة، وقد تتكرر فقرات، وقصص ومواقف ونصوص ... إلخ كما سنوضح.

ونستطيع أن نذكر تعريفاً للتكرار يضمن وظيفته النصية بالقول بأن التكرار هو إعادة ذكر لفظ أو عبارة او جملة أو فقرة، وذلك باللفظ نفسه أو بالترادف وذلك لتحقيق أغراض كثيرة أهمها تحقيق التماسك النصى بين عناصر النص المتباعدة.

ونلفت النظر إلى أن هناك نوعاً من التكرار ذكره السيوطى وهو نزول بعض آى القرآن، أو سورة أكثر من مرة، الآية نفسها أو السورة نفسها، وذلك للتذكر والموعظة أو التعظيم لشأن المكرر(١). فمن الملاحظ أنها تكون الآية نفسها أو السورة نفسها نزلت فى أكثر من موضع، لكن المصحف ذكر هذه الآية مرة واحدة، وكذلك السورة، فلم يذكر المصحف - على سبيل المثال - سورة الفاتحة أكثر من مرة. لهذا لن نعد ذلك من قبيل التكرار الذى نناقشه.

أنـــواع التكـــرار

والحديث عن أنواع التكرار كثير فى كتب البلاغة خاصة، وكذا فى بعض كتب تفسير القرآن الكريم. والأكثر هو الحديث عن دواعيه أو أغراضه.

وسبق أن أشرنا إلى أن أنواعه هى تكرار الحروف والكلمات والعبارات والجمل والفقرات أو القصص. وفعالية تكرار الكلمات والعبارات

(١) السيوطى : الإتقان، ١/ ٣٥ . بتصرف.

والجمل، والفقرات أحياناً، تظهر على مستوى السورة الواحدة مثل تكرار لفظ الجلالة، أو فعل القول ... إلخ، وذلك حتى يظهر التماسك النصى على مستوى هذه السورة. أما تكرار القصص فإنه لا يحدث على مستوى السورة الواحدة؛ بل يتعداها إلى التكرار على مستوى السور؛ وذلك مثل تكرار قصة آدم عليه السلام مع ربه ووسوسة إبليس لآدم، ومثل قصة موسى عليه السلام مع فرعون وقومه... إلخ. ونعد ذلك نوعاً من التماسك.

أغراض التكرار ووظيفته

والحديث عن أغراض التكرار متفق تقريباً بين من تحدثوا عنه، مع زيادة هنا أو نقص هناك. وهذه أمور تناقشها الأبحاث التى تبحث فى العلاقة بين التركيب والدلالة. أو الأبحاث التى تناقش هذا الموضوع بلاغياً(١).

أما أهميته أو وظيفته فى ضوء التحليل النصى المعاصر فيذكر علماء النص أن التكرار "يهدف إلى تدعيم التماسك النصى"(٢)، وكذلك يوظف التكرار "من أجل تحقيق العلاقة المتبادلة بين العناصر المكونة للنص"(٣).

(1) عن أنواع التكرار وأغراضه انظر : أ – ابن الناظم : شرح الألفية، ص ٥٠٩.
ب– الزركشى : البرهان، ٣/٩ وما بعدها.
ج– السيوطى : الإتقان، ٢/ ١٩. وما بعدها.
د – الرافعى : إعجاز القرآن ، ص ٢٢. .

D- R. de Beaugrande & w. Dressler, *Ibid*, p. 55 .

وقد فَرَّقا بين نوعين من التكرار: التكرار المباشر وهو تكرار العناصر بلفظها، والتكرار الجزئى وهو التكرار غير المباشر، أى بالمعنى دون اللفظ p. 49 & p58 . وهذا ما ذكر الزركشى النوع الثانى منه تحت عنوان التكرار بالترادف. البرهان، ٣ / ٣٣ .

و – د. صلاح فضل : ظواهر أسلوبية فى شعر شوقى، ص ٢١. .

ز – سيد خضر: ظاهرة التكرار بين النحاة والبلاغيين، رسالة دكتوراة مقدمة إلى كلية الآداب جامعة طنطا، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م ص ٣٦ : ٥٨ . حيث قسم الأغراض إلى ثلاثين غرضاً تحت قسمين: الأول الدواعى العامة، والثانى الدواعى الخاصة. وفى هذه الأغراض جمع الأغراض التى سبق ذكرها عند البلاغيين والمفسرين والنحاة.

ى– د. جميل عبد المجيد : المرجع السابق، ص ٧٩– ٨٠

(2) R. de Beaugrande & w. Dressler, *Ibid*, p. 54.

(3) *Ibid*, p. 59.

ويشترط د. صلاح فضل شرطاً أساسياً حتى يقوم التكرار بهذه الوظيفة، وهو "أن يكون لهذا الملمح – المكرر – نسبة ورود عالية فى النص تجعله يتميز عن نظائره ... وأن يساعدنا رصده – أى التكرار – على فك شفرة النص وإدراك كيفية أدائه لدلالته..."(١).

فالتكرار، زيادة على كونه يؤدى وظائف دلالية معينة، فإنه يؤدى كذلك إلى تحقيق التماسك النصى، وذلك عن طريق امتداد عنصر ما من بداية النص حتى آخره، هذا العنصر قد يكون كلمة أو عبارة أو جملة أو فقرة، وهذا الامتداد يربط بين عناصر هذا النص، بالتأكيد مع مساعدة عوامل التماسك النصى الأخرى.

نخرج من هذا بحقيقة تشير إلى تغير وجهة نظر علماء النص للتكرار عن وجهة نظر القدماء له.

وقد لفت نظر الباحث ما قاله بعض علماء النص بأن "التكرار يشيع فى الكلام العفوى أو التلقائى...."(٢).

والنظرة الدقيقة تقول غير ذلك؛ فالتكرار نراه كثيراً فى الشعر العربى، كما نراه فى القرآن الكريم كما تثبت ذلك الجداول الإحصائية الخاصة بالتكرار. ولا نحسب أن القرآن الكريم أو الشعر العربى من أنواع الكلام العفوى؛ فالقرآن الكريم من لدن حكيم خبير، وبلسان عربى مبين، فهو ليس عفوياً، وليس تلقائياً كذلك، وكذا الشعر العربى ليس عفوياً.

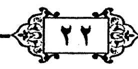
وشواهد التكرار ودوره فى التماسك كثيرة، ونظراً لأننا سوف نتبع هذا التمهيد بالتحليل لنماذج كثيرة من السور المكية، فإننا نكتفى بهذه النماذج وكيفية تحليلها مع توضيح دور التكرار فى تحقيق التماسك النصى لهذه السور الكريمة(٣).

---

(١) د. صلاح فضل : ظواهر أسلوبية، ص ٢١٠.

(2) R. de Beaugrande & w. Dressler, *Ibid,* p. 54

(3) See : A)*Ibid* , pp.54- 57 . =



وقبل الشروع فى التحليل نلاحظ الإحصاء الموجز التالى لعدد سور القرآن وأجزائه وأحزابه وأرباعه وآياته وكلماته وحروفه، لنتبين أهمية التكرار فى تحقيق التماسك النصى للنصوص المكونة لهذا العدد الكبير من العناصر أو الأنماط[1]:

السور	١١٤ سورة
المكية	٨٥ سورة
المدنية	٢٩ سورة
الأجزاء	٣٠ جزءاً
الأحزاب	٦٠ حزباً
الأرباع	٢٤٠ ربعاً
الآيات	٦٦١٦ أو ٦٢١٦ (على الخلاف)
الكلمات	٧٧٤٣٩ كلمة
الحروف	٣٢٣٠١٥ أو ٣٢٣٦٧١ (على الخلاف)

فمن البديهى أن هذا الكم الهائل من الكلمات والآيات لا يمكن أن يوجد هكذا دون رابط يربط بينها. والدراسة تهدف إلى إبراز هذه الروابط ودروها

= ب – د. محمد خطابى : لسانيات النص، ص ٢٤ – ٢٥.
وتحدث عنه كثيرون من علمائنا منهم:
أ – الرازى : مفاتيح الغيب، ١/ ١٨.
ب– النحاس: معانى القرآن الكريم، ١/ ٥٣ : ٥٦.
ج– الباقلانى: إعجاز القرآن ، ص ١٠٦.
د – الزركشى: البرهان ، ٣/ ٣٠ : ٣٢ .
هـ– السيوطى: الإتقان، ٢/ ٨٨ .
و – الرافعى: إعجاز القرآن ٢٢١ وما بعدها.

(١) وقد ذكر السيوطى فى الإتقان، فصلاً كاملاً عن عدد كل من هذه الأنماط، مع عرضه للخلافات الكثيرة حول عدد من هذه الأنماط.
ارجع إلى الإتقان، ١/ ٦٤ وما بعدها.

فى تحقيق التماسك النصى. والتكرار - بطبيعة الحال- واحد من هذه الروابط التى تسهم فى التحليل النصى المعاصر.

وقد كانت للقدماء والمحدثين إسهامات لإدخال أنماط كثيرة من فنون البديع تحت التكرار مثل الترادف، ورد العجز على الصدر، وتشابه الأطراف، والجناس، والترديد ... وغيرها[1]. وتقسيمنا للجداول يضم - إضافة إلى تقسيماته الرئيسية بعضاً من هذه الأنماط، وسوف نشير إلى دور كل منها كلما أمكن ذلك.

والسؤال الذى يطرح نفسه بعد هذا العرض النظرى الموجز : كيف يمكن إبراز دور التكرار فى تحقيق التماسك النصى للسور المكية ؟ أو: كيف يمكن إبراز دور التكرار فى التحليل النصى للسور المكية. هذا ما نحاول بحثه عبر النماذج التالية من السور.

سورة "الفاتحـــــة"

أما سورة "الفاتحـــــة"، فيسهم التكرار، عبر بعض أنماطه السالفة الذكر، فى تحقيق تماسكها، فلفظ الجلالة "الله" ورد فى آيتين؛ آية البسملة، والآية الأولى بعد البسملة، هذا باللفظ نفسه. ثم تأتى ألفاظ الجلالة "الرحيم - الرحيم - الرحمن - الرحيم - مالك - رب"، مع ملاحظة أن "مالك" ليس من ألفاظه، بل "ملك"، وكذلك رب، لكنهما، فى النهاية ،إضافة إلى ألفاظ الجلالة، يحيل كل من هذه الأسماء إلى الله تعالى، وهو مذكور تصريحاً فى آية البسملة، ومن ثم فمرجعية هذه الأسماء داخلية سابقة.

(١) انظر: د. جميل عبد المجيد : المرجع السابق، ص ٧٩ : ١٠٧ حيث عرض لهذه الأنماط وعلاقتها بالتكرار، وآراء البلاغيين فيها وكيف يمكن أن تكون أنماطاً أو صوراً أخرى للتكرار. ومنها أيضاً الاشتقاق والانتقال من العام إلى الخاص.

ويرى الباحث أن الضمائر التى تحيل إلى الله تعالى نوع من التكرار؛ ذلك لأن الضمائر تحل محل الأسماء الظاهرة. فالضمائر فى "إياك – اهدنا – أنعمت – تعد نوعاً من التكرار للفظ الجلالة المذكور فى آية البسملة.

إذن تكرار لفظ الجلالة باللفظ نفسه، وبصفاته، وبالضمائر التى تحيل إليه إحدى عشرة مرة؛ "الله - رب – الرحمن – الرحيم – الرحمن – الرحيم – مالك – إياك – إياك – اهدنا – أنعمت". وهذه الكلمات كلها تحليل إحالة داخلية سابقة إلى لفظ الله تعالى، ذلك على الرغم من قصر هذه السورة المباركة.

وكذلك تَكَرَّر الضميران المنفصلان "إياك – إياك"، مع إسهام عطف النسق، كما بينا، لتخصيص الله بالعبادة والاستعانة دون غيره. وتكرار لفظ "الصراط" فى الآيتين ٦، ٧. وواضح أن التكرار باللفظ نفسه. ومن ثم تكرار فى اللفظ والمعنى. وكذلك تكررت شبه الجملة "عليهم" فى قوله تعالى ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾/ ٧.

ويظهر للباحث أن الآيات من البسملة حتى الرابعة هى تفسير للفظ الجلالة "الله" المذكور فى البسملة، وذلك عن طريق ذكر صفاته تعالى، وذكر صفات المذكور سابقاً، تعد نوعاً من التكرار له؛ لأنها تحقق تواصلاً واستمرارية للنص عبر هذه الصفات. ومن ثم فالجمل التفسيرية لجملة سابقة، او كلمة سابقة، هى نوع أو نمط من أنماط التكرار بالمعنى لا باللفظ. وهذا ما حدث كذلك بين الآيتين ٦، ٧. حيث إنه ذكر الصراط المستقيم فى السادسة، ثم جاء التفصيل ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، ويتماسك قوله :

﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ مع ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ و ﴿وَلاَ الضَّالِّينَ﴾، وذلك عبر الترادف؛ فهذه الجمل الثلاث تتلاقى فى معنى واحد.

ونمط آخر من أنماط التكرار فى هذه السورة يتمثل فى "الاشتقاق" فى البسملة "الرحمن – الرحيم"، وفى الآية الثالثة "الرحمن – الرحيم"؛ ففيها

تكرار كامل باللفظ والمعنى، كما ذكرنا، وفيهما اشتقاق هذين اللفظين من مادة واحدة "رحم"، وهذا يعد كذلك نوعاً من التكرار.

إذن أسهم التكرار فى تحقيق تماسك هذه السورة عبر الأنماط التالية :

١- التكرار الكامل. ٢- الترادف.

٣- الاشتقاق. ٤- الجمل التفسيرية [١].

هذا إضافة إلى الضمائر والتوابع، كما ذكرنا.

سورة "الأنعـــــام"

أما سورة "الأنعـــام"، فقد رأينا محاورها، كما ذكر، أربعة محاور:

١- الله تعالى. ٢- الرسول صلى الله عليه وسلم.

٣- المؤمنـــون. ٤- الكافـــرون.

مع مراعاة أن التكرار قد يكون كلمة واحدة أو عبارة أو جملة أو قصة، ويندرج تحتها الترادف والاشتقاق والتفسير ورد العجز على الصدر وتشابه الأطراف ... إلخ.

فأول ما يلفت النظر تكرار لفظ الجلالة "١٣٧" مرة بين لفظى "الله" و"رب" مع اشتقاقاتها المتنوعة. هذا إضافة إلي تكرار بعض ألفاظ الجلالة فى ثمانية وعشرين موضعاً. هذا إضافة أيضاً إلى الضمائر التى تحيل إلى الله تعالى، كما سبق بيانه[٢]. وهذا كله يحيل إحالة داخلية سابقة إلى لفظ الجلالة المذكور فى الآية الأولى :

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ... الآية﴾/١

(١) يلاحظ كذلك تشابه أطراف الآيات؛ فكلها تنتهى بثلاثة حروف مكسور أولها، ممدود ثانيها، ثم يأتى ثالثها ليكون ميماً فى البسملة،٣، ٦ أو نوناً كما فى ٢، ٤، ٥، ٧ : "الرحيم- العالمين- الرحيم- الدين- نستعين- المستقيم- الضالين".

(٢) ذكر أن عدد الضمائر التى تحيل إلى الله تعالى "٢٧٨" ضميراً.

وهذا التواصل أو الاستمرار يتحقق بانتشار هذه الأسماء من الآية الأولى حتى الأخيرة :

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ /١٦٥.

وتكرار لفظ الجلالة فى هذه الآيات من ١ : ١٦٥، لا يحقق التماسك النصى بين الكلمات المكررة وحدها، لكنه يحقق التماسك النصى بين الآيات التى يقع لفظ الجلالة فيها. ويتأكد هذا عبر ملاحظة أن أغلب هذه الآيات تحمل أموراً مسندة إلى الله تعالى، وسبق تأكيد أهمية علاقة الإسناد فى تحقيق التماسك النصى؛ فالإسناد علاقة تحقق التماسك الدلالى، والتكرار لهذا اللفظ الكريم يسهم فى إبراز هذه العلاقة؛ علاقة الإسناد، ومن ثم فى تحقيق التماسك النصى.

ولنلاحظ – على سبيل المثال لا الحصر – بعض هذه الآيات :

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ(١) وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ(٣) قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ(١٢) وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(١٧) قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لاَ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (١٩) إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ(٣٦) وَقَالُوا لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ(٣٧) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ

عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ(٣٩) قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(٤٠) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(٤٥) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ(٤٦)﴾(١).

فهذه الأمور كلها؛ استحقاق الحمد، العلم بكل شيء، الامتلاك لكل شيء، جمع الناس يوم القيامة، امتلاك الضر والنفع، امتلاك كشف الضر، القدرة على كل شيء، الوحدانية له دون غيره، بعث الموتى، تنزيل الآيات، القدرة على الهداية وعكسها، أخذ السمع والبصر، والختم على القلوب ... إلخ، هذه كلها تحتاج إلى مسند إليه. وما دامت هذه الأمور متفرقة فى آيات كثيرة، أصبح ذكر الله تعالى فى هذه المواضع كلها أمراً ضرورياً لتأكيد الإسناد دلالة، ولتحقيق التماسك النصى عبر التكرار. ولا يخفى ما لذكر الله بهذه الطريقة من تحقيق لاستمرارية النص.

ولم يتوقف دور التكرار على تحقيق تماسك النص على مستوى الآيات المتتالية، بل على مستوى الآية الواحدة؛ فنجد لفظ الجلالة "الله" مكرراً فى بعض الآيات ثلاث مرات، وأحياناً يرد مرتين، أما نماذج الأول، فمنه قوله تبارك وتعالى :

﴿قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنْفَعُنَا وَلاَ يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ /٧١

(١) انظر كذلك الآيات التى تكرر فيها لفظ الجلالة "الله" : ٤٧، ٥٠، ٥٣، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٦٢، ٦٤، ٧٠، ٧١، ٨٠، ٨١، ٨٨، ٩٠، ٩١، ٩٣، ٩٥، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١١، ١١٤، ١١٦، ١١٨، ١١٩، ١٢١، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٨، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٢، ١٦٤.

فقد كان من الممكن – فى غير النص القرآنى – الاكتفاء بذكره مرة واحدة فى أول الآية، ثم تحل محله الضمائر فى الموضعين التاليين. لكن تكرار لفظ الجلالة "الله" ثلاث مرات بهذه الصورة يؤكد قدرته سبحانه على القضايا المطروحة فى هذه الآية؛ النفع والضرر، والهداية. ومن ثم تأكيد الإسناد إليه سبحانه. ومن جهة أخرى يتحقق تماسكها نصياً عبر التكرار. ولم تستخدم الضمائر فى هذه الآية للإحالة إلى "الله" تعالى، لكن استخدم الاسم الظاهر مكرراً، ولا يخفى أن التصريح بالاسم مكرراً له قوة فى الدلالة وفى اللفظ، ومن ثم فى تحقيق التماسك.

وذكر لفظ الجلالة فى أول الآية التى تحتوى على ما يقرب من عشر جمل، وذكره فى آخرها بالمرادف "رب العالمين"، يمثل ردَّ العجز، نهاية الآية، على الصدر، أول الآية. وهذا -كما ذكرنا- نمط من أنماط التكرار.

ومن بين هذه النماذج كذلك قوله تعالى :

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾/٩١

فهذه الآية تحمل قضايا عديدة؛ الادعاء الكاذب على الله من الكافرين، ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم بأمر من الله، وذلك الرد عبر السؤال التقريرى والإجابة عنه. ثم القضية الأخيرة وهى الأمر للرسول بترك هؤلاء في خوضهم يلعبون. ونظراً لهذا التعدد فى الآية أصبح التماسك أمراً ضرورياً حتى لا يتصور كونها متفرقة.

فالمتأمل يجد أن هذه القضايا تدور حول "الله" تعالى؛ الافتراء عليه، والأمر منه بالرد على المفترين، والأمر منه كذلك بتركهم فى خوضهم ولهذا تكرر لفظ الجلالة ثلاث مرات، إضافة إلى الضمائر التى تحيل إليه سبحانه وتعالى.

وكذلك الجملة " إذ قالوا" إلى قوله: ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ تفسيرية للجملة التى فى صدر الآية

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾

والجملة التفسيرية نمط من أنماط التكرار التى تحقق التماسك النصى. والاشتقاق بين "قدروا" و "قدره" كذلك نمط تكرارى. ويظهر التماسك النصى لهذه الآية كذلك عبر السؤال التقريرى من قوله: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ﴾ إلى قوله: ﴿أَنْتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ﴾، والإجابة عنه فى قوله: ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ وقد سبق إثباتنا لدور الاستفهام والإجابة فى تحقيق التماسك النصى. ولا تخفى وسيلة الحذف هنا؛ فقوله: ﴿قُلِ اللَّهُ﴾. أى قل الله فعل ما سبق كله.

وإذا كانت هذه الآية وضحت الافتراء القولى، فإن الآية التالية توضح الافتراء الفعلى:

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ /١٣٦

فيوجد فيها تكرار باللفظ والمعنى للفظ الجلالة "الله"؛ فقد ورد ذكره أربع مرات. وكذلك يوجد نمط تكرارى آخر؛ فالجمل من قوله: ﴿فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَى شُرَكَائِهِمْ﴾ تفسير للمذكور فى صدر الآية:

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾

وكذلك الجملة "ساء ما يحكمون" تمثل تعليقاً على هذا الافتراء على الله تعالى. وهومن قبيل الربط بين السابق واللاحق، ومن ثم يمكن تحقيق التماسك النصى من خلاله. وبما أن ما حدث منهم يمثل حكماً، جاء التعقيب ليؤكد أن هذا الحكم سئ، وهو بالفعل كذلك. ومن ثم نرى أن فى هذه الآية. "رد العجز على الصدر"، على الرغم من عدم تكرار اللفظ، لكن هذا الرد من قبيل الرد الدلالى. وهذا نمط آخر من أنماط التكرار فى الآية الكريمة.

والدور الذى قام به لفظ الجلالة "الله"، يقوم به كذلك المشتق "رب" "ربكم" "ربنا" "ربى" "ربك" على اختلاف الضمائر المتصلة به. وكذلك ما تفعله الضمائر التى تحيل إلى الله تعالى، ونؤكد أنها تقوم مقام الاسم الظاهر فى الآيات، فالآيات مثلاً من ٩٥ : ١٠٣، تحمل وحدة دلالية واحدة؛ إذ تتحدث عن بعض آلاء الله على خلقه. ويتصدر هذه الوحدة بآية يكرر فيه لفظ الجلالة "الله" كالتالى :

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ /٩٥

ثم يتكرر ما يتصل بالله تعالى من لفظ الجلالة "الله"، و "رب"، وبعض أسمائه الحسنى مثل العزيز، العليم، البديع، الخالق، الوكيل، اللطيف، الخبير. ثم الضمائر التى تحيل إليه، وهى من قبيل التكرار، هذا تكرار فى تسعة وثلاثين موضعاً، فى هذه الآيات الثمانية. وهذا الكم من التكرار لتأكيد انفراد الله تعالى بهذه الآلاء، وتفضله وحده بها على عباده. ثم يأتى رد العجز فى الآيتين الأخيرتين على الصدر فى الآية الأولى؛ فى قوله تعالى:

﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ(١٠٢) لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾/١٠٣

وبما أن الضمائر التى تحيل إلى الله تعالى منتشرة فى آيات السورة كلها تقريباً، وقد أكدنا أن تكرار لفظ واحد فى العديد من الجمل يحدث التماسك النصى بين هذه الجمل. إذن حدث التماسك النصى عبر هذه الوسيلة كذلك. ولا تخفى وظيفة "ذا" التى ذكرت للإشارة إلى أن الذى فعل هذا كله هو الله، لذلك وجدنا : ذا + الله + رب.

ثم يأتى بجملة أخرى :

" لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ "

ثم تأتى الأربع جمل الأخيرة لتحمل فى طياتها الضمائر التى تحيل إليه سبحانه.

ولم يقف الأمر عند تكرار لفظ الجلالة والضمائر، بل تكررت بعض أسمائه الحسنى باللفظ نفسه، كما فى قوله تعالى :

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾/١٨

و ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾/٨٣

وكذلك قوله تعالى :

﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ /١٢٨

و ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾/١٣٩

و ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾/١١٥

و ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾/٩٦

و ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ /١٠١

و ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾/ ٨٣

فإضافة إلى وظيفة هذا التكرار فى تحقيق التماسك النصى لهذا النص الكريم، وإضافة إلى كونها يتحقق فيها رد العجز على الصدر، وإضافة إلى تحقيق هذا التكرار للتماسك الشكلى والدلالى. فإن العبرة من تكرار اسم الله "العليم" أكثر من غيره من الأسماء الحسنى، تكمن فى مناسبة هذه السورة، كما بينا من قبل؛ فقد نزلت فى الردِّ على المشركين الذين أخذوا فى تشريع قوانين خاصة لهم، ورفض تشريع الله. وفى هذا ادعاء ضمنى للعلم، لكن الله تعالى يؤكد أنه سبحانه خالقهم، ومن ثم يعلم ما ينفعهم وما يضرهم، ومن ثم شرع لهم ما ينفعهم ولا يضرهم. إذن الله تعالى أعلم، لذلك تكرر لفظ "عليم" فى الآيات ٨٣، ٩٦، ١٠١، ١١٥، ١٢٨، ١٣٩ . وهذا التناسب بين مناسبة

نزول السورة والسورة، إضافة إلى التكرار، يحققان تماسكاً واضحاً لنص السورة. هذا مع العلم أن مشتقات "علم" وردت هى الأخرى مرتبطة بالله تعالى أكثر من مرة فى السورة. والاشتقاق نمط آخر من أنماط التكرار. ومن نماذج تكرار بعض أسمائه الله الحسنى قوله تعالى :

﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(٥٤). وقوله: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(١٤٥). وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٦٥).

وتتماسك الآية الأولى من السورة مع الأخيرة عن طريق رد العجز على الصدر؛ فإذا كانت الأولى تشير إلى خلق الله للسموات والأرض، فإن الأخيرة تشير إلى جعله سبحانه خلائف فى هذه الأرض التى خلقها :

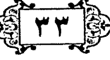
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ... الآية (١)

و ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ ... الآية (١٦٥)

فالمسند إليه هو الله فى الآيتين. لذلك تكررت الضمائر التى تحيل إليه سبحانه فى الآية الأخيرة ست مرات، مع ذكر لفظ "ربك" و"الغفور" و"الرحيم".

من هذا نستنتج وظيفة التكرار فى تحقيق التماسك النصى للآيات التى تدور حول الله تعالى وصُنعه فى خلقه. وهذه الآيات تنتشر من أول النص حتى نهايته، ومن ثم لم يكن التماسك النصى عبر هذا المحور فقط، بل على مستوى السور الكريمة كلها.

أما المحور الثانى، محور المتلقى المباشر للنص القرآنى، فهو تلك الآيات التى بها تكرار لأمر يتعلق بالنبى صلى الله عليه وسلم. وقد ذكرنا، سابقاً، أنه لم يذكر اسمه، ولا صفة من صفاته صراحة فى هذه السورة، لكن



ما ذكر هو الضمائر التى تحيل إليه، وسبق الذكر أيضاً أن عددها "١٢٨" ضميراً. وكلها تتصل بأفعال وأوامر من الله تعالى لنبيه، أو بخطاب خال من هذه الأوامر والنواهي. وبناء على تأكيدنا وظيفة الضمائر؛ إذ إنها تقوم مقام الاسم الظاهر، فإننا نعد هذه المواضع من قبيل التكرار لما يعود إلى شخص النبى صلى الله عليه وسلم.

وأول موضع ذكر فيه ضمير يعود لشخصه صلى الله عليه وسلم فى الآية السابقة :

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ /٧

ثم تأتى الآيات التى تليها مباشرة فى ٨، ١٠، ١١، ١٢، ١٤، ١٥، ١٩، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٣٠ ... لتمثل تكراراً يحيل إحالة خارجية سابقة لشخص الرسول صلى الله عليه وسلم؛ إذ لم يجر له ذكر صريح فى السورة. نعم هذه الضمائر أحياناً للمخاطب وأخرى للغائب وثالثة للمتكلم لكنها فى النهاية تحيل إلى شخص واحد.

وهذا التكرار للضمائر التى تحيل إلى النبى صلى الله عليه وسلم لا يمثل تماسكاً بينها فقط، بل تحقق هذا التماسك بين الآيات التى تحتوى على هذه الضمائر. وهذه الضمائر تبدأ فى الظهور من الآية السابعة إلى الآية قبل الأخيرة، ومن ثم فهى تنتشر فى ثنايا السورة لتحقق تماسكها عبر هذا المحور كذلك. وذلك من خلال التماسك بين آيتين متجاورتين مثل قوله تعالى

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ(٧) وَقَالُوا لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لاَ يُنْظَرُونَ(٨)﴾.

فالكاف فى "عليك" والهاء فى "عليه" يعودان إلى مرجع واحد، على الرغم من اختلافهما من ناحيتى المخاطب والغائب. وكونهما إلى مرجع

واحد، فإن هذا يحقق التماسك بينهما. إضافة إلى كون هاتين الآيتين تجمعهما وحدة دلالية واحدة، تكمن فى إصرار الكافرين على كفرهم.

وتكرار فعل القول، فى صيغة الأمر، من الله إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، من العناصر التى تحقق التماسك النصى بين الآيات التى تدور حوله. فقد تكررت صيغة الأمر من هذا الفعل. فى ستة وثلاثين موضعاً، مشيرة بذلك إلى الحوار القائم بين الله ورسوله، ليبلغ الرسول الناس من بعد. ولغة الحوار من الأنماط المحققة للتماسك النصى كذلك. والسؤال : كيف يتحقق التماسك عبر هذه الصيغة؟ نقول على عدة محاور :

- تكرار صيغة "قل".

- وحدة المتكلم وهو الله تعالى.

- وحدة المخاطب وهو الرسول صلى الله عليه وسلم.

وكذلك قد يتكرر الضمير المحيل إليه فى آية واحدة أكثر من مرة، كما فى قوله تعالى:

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾/١٩ .

فنلاحظ أن " قُلْ - قُلْ - بَيْنِي - إِلَيَّ - لِأُنْذِرَكُمْ - قُلْ - إِنَّنِي " تحمل كلها ضمائر تحيل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن ثم فهى تكرار لهذه الضمائر التى تحل محل الاسم الظاهر. إضافة إلى كونها حواراً بين الله ورسوله والمشركين. إضافة كذلك إلى دور التوابع والضمائر والحذف فى تحقيق تماسك هذه الآية.

ويرتبط الحديث إلى النبى صلى الله عليه وسلم بالحديث عن الأنبياء من قبله، ومن المعلوم أن ذكر قصصهم فيه عبر كثيرة لا مجال لذكرها هنا.

لكن الذى يهمنا هنا هو تكرار هذا القصص فى القرآن المكى بصفة خاصة؛ فقد أشارت هذه السورة باقتضاب إلى أنبياء الله : إبراهيم، موسى، إسحق، يعقوب، داود، سليمان، أيوب، يوسف، هارون، زكريا، يحى، عيسى، إلياس، إسماعيل، اليسع، يونس، لوط. عليهم جميعاً السلام. وتتلخص العبرة من ذكرهم فى هذه السورة فى قوله تعالى :

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾/١٠

وهذا يمثل وجهاً من وجوه التماسك النصى عبر المناسبة؛ فهناك مناسبة ما تبرر ذكر الأنبياء، وتكرار الذكر، والربط بين ذكرهم وما يحدث للمصطفى صلى الله عليه وسلم. وهذا ما سوف نفصله فى فصل المناسبة فسوف نخصص مبحثاً تحليلياً عن تكرار القصص فى السور المكية وعلاقته بالمناسبة والتماسك النصى.

إذ فى التكرار للقصص علاقة جد وثيقة بالمناسبة بين السور الوارد فيها القصص. وبناء عليه لن يكون المبحث مقصوراً على النماذج التى خصصناها لهذه الدراسة فحسب، بل يتعدها إلى السور المكية - كلها. وسوف يضم هذا المبحث كذلك الآيات التى تكرر ذكرها فى أكثر من سورة من السور المكية، وعلاقتها بالمناسبة والتماسك النصى(١).

أما المحور الثالث الذى تدور حوله الآيات، فهو محور المؤمنين، فلم يكن عدد آياته هو عدد الآيات التى تعود إلى الله تعالى، والرسول صلى الله عليه وسلم. وكذلك لم يكن التصريح فيها بلفظ المؤمنين إلا فى أربعة

(١) وقد أفرد الكرمانى كتاباً كاملاً عن الآيات التى تكررت فى السور القرآنية، غير أنه لم يناقش علاقة ذلك بالترابط / التماسك بين هذه السور. وعنوانه "البرهان فى توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، وحقق بعنوان "أسرار التكرار فى القرآن"، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، ط٣، ١٩٧٨م.

مواضع، أما المواضع الأخرى فإنها قد تكون بصفات لهم، أو أوامر لهم، فكانت مرجعيتها إلى المؤمنين سياقية. ومن النماذج التى ذكر بها المؤمنون صراحة، قوله تعالى:

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾/٥٤

و: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾/٨٢

و: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ /٩٢

و: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾/٩٩

أما النماذج الأخرى التى أشرنا إلى أرقام آياتها فى فصل الضمائر، فإنها تحمل صفات مثل :

﴿مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ﴾/١٦، ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ ﴾/٥١، ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ /٥٣، ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾/٧١، ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَاتَّقُوهُ﴾ /٧٢، ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ﴾/٨٣، ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾/٨٤، ﴿كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾/٨٥، ﴿وَكُلاً فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾/٨٦، ﴿وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾/٨٧، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾/٩٠، ﴿وَهُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾/٩٢، ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾/٩٨، ﴿وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾/١٠٥، ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ /١٢٦، ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلاَمِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾/١٢٧

وتلتقى هذه الآيات فى نقطة واحدة تتمثل فى كونها تتحدث عن المؤمنين، وتحمل ضمائر تعود إليهم، ومن ثم فهى ذات وحدة دلالية، وهذا بدوره يحقق التماسك النصى لهذا المحور من السور، وكما هو واضح ينتشر، على الرغم من قلة المواضع، فى ثنايا السورة ويمكننا القول إن نمط التكرار الواضح فى هذه الآيات هو "الترادف"، فهى مترادفات توضح صفات للمؤمنين؛ إذ يمكن إحلال لفظ المؤمنين محل هذه الضمائر.

ثم يأتى المحور الرابع الذى يحتل المرتبة الثانية فى عدد مرات الورود فى السورة، إذ إنهم ذكروا بالتصريح تارة، وبالإضمار تارة أخرى فى أكثر من أربعة مائة موضع من السورة[1]. وقد عرفنا، فيما سبق، السر فى هذه الكثرة للمواضع التى ورد فيها ذكر للكافرين. ومن ثم وجب تخصيص محور خاص لتحليل الآيات المتصلة بهم.

بداية نلاحظ التصريح بلفظ "الكافرين" من الآية الأولى :

﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾/١

وتأتى بعد ذلك الآيات إما بلفظ الكفر، أو الشرك، أو الاستهزاء، أو السخرية، أو الضلال، أو الافتراء، أو الجدال، أو التكذيب بالبعث، ....إلخ من الصفات المتعلقة بهم.

وبصفة عامة يتحقق التماسك النصى فى السورة عبر نمط ظاهر وهو "المقابلة"؛ وهى واضحة بين المؤمنين وصفاتهم وأفعالهم وثوابهم، والكافرين وصفاتهم وأفعالهم وعقابهم. غير أن هذه المقابلة ليست بين كلمة وأخرى، أو جملة وأخرى، بل بين وحدة دلالية ووحدة دلالية أخرى. وهذا جلىٌّ فى النص القرآنى بصفة عامة؛ بين المفردات، والجمل، والآيات والفقرات. فالنص القرآنى يعكس الطبيعة التى جُبِلَ عليها البشر، إما الخير أو الشر.

---

(١) انظر "الفصل الثالث الخاص بالضمائر".

وبالعودة إلى محورنا الذى نحن بصدده نلاحظ من نماذج الآيات التى ذُكر بها الكافرون قوله تعالى :

﴿لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ﴾/ ٧

﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾/٢٥

﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ /٣٠.

﴿كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾/ ١٢٢

﴿وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾/ ١٣٠.

ثم يأتى لفظ المشركين، وهو قرين للكافرين ومرادف له، فى نماذج منها:

﴿وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾/١٤

﴿وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾/١٩

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾/٢٣

﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾/٦٤

﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ(٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ(٧٩) ... وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا (٨٠)﴾

﴿وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ... الآية (٩٤)﴾

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ... الآية (١٠٠)﴾

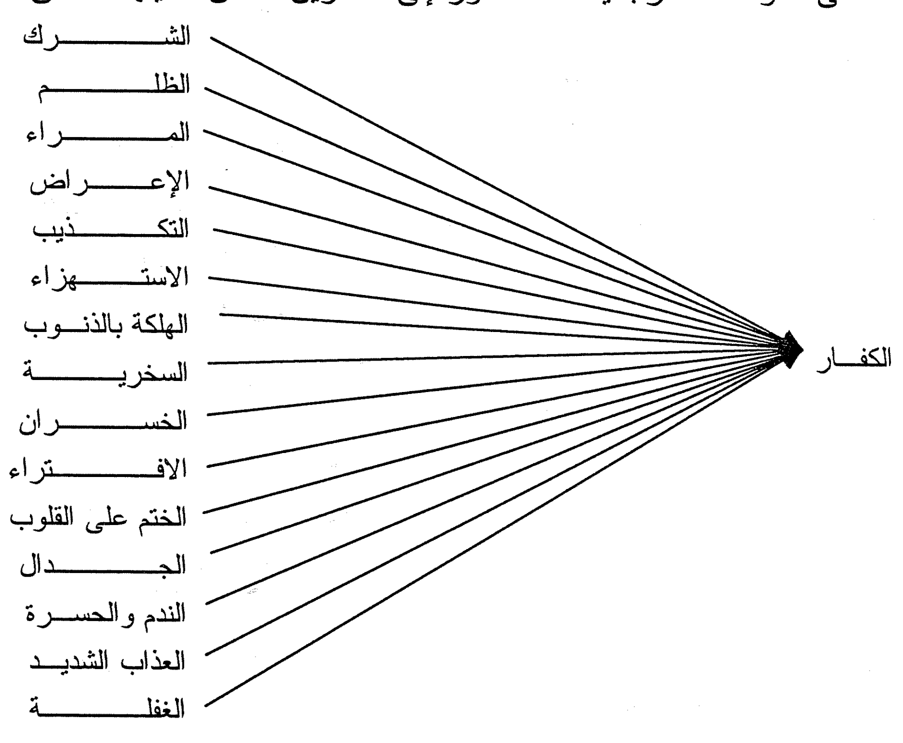
﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾/ ١٠٦

﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾/ ١٢١

﴿فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾/١٣٦

﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ ... الآية (١٣٧)﴾
﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ (١٤٨)
﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾/١٦١

وهكذا تنطلق الآيات فى سرد صفاتهم وأفعالهم مع رسول الله. ويظهر انتشار الآيات التى تتحدث عن الشرك والمشركين من الآية الأولى حتى الآية "١٦٣"، ولا شك أن ذكر اللفظ الدال صراحة، أو بصفة من صفاته، أو بضمير يعود عليه، أو بمشتق من مشتقاته، أو بذكر شيء يتعلق به ... إلخ. هذه كلها أمور تتعلق بالتكرار. وبناءً عليه يتضح انتشار التكرار عبر هذا المحور من بداية السورة حتى قبيل نهايتها، ومن ثم دوره فى تحقيق تماسكها النصى، فلو تأملنا مرجعية هذه الأمور إلى الكافرين لأمكن تمثيلها كالتالى :



وهذا يبين انتماء هذه الصفات إلى عنصر واحد، وأن الاستمرارية للكفر تسرى من خلال هذه الصفات. ومن ثم فهى تكرار بالدلالة لأن هذه الصفات من مستلزمات الكفر كما أظهرت الآيات. فهى تتحدث عن إعراضهم عن شرع الله وإشراكهم غيره وظلمهم لأنفسهم، فهى إذن ذات وحدة دلالية، ومن ثم يظهر تماسكها النصى شكلياً ودلالياً.

ومرجعية هذه الصفات كلها، بناءً على ما سبق، داخلية سابقة من ناحية، وكل هذه الصفات قد تكون مرجعيتها خارجية، أما الوجهة الأولى فلأن لفظ الكافرين قد ذكر فى الآية الأولى، وما جاء فى السورة من مستلزمات هذا الكفر، ومن ثم فهى تحيل إليه. أما الوجهة الثانية فهى نابعة من عدم التصريح بهؤلاء الكافرين؛ من هم؟ وهذا يوضحه سياق السورة كما حدث فى بيان مرجعية الضمائر التى تحيل إلى المشركين، واعتمادها كثيراً على هذا السياق. وبما أنهم لم يذكروا صراحة، ولم يجر لهم ذكر، فإن مرجعية هذه الصفات التى تُعد تكراراً، خارجية.

وهناك تكرار يسهم فى تحقيق التماسك النصى لمحاور هذه السور كلها، إضافة إلى وحدة السورة دلالياً من حيث الموضوع ومناسبة النزول. إضافة إلى هذا نلاحظ أن القرآن الكريم منزله الله تعالى، وأنزله على نبيه، وأخبر به النبى الناس بالقول والفعل، وقال المؤمنون: آمنا به، وقال المشركون: لن نؤمن به. "فالقول" إذن عنصر مشترك بين هذه المحاور الأربعة. وبالرجوع إلى الجداول نجد تكرار لفظ "القول" ومشتقاته فى ثمانين موضعاً من السورة فلا شك أن هذا التكرار باللفظ والمعنى يحدث تماسكاً نصياً. وكذلك يمثل هذا اللفظ مشاركة بين هذه المحاور الأربعة، وتماسكاً بينها. وهذا حقيقى؛ فالأمر من الله، والدعوة من الرسول، والإيمان من المؤمنين، والكفر من الكافرين.

ومجمل القول أن "التكرار" وُظف توظيفاً حقيقياً لخدمة النص الكريم، وتحقيق تماسكه النصى عبر هذه المحاور المتعددة، وعبر أنماطه التى أشرنا إليها من ترادف واشتقاق ... وغيرهما. وسوف نعرض لنمط تشابه أطراف الآيات عند تحليلنا فى فصل المناسبة إن شاء الله. وإذا كان هذا دور التكرار فى سورة الأنعام، فما دوره فى تحقيق التماسك النصى لسورة "**الكهف**"؟

سـورة الكهـف

يمكن تقسيم هذه السورة إلى عشر وحدات دلالية هى :

١- مقدمة السورة	من الآية ١: ٨
٢- قصة أهل الكهف	من الآية ٩ : ٢٦
٣- التعقيب عليها	من الآية ٢٧: ٣١
٤- قصة الجنتين	من الآية ٣٢ : ٤٤
٥- التعقيب عليها	من الآية ٤٥ : ٤٩
٦- السجود لآدم	من الآية ٥٠
٧- التعقيب	من الآية ٥١ : ٥٩
٨- قصة موسى والرجل الصالح	من الآية ٦٠ : ٨٢
٩- قصة ذى القرنين	من الآية ٨٣ : ٩٩
١٠- خاتمة السورة	من الآية ١٠٠ : ١١٠

وبعيداً عن كون السورة تتكون من خمس قصص، نقول إن الاستمرارية المتحققة فى هذه القصص، والتى حققت التماسك النصى فيما بينها، هى وحدة الهدف من كل قصة؛ فكلها- كما سبق الذكر- تبغى الوصول إلى نتيجة مؤداها انتصار الخير والحق دائماً؛ فانتصر أهل الكهف

بالحفاظ على عقيدتهم ونجاتهم، وانتصر الرجل المؤمن كذلك بإيمانه بما عند الله، وانتصر المؤمنون بعدم اتباع الشيطان، وانتصر أصحاب السفينة بنجاتهم من الملك الظالم، وانتصر الأبوان المؤمنان بقتل ابنهما الذى كان سيرهقهما طغياناً وكفراً، وانتصر الغلامان بصلاح أبيهما والحفاظ على كنزهما. هذا إضافة إلى تكرار هذا المعنى فى التعقيبات التى بين هذه القصص؛ فالمقدمة توضح الأجر الحسن للمؤمنين والنذير الشديد لغير المؤمنين.

﴿قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾/٢

والتعليق أو التعقيب على قصة أهل الكهف يوضح هذا أيضاً :

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾/٣.

وكذلك التعقيب على قصة الجنتين يوضح أن :

﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾/٤٦

مع التأكيد فى التعقيبين على جزاء الكافرين المجرمين.

والتعقيب على قصة السجود لآدم يؤكد جزاء الصنف الثانى، المجرمين:

﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾/٥٣

وضمنياً يُعرف مصير المؤمنين، على الرغم من عدم ذكره صراحة فى هذا التعقيب، بل كان التعقيب كله على الفئة المجرمة، وهذا ليتناسب مع قصة السجود لآدم، واتباع الناس للشيطان.

أما التعقيب الأخير، المتمثل فى الخاتمة فيؤكد مرة أخرى ثواب المؤمنين :

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾/١٠٧

مع الحرص على بيان عقاب المجرمين :

﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً﴾/١٠٢

من هذا يتضح أن الاستمرارية قائمة على هذه الحقيقة، وكون هذه الحقيقة تكررت فى القصص الخمس، والتعقيبات الخمس كذلك، فإننا نعدُ هذا نمطاً جديداً من التكرار، وهو "التكرار الدلالى" Semantic Recurrence. وهذا التكرار وظيفته فى تحقيق التماسك النصى واضحة، فقد تكررت تلك الدلالة فى العشر وحدات، إضافة إلى أن تكرار آيات بعينها، فى هذه الوحدات أو بعضها يؤكد، فى الحقيقة، التماسك النصى، شكلاً ودلالة لهذا النص الكريم. وهذا ليس على مستوى السورة المفردة فحسب، بل يتعداه إلى مستوى السور عامة؛ فالسور المكية، على وجه الخصوص، تؤكد قضية العقيدة"، ومن ثم تتكرر الأمور المتعلقة بها فى هذه السور كلها أو معظمها؛ بسرد قصص الأنبياء، وتكرار مواقف هؤلاء الأنبياء من أقوامهم من الدعوة والصد من الكثير والإيمان من القليل، وذكر ثواب المؤمنين فى الدنيا والآخرة، وعقاب الكافرين فى الدنيا والآخرة كذلك. وكذلك بتكرار الإشارة إلى الوحدانية والجنة والنار... إلخ. وبناء عليه نقول إن التكرار الدلالى يقوم بوظيفة التماسك النصى بين السور المكية بصفة عامة فيما بينها(١).

وتكرار الكلمة لا تخفى وظيفته كذلك فى تحقيق تماسك هذه السورة؛ فاللافت للنظر - على سبيل المثال - ومن خلال الجداول - أن هناك كلمات بعينها قد تكررت كثيراً فى السورة؛ فقد تكرر لفظ الجلالة فى خمسة وخمسين موضعاً، ولفظ القول فى سبعة وخمسين موضعاً. هذا إضافة إلى كلمات تتكرر فى كل قصة دون غيرها لتميزها ولتتناسب مع موضوع القصة نفسه.

يتكرر لفظ الجلالة من الآية الأولى، فى قوله تعالى :

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا﴾/١

(١) وسوف نعرض لهذا النمط من التكرار عند مناقشتنا لقضية المناسبة ودورها فى تحقيق التماسك النصى.

حتى الأخيرة فى قوله تعالى :

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾/١١٠.

ونرى فى هذا رداً للعجز على الصدر بين الآيتين ١٠٠، ١١٠، وهذا نمط من الأنماط التماسكية؛ فهو نمط التكرار.

والآيات التى تكرر فيها لفظ الجلالة "الله" هى الآيات التى توضح إسناد أمور كثيرة إليه سبحانه؛ مثل الحمد له على إنزاله الكتاب، وأنه الذى يهدى، وأن وعده الحق، وأن المستقبل بيده، وأن علم الغيب خاص به، وأنه المستحق للألوهية والوحدانية دون سواه، وأنه لا ناصر سواه، وأنه قادر على كل شىء، وإليه المشيئة، وغير ذلك من الأشياء التى لا تسند إلا إليه سبحانه. فعلاقة الإسناد إذن واضحة، ووظيفتها فى تحقيق التماسك النصى مؤكدة. وكذلك هذا التكرار للفظ الجلالة يُحقق هذا التماسك.

وهذه القصص جميعها من الأمور الغيبية، ولا يعلمها إلا الله، ومن ثم كان تكرار ذكره أمراً مؤكداً للتذكير الدائم على أن المخبر بهذه الأمور هو الله، ولذا لا مكان للشك فيها.

وكما سبق التأكيد على وظيفة تكرار الضمائر، وأنها تقوم مقام الاسم الظاهر، فإننا هنا نجد الضمائر التى تحيل إلى الله تعالى قد تكررت فى تسعة وثمانين موضعاً. إذن يمكن القول إن لفظ الجلالة قد تكرر فى مائة وأربعة وأربعين موضعاً بطول مائة وعشر آيات، مما يوحى بالتماسك القائم بين هذه الآيات.

وهذا التكرار للفظ الجلالة يحقق التماسك على مستوى الآية الواحدة، وأكثر من آية؛ فعلى المستوى الأول رأينا ما بين اللفظ والضمائر كما فى قوله تعالى :

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾/ ١

فقد ذكر لفظ الجلالة على هذا النحو، خمس مرات؛ فالضمائر " الذى، أنزل [هو]، عبده، يجعل [هو]، تعود إلى اللفظ المذكور فى صدر الآية. ومن ثم فهى تكرار لهذا اللفظ، وتحقق تماسكها. وكذلك بين الأسماء الظاهرة فى قوله تعالى :

﴿إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ /٢٤

فقد تكرر اللفظ ثلاث مرات. وكذلك بين الاسم الظاهر والضمائر كما فى قوله تعالى :

﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾/ ٢٦

فقد تكرر من خلال الضمائر سبع مرات.

والتكرار للاسم الظاهر فى الآيات : ٣٨، ٣٩، ٨٢، ٩٨، ١٠٩، ١١٠، والتكرار للاسم الظاهر عبر الضمائر التى تحيل إليه فى الآيات أمثلته : ١٠، ١٤، ١٦، ٢١، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٤٠، ٤٨، ٥٠، ٥٧، ٥٨، ٨٧، ٩٨، ١٠٥ .

وأما تكرار لفظ القول فهذا يتناسب مع طبيعة السورة؛ فهى سورة قصصية، وطبيعة القصص الحوار؛ قال وقل وقلت وقلنا....إلخ. لهذا نجد تكثيفاً لورود هذا اللفظ فى الآيات التى تتحدث عن القصص، أكثر من الآيات التى تعقب عليه؛ ففى قصة أهل الكهف ورد فى ثمانى آيات، فى حين لم يرد فى المقدمة إلا فى آيتين من بين تسع آيات. وكذلك لم يرد فى التعقيب على القصة إلا فى آية واحدة وورد فى قصة الرجلين فى خمس آيات، فى حين لم يرد فى التعقيب عليها إلا فى آية واحدة.

وكذلك ورد فى قصة السجود لآدم فى آية واحدة، وهى الوحيدة التى تحدثت عن هذه القصة فى السورة، وورد فى التعقيب عليها من ٥١ : ٥٩ فى آية واحدة فقط. وورد فى قصة موسى مع الرجل الصالح من ٦٠ : ٨٢ فى خمس عشرة آية. وفى قصة ذى القرنين من ٨٣ : ٩٩ فى ثمانى آيات، فى حين لم يرد فى التعقيب عليها من ١٠٠، ١١٠ إلا فى ثلاث آيات فقط.

ولفظ القول إضافة إلى تكرار جذره [ق و ل]، وإلى ما يحدثه هذا التكرار، ليس بين الألفاظ فحسب، بل بين الآيات التى تتكون من هذا اللفظ، إضافة إلى هذا فإن تحقيقه للحوار من بين الأنماط المحققة للتماسك النصى؛ ففيه القول والرد عليه، وفيه السؤال والإجابة عنه ... وهكذا.

ونشير إلى مرجعية التكرار فى لفظ الجلالة والضمائر المتعلقة به، والتى تمثل تكراراً له، فمرجعية داخلية سابقة، إذ ذكر لفظ الجلالة صراحة فى الآية الأولى من السورة.

وكذلك تشابه أطراف هذه السورة المباركة بالمد المفتوح من الأنماط التكرارية التى تحقق تماسكها. وهى من أوجه المناسبة فى السورة.

والسؤال الذى يطرح نفسه : هل هذا التكرار، بالنسبة للكلمات والجمل، مطرد فى السورة كلها، أم تتميز كل قصة بمعجم خاص يتكرر فيها؟

ونقول إن هناك قاسماً مشتركاً من ناحية، وتميزاً لكل منها من ناحية أخرى؛ فأما الأول فتكرار لفظ القول، كما سبق، هو القاسم المشترك بين هذه القصص الخمس، ولا تتميز فيه قصة عن غيرها. وكذلك لفظ الجلالة وما يحيل إليه.

أما الثانى؛ فنجد أن قصة أهل الكهف تكرر فيها، على سبيل المثال، لفظ "الكهف" فى ست آيات : ٩، ١٠، ١١، ١٦، ١٧، ٢٥ . ولم يذكر فى أى من القصص الأخرى. وتكرر لفظ "البعث" فى آيتين ١٢، ١٩ . و"لبثوا أربع

مرات فى الآيات ١٢، ١٩، ٢٦ . و"الفتية" فى ١٠، ١٣ . وكذلك ذات اليمين فى موضعين، "وذات الشمال" فى موضعين وهذه الأنماط لم تتكرر إلا فى قصة أهل الكهف. وبها تميزت عن القصص الأخرى.

أما قصة الرجلين فتميزت بتكرار لفظ "الجنة" فى الآيات ٣٢، ٣٣، ٣٩، ٤٠. وكذلك "قال له صاحبه" فى ٣٤، ٣٧ .

وقصة السجود لآدم، تكرر فيها "اسجدوا" و"سجدوا" ، ولم تتكرر فى أى من القصص الأخرى.

أما قصة موسى مع الرجل الصالح فتكرر لفظ "البحر" فى الآيات ٦٠، ٦١، ٦٣ ولم يتكرر إلا فى خاتمة السورة فى آية واحدة. وتكرر لفظ "الصبر" فى سبعة مواضع من القصة ليتناسب مع موضوع القصة. ولم يتكرر فى القصص الأخرى. وكذلك لفظ "العلم" تكرر فى أربعة مواضع، دون غيرها من القصص ليتناسب مع علم الرجل الصالح وعدم علم موسى بهذه الأمور.

أما قصة ذى القرنين فتميزت بتكرار "أتبع سبباً" ثلاث مرات فى الآيات ٨٥، ٨٩، ٩٢ . ولم تتكرر فى غيرها من الآيات وكذا تكرر "ذو القرنين" فى آيتين ٨٣، ٩٤ .

إذن لم يكن التكرار مطرداً فى السورة؛ بل تميزت كل قصة بنمط معين أو معجم معين تكرر فيها دون غيرها.

ونمط آخر من التكرار فى رد العجز على الصدر؛ فالخاتمة تمثل رداً على المقدمة التى تمثل الصدر؛ فكلتاهما تتحدث عن الكتاب والوحى، وعن البشرى للمؤمنين بالجنة و النذير للكافرين بالنار، وعن الوحدانية؛ فإذا قال الكافرون فى المقدمة: ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾/٤، فإن الخاتمة ترد: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾/١١٠، وإذا كان الكتاب فى المقدمة ﴿لَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا﴾/١، فإنه فى الخاتمة لينفذ ﴿الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ

كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾/١٠٩. وإذا كانت المقدمة تذكر صفة النبى صلى الله عليه وسلم بأنه [عبده]، فإنه فى الخاتمة يوضح صفة أخرى وهى أنه [بشر مثلكم]. وهكذا يُرد عجز السورة على صدرها، مكرراً للدلالات القائمة فى الموضعين.

ونمط أخر من التكرار فى السورة يتمثل فى الآيات التفسيرية لما سبق، كما فى الآية التاسعة :

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾/٩

فإن الآيات التى وردت بعدها قامت بتفسير تلك الآية العجيبة التى أشارت إليها الآية التاسعة، وذلك التفسير بدأ من قوله: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ﴾ /١٠، وحتى قوله ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾/٢٦[1].

ومن الآيات التى تكررت فى السورة كذلك قوله تعالى :

﴿وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾/ ٤

﴿مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾/٢٦

﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾/٣٨

﴿وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾/ ٤٢

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾/٥٢

﴿يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾/١١٠.

فالتكرار هنا أحياناً باللفظ، وكله بالدلالة؛ فالآيات كلها تؤكد قضية عدم الشرك بالله، وأنه لا شريك له فى حكمه، ولا ولد له. وقد عرضنا فى بداية

(١) انظر كذلك ما بين الآيات "٣٠ ، ٣١"، "٣٢، ٣٣"، "٤٥، ٤٦"، ٦٧، ٦٨: ٨٢، فيها تفسير لجملة ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾/٦٧، وكذلك ما بين ٨٣، ٨٤ : ٩٨ . . . . وهكذا.

تحليل السورة، لتكرار بعض الآيات التى توضح ثواب المؤمنين وعقاب الكافرين وأنها تكررت فى الوحدات العشر للسورة.

فوظيفة التكرار فى هذه السورة تأكدت فى كونها حققت تماسكها دلالياً وشكلياً عبر تكرار الكلمات، والعبارات، والجمل، والآيات. وعبر التماسك الدلالى بين الآيات، والقصص كذلك. وعبر رد العجز على الصدر. وعبر الآيات التفسيرية.

سورة "القصـــــص"

ونحاول الآن تأكيد هذه الوظيفة بتحليل سورة أخرى؛ هى سورة "القصص".

يمكن تقسيم هذه السورة كذلك إلى خمس وحدات هى :

١- المقدمة	من الآية ١ : ٣
٢- قصة فرعون	من الآية ٤ : ٤٦
٣- التعقيب عليها	من الآية ٤٧ : ٧٥
٤- قصة قارون	من الآية ٧٦ : ٨٢
٥- التعقيب والخاتمة	من الآية ٨٣ : ٨٨

والهدف من القصتين والتعقيبين واحد؛ بيان عاقبة الاستعلاء فى الأرض، والتكبر فيها، وكذلك بيان استخلاف الفئة المؤمنة المستضعفة، وجعلهم أئمة وجعلهم الوارثين. وبناءً عليه تحمل السورة دلالة متماسكة، على الرغم من اختلاف القصتين.

ووحدة الهدف هذه - كما سبق فى سورة الكهف - توحى بوجود تكرار دلالى فى السورة؛ فالآيتان ٤، ٥ توضحان استعلاء فرعون فى

الأرض، ورغبة الله تعالى، ورغبته مؤكدة الحدوث بالقطع، فى أن يمن على المستضعفين، فيقول تعالى :

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ(٤) وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ(٥)﴾

بل تمتد إرادته سبحانه ورغبته إلى الوعد بالتمكين فى الأرض، والوعيد لفرعون وهامان وجنودهما :

﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾/٦

وكذلك امتدت دلالة العلو فى الأرض والتكبر والفساد إلى قصة قارون فى قوله تعالى:

﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ... الآية (٧٦)﴾

﴿وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾/٧٧

وتتكرر عاقبة كل من فرعون وقارون فى القصتين؛ فالأولى فى قوله تعالى:

﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ(٤٠) وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ يُنْصَرُونَ(٤١) وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ(٤٢)﴾

أما الثانية ففى قوله تعالى :

﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ (٨١)﴾

ثم تتحقق إرادة الله التى ذُكرت فى أول السورة، وذلك فى نهاية السورة فى قوله تعالى:

﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ(٨٣)﴾

ومن الملاحظ تكرار "العلو فى الأرض" كما صدر من فرعون، فى الآيتين ٤، ٨٣ . وكذلك تكرار "الفساد" كما صدر من قارون، فى الآيتين ٧٧، ٨٣. ومن ثم تكررت هذه الدلالة فى القصتين، والتعقيب عليهما أحدث التماسك بينهما فى اتجاهين؛ الأول طبيعة كل من فرعون وقارون، والثانى عاقبة كل منهما. ثم تتكرر دلالة أخرى فى هذه الوحدات؛ وهى نصر الفئة المؤمنة فى الدنيا والآخرة على الفئة الكافرة؛ حيث نجى موسى ومن معه من فرعون، وغرق فرعون وجنوده فى اليم. وفى التعقيب عليها :

﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾

ويبين عاقبة الذين أشركوا :

﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ (٦٤)

وكذلك تنتصر الفئة التى كانت فى قصة قارون بتوبتهم ونجاتهم من الخسف:

﴿لَوْلاَ أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾/٨٢

ثم يؤكد فى التعقيب عاقبة الفريقين :

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾/٨٤.

ثم نأتى إلى دور تكرار الكلمة لنجد تكرار لفظ الجلالة فى ستة وأربعين موضعاً، والضمائر التى تحيل إليه فى مائة وأربعة مواضع، ليكون المجموع مائة وخمسين موضعاً تكرر فيها اسم الله تعالى؛ إما بالاسم الظاهر أو بالضمير الذى يقوم مقامه. وهذا التكرار له ما يبرره؛ إذ إنه سبحانه الذى بيده عاقبة الأمور، وإهلاك الظالمين، ونصر المؤمنين، وإليه تصير مقادير كل شيء.فهو سبحانه المسند إليه تصريف ما فى السورة من أحداث. لذلك كان أكثر الضمائر دوراناً فى السورة ضمير المتكلم الذى يعود إلى الله تعالى

ومن النماذج التى تكرر فيها اسم الله تعالى ظاهراً قوله تعالى :

﴿يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾/ ٣.

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾/٥.

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾/٦٨

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ ... (٧١)﴾

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ ... (٧١)﴾

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ(٧٧)﴾

﴿وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلاَ أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ... (٨٢)﴾

ولا تقف وظيفة التكرار على تحقيق التماسك بين عناصر الآية الوحدة؛ بل يربط كذلك بين آيتين متجاورتين أو أكثر فى مثل قوله تعالى :

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ(٦٨) وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ(٦٩) وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ(٧٠)﴾

وهذا يتحقق عبر علاقة الإسناد، كما هو واضح فى الآيات. وكذلك عبر انتشار لفظ الجلالة فى آيات السورة، وهو يحقق التماسك بين الآيات التى يقع فيها اسم الله تعالى أو ضمير يحيل إليه، ومن ثم يحقق التماسك النصى للسورة كلها.

والوظيفة نفسها تؤديها الضمائر المتعلقة بالله تعالى، مثل قوله تعالى :

﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ(٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ(٦)﴾

ويتكرر هذا الضمير فى آيات كثيرة منها: "وأوحينا – إنا – جاعلوه/٧ ربطنا/١٠. وحرمنا/١٢ فرددناه/١٣ آتيناه – نجزى/١٤ سنشد – ونجعل – بآياتنا/٣٥ آياتنا/٣٦ فأخذناه – فنبذناهم/٤٠. وجعلناهم/٤١ وأتبعناهم/٤٢آتينا – أهلكنا/٤٣ أنشأنا – آتينا. لكنا – كنا/٤٥ نادينا/٤٦ عندنا/٤٨ وصلنا/٥١ آتينا/٥١ آتيناهم/٥٢ أهلكنا – كنا – نحن/٥٨ ... إلخ[1].

الطبيعة القصصية لهذه السورة يجعل الحوار أساساً من أسسها، ولفظ القول من أهم أساليب ذلك الحوار، ومن ثم أثبت الإحصاء أن لفظ القول قد تكرر فى أربعين آية من السورة. لكن درجة تكثيف هذا اللفظ لم تكن مثل السورة السابقة؛ لأنه ورد كثيراً فى التعليق على قصة فرعون، لكنه لم يرد

(١) انظر كذلك الآيات : ٥٩، ٦١، ٦٣، ٦٥، ٦٨، ٦٩، ٧٠ ، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٥، ٨٨ . وكذلك تقوم الضمائر التى تحيل إلى موسى وفرعون وقارون فى تحقيق تماسك القصتين ، كل على حدة.

فى التعليق الأخير مطلقاً؛ فقد ورد فى قصة فرعون فى خمس آيات من بين ست آيات تقص القصة.

ويتحقق التماسك النصى عبر لفظ القول على محورين :

الأول: كون لفظ القول أساساً من أسس الحوار، والحوار نفسه نمط من الأنماط المحققة لتماسك النص كما سبق.

الثانى: تكرار لفظ القول نفسه، باللفظ والمعنى.

ولقد تميزت قصة فرعون عن قارون بتكرار ألفاظ معينة؛ مثل تكرار اسم فرعون فى ستة مواضع من القصة[(١)]. وتكرار اسم موسى عيه السلام فى ست عشرة آية من القصة[(٢)]. وتكرار اسم أم موسى فى ثلاث آيات. وتكرار لفظ "آيات" فى ثلاثة مواضع من القصة. بل هناك جمل تميزت بها قصة فرعون مثل قوله تعال: ﴿نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ تكررت فى آيتين هما ٢١، ٢٥. وكذا قوله تعالى: ﴿تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ تكررت فى آيتين هما ٤٥، ٥٩ [(٣)].

أما قصة قارون، فأول ما تميزت به هو ذكر "قارون" مصرحاً به فى أول القصة ثم ذكره مكرراً عبر الضمائر فى الآيات التالية فى سبعة وعشرين موضعاً فى سبع آيات، مع إعادة ذكره مصرحاً به مرة أخرى فى الآية "٧٩" .

وتشترك القصتان فى تكرار مثل "الإفساد" تكرر فى الآيتين ٤، ٧٧. وكذلك فى تكرار لفظ الجلالة ولفظ القول.

---

(١) هذه المواضع هى فى الآيات : ٣، ٤، ٦، ٨، ٩، ٣٢ .

(٢) هذه الآيات هى : ٣، ٧، ١٠، ١٥، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢٩، ٣١، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٤٣، ٤٤، ٤٨، ٧٦.

(٣) وكذلك تكررت ألفاظ مثل القتل فى ستة مواضع من قصة موسى مع الرجل الذى استغاثه؛ وهى : ١٥، ١٩، ٢٠، ٣٣ . حيث ورد مرتين فى ١٩، ٣٣ . وكذا لفظ الظلم عندما أحسن موسى بظلمه لنفسه بالقتل للرجل، وخشيته من القوم الظالمين، فتكرر فى خمسة مواضع هى: ١٦، ٢١، ٢٥، ٣٧، ٤٠. وورد لفظ السقى فى أربعة مواضع ليتناسب مع حدث السقى للفتاتين، وهى : ٢٣، ٢٤، ٢٥. وورد فى "٢٣" مرتين.

وقد تكررت عبارات فى السورة، بصفة عامة مثل عبارة "فى الأرض"؛ فقد تكررت فى سبعة مواضع من الآية ٤: ٨٣ ونرى أن هذا التكرار يوحى بأن مجرى أحداث القصتين كان فى الأرض، وأنه إذا كان هناك علوّ وتكبرُ وفسادُ، إنه مؤقت، لأنه فى الأرض. وفى هذا تناسب بين الأحداث والألفاظ المعبرة عنها.

وعبارة "يوم القيامة" تكررت كذلك فى خمس آيات [1]. فى قصة فرعون والتعليق عليها، ولم ترد فى قصة قارون والتعقيب عليها. إضافة إلى تكرار كلمات مثل "الكتاب" الذى تكرر فى خمس آيات[2]. كذلك. ولفظ الإرسال؛ حيث إرسال الرسل، ورد فى ست آيات[3]، ليتناسب مع موضوع السورة ودور المرسلين فى إصلاح ما أفسده المفسدون مثل فروعون وهامان وقارون وغيرهم.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلاَ تَسْمَعُونَ﴾/ ٧١

وقد تكررت آيات بكاملها مثلما حدث بين الآيتين ٧١، ٧٢ . فى قوله تعالى :

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾/ ٧٢[4].

وكذلك تكررت الجملة:

﴿لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ فى الآيتين ٧٠، ٨٨ [5].

---

(١) هى ٤١، ٤٢، ٦١، ٧١، ٧٢

(٢) هى ٢، ٤٣، ٤٩، ٥٢، ٨٦

(٣) هى ٧، ٣٤، ٤٥، ٤٧، ٥٩، ٦٥

(٤) سوف نعرض فى فصل المناسبة، مناسبة ختم الآية ٧١بـ ﴿فَلاَ تَسْمَعُونَ﴾ و٧٢ بـ ﴿أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾.

(٥) وكذلك قوله تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾/ ٢١
: ﴿قَالَ لاَ تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾/ ٢٥ .

ورد العجز على الصدر فى السورة واضح بين اول السورة وخاتمتها؛ يقول تعالى:

﴿آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ(٢) نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ(٣)﴾ و ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلاَّ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ(٨٦) وَلاَ يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ(٨٧)﴾

فنلاحظ "آيات الله" فى العجز و"آيات الكتاب" فى الصدر، وكذلك "الكتاب" فى العجز تعود على الكتاب فى الصدر هذا إضافة إلى وحدة دلالة العجز والصدر فى الحديث عن الكتاب، كما سيتضح فى فصل المناسبة وكذلك على مستوى الآية فى قوله تعالى :

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا . فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾/٣٣

رد العجز على الصدر

ومن أنماط التكرار الأخرى فى السورة؛ الجمل التفسيرية؛ فالجمل أو الآيات من ٤ : ٧٥، هى تفسير للآية (٣) فى قوله تعالى :

﴿نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾/٣

فقد وردت هذه الآية إخباراً للرسول صلى الله عليه وسلم أن الله سوف يخبره نبأ موسى عليه السلام وفرعون. ثم جاءت الآيات من ٤ : ٧٥ لتفسير هذه القصة والتعليق عليها بما يتناسب من آيات.

ونرى كذلك أن السورة كلها تفسيرية للآية (٢) :

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾/٢

لأن ما حدث فى قصتى موسى مع فرعون وهامان وجنودهما، وما حدث لقارون بعد تكبره واستعلائه، هذا يُعد – بالفعل من آيات الله تعالى فى خلقه.

وهكذا التقت أنماط التكرار المختلفة للإسهام فى تحقيق تماسك هذه السورة المباركة؛ فكان التكرار باللفظ والمعنى للكلمة والعبارة والجملة والآية. وكذلك التكرار الدلالى الناتج عن وحدة الهدف من القصتين. وكذا رد العجز على الصدر؛ عجز السورة على صدرها. ثم الجمل التفسيرية المتمثلة فى السورة كلها، حيث فسرت الآية المذكورة فى صدر السورة؛ الآية الثانية، ومن ثم فمرجعية هذه الجمل التفسيرية كلها، عبر التكرار، داخلية سابقة. وكذا مرجعية العجز على الصدر، هى مرجعية سابقة داخلية. ونستنتج من هذا التحليل النصى للسورة أنها متماسكة شكلاً ودلالة. وينقلنا التحليل النصى إلى سورة أخرى من السور المكية؛ سورة "الملك".

سورة "المـــــــلك"

أول أنماط التكرار فى سورة "الملك"، نمط الجمل التفسيرية؛ فاللافت للنظر أن آيات السورة كلها تفسيرية للآية الأولى فى السورة، حيث إنها. كما ذكرنا- مفتاح السورة، يقول تعالى فى الآية الأولى :

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

إذ تشير إلى ملك الله تعالى، فتأتى الآيات من ٢ : ٣. مفسرة لهذا الملك؛ وكأنى بكل آية تتكرر فيها كلمة "الملك"، لتقول مُلك الله فى خلق الموت والحياة، وخلق السموات السبع طباقاً،وتزيينها بمصابيح، وجعل تلك المصابيح رجوماً للشياطين، ومُلكه فى إعداده عذاب السعير، وفى بعثه النذير، وفى علمه بذات الصدور، وفى تذليل الأرض للعباد، وفى النذير بخسفها إن أراد وإرسال الحاصب، وفى حفظ الطير فى السماء، وفى امتلاكه للرزق، وفى خلقه للسمع والبصر والفؤاد، وفى علمه الغيب....إلخ. لذلك تنتهى السورة بإقرار الإيمان بالله والتوكل عليه فى قوله تعالى :

﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ... الآية (٢٩)﴾

وكذلك تأتى الآية الأخيرة لتقرر هذه الحقيقة عبر سؤال تقريرى :

﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾/٣.

بالطبع هو الله المالك لكل شىء فى الدنيا وفى الآخرة، فى الظاهر والباطن، وفى عالم الواقع وعالم الغيب.

إذن هذه السورة تفسيرية للملك المذكور فى الآية الأولى، وإن شئت فقل هذه السورة كلها من ١: ٣٠ تفسيرية لاسمها "الملك" ومن ثم نؤكد أن هذه الآيات كلها تكرار لكلمة الملك عبر اتجاهات مختلفة[١].

ولعل هذا يفسر تكرار اسم الله تعالى ظاهراً ومضمراً فى السورة، فى أربعة وخمسين موضعاً، منها خمسة مواضع الاسم "الله" و"رب"، وثمانية وثلاثون موضعاً للضمائر التى تحيل إليه سبحانه، وهى من التكرار، ومنها كذلك أحد عشر موضعاً لعدد من أسماء الله الحسنى. وهذا كله للتأكيد عل أمرين أساسين هما:

الأول : إقرار ملك هذه الأشياء كلها لله تعالى دون سواه.

الثانى: وهو متعلق بالأول؛ إذ هذا يتطلب التكرار للتذكير بما لك هذه الأشياء كلها حتى يحدث التماسك النصى لآيات السورة؛ فقد أكدنا – فيما سبق – أن تكرار الاسم، أوالضمير المحيل إليه، فى الآيات لا يحقق التماسك النصى بين الأسماء المكررة فحسب، بل يحققه بين آيات السورة كلها. ومن ثم نؤكد تماسك هذه السورة عبر تكرار اسم الله تعالى فى آياتها.

وهذا التكرار للفظ الجلالة او الضمير أو اسم من أسمائه الحسنى، تحقق التماسك بين عناصر الجملة الواحدة او بين عناصر الآية الواحدة، وبين آيتين أو أكثر، ومن ثم بين آيات السورة كلها. فمن الأول قوله تعالى :

---

(١) يُلاحظ أن مرجعية هذه الآيات التفسيرية كلها سابقة لأنها كلها تحيل لما سبق.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾/ ١

و: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾/٢

و: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾/١٥

و: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ﴾/٢٣(١).

فيتكرر أحياناً ست مرات، وأخرى خمس مرات، وثالثة أربع مرات، وكلها لتأكيد الإسناد إلى الله تعالى. ولتقرير التماسك فى هذه الآيات.

ومن النماذج التى تربط بين أكثر من آية قوله تعالى فى الآيات ١، ٢، ٣ :

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾/١

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾/٢

﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ .. الآية /٣﴾

فقد أسهمت الضمائر وأسماء الله الحسنى فىتحقيق تماسك هذه الآيات مع بعضها، إضافة إلى وحدتها الدلالية؛ فكلها ترجع إلى مرجع واحد. ونهاية الآيتين ١، ٢، بأسماء الله الحسنى، والتشابه فى حرف الراء الأخير من الآيتين، بل فى الآيات الثلاث، من العوامل المساعدة فى تحقيق تماسكها كذلك.

ومن نماذج هذا النمط كذلك، الآيات ٦، ٧، ٨ :

(١) انظر كذلك الآيات ٥، ١٣، ١٤، ١٦، ١٧، ١٩، ٢٤، ٢٨، ٢٩ .

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ(٦) إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ(٧) تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ(٨)﴾

فالضمائر كلها تُعد تكراراً للاسم الظاهر "جهنم" المذكور فى الآية "٦" ومن ثم تلتقى الآيات الثلاثة حول محور واحد، ويُسهم التكرار هنا فى هذه الالتقاء، وفى تحقيق وحدتها الدلالية، وفى تحقيق تماسكها النصى. إضافة إلى تشابه أطراف هذه الآيات الثلاثة : "المصير- تفور- نذير". وقبل هذه الآيات يقول تعالى :

﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾/٥ وبعدها يقول: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾/١٠. و ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾/١١

ولا يخفى ما لهذا التكرار من وظيفة فى تحقيق تماسك الآيات فى الشكل والدلالة، فالضمائر، والأسماء الظاهرة، كلها تعود إلى جهنم، نعوذ بالله منها.

وقد يحدث التماسك النصى بين آيات يفصل بينها عدد كبير من الآيات الأخرى، لكن الدلالة، والتكرار اللفظى، يسهمان فى تماسكها؛ يقول تعالى :

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾/٢

ثم ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾/١٥

ثم ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ ... الآية (٢٤)﴾

و ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾/٢٥

و ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ الآية (٢٩)

ويتحقق التماسك النصى بين الآيات كذلك عبر الاستفهامات المختلفة فى السورة الكريمة، منها قوله تعالى :

﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾/١٦

﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ /١٧

وكذلك قوله تعالى :

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ الرَّحْمَنُ .. الآية (١٩)﴾

﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ ... الآية (٢٠)﴾

﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ ... الآية (٢١)﴾

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ(٢٨)﴾

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ(٣٠)﴾

فكلها أسئلة تجمعها إجابة واحدة :

﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ... الآية (٢٩)﴾ [(١)].

ويلاحظ كذلك تحقق التماسك النصى عبر أسلوب الحوار؛ فقد تكرر لفظ القول فى إحدى عشرة آية من السورة[(٢)]؛ فنجد الآية التاسعة إجابة عن

(١) كذلك تكررت ألفاظ وعبارات كثيرة مثل لفظ الخلق فى ٢، ٣، ٤ " والذى خلق" فى ٢، ٣. "والبصر" ثلاث مرات فى ٣، ٤ . "وارجع البصر" فى ٣، ٤. و"عذاب" فى ٥، ٦، ٢٨. "نذير" من ٨، ٩، ١٧، ٢٦. وأصحاب السعير" فى ١٠، ١١، و"السماء" فى ٣، ٥، ١٦، ١٧، و" أمن هذا الذى" فى ٢٠ ، ٢١، و"الذين كفروا" فى ٦ن ٢٧، و"قل أرأيتم فى ٢٨، ٣٠، و"أأمنتم من فى السماء" فى ١٦، ١٧ .

(٢) هذه الآيات هى : ٩، ١٠ ، ١٣، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠ .

سؤال فى الآية الثامنة، وتمتد الإجابة حتى الآية العاشرة كذلك، ومن ثم يتكرر فعل القول (قالوا – وقلنا – وقالوا). ثم تُكثف أفعال القول ومشتقاته فى الآيات الأخيرة من ٢٣ : ٣٠، وهى تعبر عن أوامر موجهة إلى النبى صلى الله عليه وسلم فى ٢٣ : ٢٤، ثم يأتى السؤال والإجابة عنه فى ٢٥، ٢٦ . ويمتد الحوار من الله تعالى إلى نبيه حتى الآية الأخيرة. وقد ذكرنا كيف تتماسك الآيات التى بها لفظ القول فيما سبق من تحليل.

ومما سبق يتضح كيف أسهم التكرار فى تحقيق تماسك هذه السورة، إضافة إلى غيره من الوسائل كما يتضح كل منها فى مكانه.

ســــــورة " نـــــــوح"

أما سورة "نوح" فإنها – كما سبق بيانه – تدور حول ثلاثة محاور هى:

١– المرسل وهو الله تبارك وتعالى فى إرساله نوحاً وتكليفه بالدعوة.

٢– المتلقى المباشر وهو نوح عيه السلام الذى تلقى التكليف وقام بالدعوة.

٣– المتلقى غير المباشر وهم قوم نوح عليه السلام الذين تلقوا الدعوة من خلاله، لكنهم أعرضوا والاستمرارية الكائنة بين هذه المحاور الثلاثة، تحققت من خلال التقائها حول قضية واحدة؛ قضية الدعوة ، وموقف الأطراف الثلاثة منها. ومن ثم يبرز التماسك الدلالى عبر هذا الالتقاء الدلالى بين المحاور الثلاثة.

وبناء على هذا التقسيم نجد التكرار تتركز حركته حول هذه المحاور، فقد تكرر لفظ الجلالة "الله" و"رب" فى اثنى عشر موضعاً، وتكررت الضمائر التى تحيل إليه سبحانه، وهى بمثابة تكرار الاسم الظاهر، فى ستة وعشرين موضعاً. فهو إذن يمثل المسند إليه الأول فى السورة. وهذا التكرار يحقق تماسك عناصر الآية الواحدة، ويحققه فى أكثر من آية؛ فالأول منه قوله تعالى:

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(١)

﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾(٣)

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لاَ يُؤَخَّرُ﴾/٤

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ (١٠)

﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾(١٢)

﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ (١٦)

﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾(١٨)

ومن نماذج الثانى الذى يحقق التماسك بين أكثر من آية قوله تعالى :

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا(١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا(١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا(١٢) مَا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا(١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا(١٤) أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا(١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا(١٦) وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتًا(١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا(١٨) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا(١٩)﴾.

فقد تكرر لفظ الجلالة، واسم من أسمائه الحسنى، والضمائر التى تحيل إليه، فىهذه الآيات التسع، سبع عشرة مرة. وكذلك تجد التماسك النصى قائماً بينها عبر علاقة الإسناد إلى الله تعالى. وعبر تشابه أطراف هذه الآيات "غَفَّارًا – مِدْرَارًا – أَنْهَارًا – وَقَارًا – أَطْوَارًا – طِبَاقًا – سِرَاجًا – نَبَاتًا – إِخْرَاجًا – بِسَاطًا". وعبر استعمال المفعول المطلق أحياناً مثل "يُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا". هذا إضافة إلى أن تكرار الاسم فى أكثر من آية يحقق التماسك بين هذه الآيات.

أما المحور الثانى، فى هذه السورة، فهو التكرار المتصل بنوح عليه السلام، فقد تكرر فى ثلاثة مواضع فى الآيات ١،٢١، ٢٦ ظاهراً ، وتكرر عبر الضمائر فى ستة وعشرين موضعاً من السورة.

فقد ذكر صراحة فى الآية الأولى فى قوله تعالى :

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١)

ولا يخفى هذا التكرار الرباعى لنوح فى آية واحدة، وما يحققه من تماسك بين عناصرها. وذلك ما حدث فى كثير من الآيات منها قوله تعالى :

﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾/٢

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا﴾/٥

﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾/٩

﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَارًا﴾ /٢١

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾/٢٦

﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا ...﴾ الآية ٢٨

وكذلك يسهم هذا التكرار فى تحقيق التماسك النصى بين أكثر من آية، مثل قوله تعالى من ١: ١٠ "نوحاً – قومه – أنذر – قومك/١ قال – يا قوم – إنى /٢ وأطيعون/٣ قال – رب – إنى – دعوتُ – قومى /٥ دعائى /٦ وإنى – دعوتهم/٧ إنى – دعوتهم/٨ إنى – أعلنتُ/٩ فقلت/١٠ .

فقد تكرر إحدى وعشرين مرة فى تسع آيات ما بين الاسم الظاهر، والضمير المتصل بالفعل والأسم والأداة. ثم ينقطع هذا التكرار من ١١: ٢٠، لكنه مكرر بصورة ضمنية؛ فالآيات من ١١: ٢٠ هى مقول القول الذى أشار إليه فى الآية "١٠"، ويمكن أن نعدها تفسيرية لهذا القول، وهذا نمط آخر من التكرار. والقول هذا مسند إلى نوح عليه السلام، ومن ثم فتكراره فيها من ١١: ٢٠ تكرار ضمنى. ومع ذلك لما طال العهد ولم يُذكر نوح صراحة، ولا ضميراً، وبعد تسع آيات، نجد ظهور اسم نوح مرة أخرى فى (٢١)

ليحدث التماسك بين السابق واللاحق، وتتوالى الضمائر لتكرار اسم نوح فى الآيات مثل (نوح – رب – عصونى)/٢١ رب/٢٦ رب – لى – لوالدى – بيتى /٢٨. والآيات كذلك من ٢٢ : ٢٤، التى لم يذكر فيها نوح عليه السلام، ولم تذكر ضمائر تشير إليه، هى مقول القول الذى أشير إليه فى "٢١" لذلك استعمل العطف للربط بين هذه الأقوال. وهذا ما حدث كذلك فى الآية "٢٧" التى لم يذكر فيها ما يشير إلى نوح لفظاً، لكنه ضمنياً، إذ إنها مقول القول.

إذن نخرج من تحليل هذا المحور بأن نوح عليه السلام قد ذكر مكرراً فى آيات السورة كلها، باستثناء الآية "٢٥" ومن ثم فهذه الآيات متماسكة نصياً من حيث الشكل والدلالة.

أما المحور الثالث، المتعلق بقوم نوح، فقد صُرح بلفظ "قوم" فى أربع آيات، ثم تكررت الضمائر. التى تشير إليهم فى آيات السورة كلها، فى أربعة وأربعين موضعاً. منها ما يحقق التماسك بين عناصر الآية الواحدة، وهذا كثير[1]، نذكر منها قوله تعالى :

﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ (٧)

﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾ (٢٢)

﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ (٢٥)

فقد تكرر فى (٧) تسع مرات، مبالغة فى إعراضهم وكفرهم، وتأتى الآية (٢٢) لتؤكد هذا الإعراض بتكرار الضمير، والمفعول المطلق الذى هو تكرار للفظ الفعل، ولم يكن مكراً كبيراً فحسب، بل كباراً. ثم يأتى الجزاء مكرراً فيه الضمير الذى يعودعليهم فى "٢٥" خمس مرات، ليتناسب

(١) مثل ١، ٢، ٣، ٤، ٧، ٩، ١٠، ١٢، ١٣، ١٨، ٢١، ٢٣، ٢٥، ٢٧ .

العذاب مع الإعراض والمعصية. ولا يخفى ما لهذا التكرار من تحقيق لتماسك الآية المفردة.

أما نماذج النمط الثانى الذى يُحقق التماسك بين أكثر من آية، فإن ملاحظة تكرار اسمه، والضمائر التى تحيل إليه، وهى نمط من التكرار، ملاحظة هذا التكرار على مستوى الآيات كلها يؤكد تماسك هذه الآيات كلها فيمابينها.

إذن المحاور الثلاثة تكررت بصورة تؤكد تماسك السورة؛ بين عناصر الآية الواحدة، وبين عناصر السورة بصفة عامة، أو بين آياتها كلها.

والسورة كلها يطبعها محوران أساسيان :

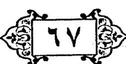
- الإسناد، وهذا تبين من خلال عرض إسناد هذه الأمور إلى الله تعالى، ونوح عليه السلام، وقوم نوح.

- الحوار؛ فالسورة كلها تُعد حواراً بين الله تعالى، ونبيه نوح عليه السلام، وقوم نوح. ولا يخفى ما فى لغة الحوار من تماسك نصى بين المرسل أو المتكلم والمخاطب والنص. وكذلك بين جزيئات النص وعناصره الذى هو نتاج الحوار القائم بين المرسل والمستقبل.

ونستطيع القول كذلك إن الآيات من ٢ : ٢٨ آيات تفسيرية للتكليف الذى أقره الله على نوح، ليكلف به قومه. وهذا ما حدث بالفعل، فالآيات كلها تفسر طبيعة هذا التكليف، ورد فعل قوم نوح. وهذا النمط يُعد من أنماط التكرار الكائنة فى السورة والمحققة لتماسكها النصى(١).

وهناك تكرار يتناسب مع موضوع السورة مثل النذير فى ١، ٢، والدعوة فى ٥، ٦، ٧، ٨ . والدعاء على الظالمين: ﴿وَلاَ تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ

(١) "قال أبو الفتح بن جنى : ومتى كانت الجملة تفسيراً لم يحسن الوقف على ما قبلها دونها لأن تفسير الشىء لاحق به، ومتممٌ له ... " انظر: الزركشى: البرهان، ٣/ ٢٧ وهو فى هذا يشير إلى شدة التماسك بين الجمل المفسرة والجملة المفسرة.



ضَلالاً﴾/٢٤ ﴿وَلاَ تَزِدِ الظَّالمِينَ إلاَّ تَبَارًا﴾/٢٨، والضلال فى ٢٤، ٢٧، والاستكبار مرتين فى آية "٧"، وطلب الاستغفار فى ١٠ أكثر من مرة، وطلب المغفرة فى ٢٨ .

مما سبق يتضح دور التكرار فى تحقيق التماسك النصى لسورة نوح.

ســـورة " الجـــن"

أما سورة " الجــن" فإن محورها الرئيسى هو الجن؛ فقد حدث منهم أقوال وأفعال، ذكرها الله بالوحى إلى رسوله صلى الله عليه وسلم، مع الإشارة إلى مصير كل من المؤمنين والكافرين. لهذا فالتكرار يمر على هذه المحاور كذلك.

١- الله تعالى. ٢- الرسول صلى الله عليه وسلم.

٣- الجن. ٤- الذين آمنوا. ٥- الذين كفروا.

فقد تكرر لفظ الجلالة "الله" و"رب" فى ثمانية عشر موضعاً بالاسم الظاهر، وأحد عشر موضعاً مضمراً، ليكون الحاصل، تكرار اسم الله تعالى فى تسعة وعشرين موضعاً من السورة. ومع ذلك لم يُذكر فى آيات السورة كلها.

فعلى مستوى الآية الواحدة تجد تكراراً للاسم الظاهر فى قوله تعالى:

﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَتَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾/١٨

﴿إلاَّ بَلاَغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالاَتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ ...﴾ .. الآية(٢٣)

وكذلك الاسم الظاهر والضمير فى الآية الواحدة كما فى قوله تعالى :

﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلاَ وَلَدًا﴾ /٣.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعجِزَ اللَّهَ فِي الأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا﴾/١٢

﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾/١٧

﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾/٢٠

﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاَتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ (٢٨)

وكذلك يسهم تكرار اسم الله تعالى فى تحقيق تماسك أكثر من آية كما فى قوله تعالى :

﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا(٢) وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلاَ وَلَدًا(٣) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا(٤) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا(٥) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعجِزَ اللَّهَ فِي الأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا(١٢) وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلا يَخَافُ بَخْسًا وَلاَ رَهَقًا(١٣)﴾

وكذلك بين الآيات ١٧، ١٨، ١٩، ٢. وكذلك ٢٢، ٢٣ . ولا شك أن النص كله مقول القول لله تبارك وتعالى، وأن السماح للجن بسماع القرآن كان من أمر الله ... ومن ثم فتكرار لفظة بهذه الصورة أمر طبيعى يتناسب مع أحداث السورة.

أما المحور الثانى : فهو المتلقى المباشر للنص القرآنى؛ الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد بدأت السورة بالأمر المباشر من الله تعالى إليه (قل)؛ فالآيات التالية كلها مقول القول، لذلك يتكرر (قل) مرة أخرى فى "٢٠" و"٢١ " و "٢٢"و "٢٥" . وكذلك تكرر لفظ "رسول" والضمائر التى تحيل إليه فى خمسة عشر موضعاً من السورة.

لكن المحور الأساسى للسورة هو المحور الثالث؛ "الجـــــن"، الذى به نرى اسم السورة، لذا فقد تكرر ظاهراً فى ثلاثة مواضع، ومضمراً فى ستة وثلاثين موضعاً، أى ورد فى تسعة وثلاثين موضعاً فى سورة آياتها ثمان وعشرون، وقد ورد ظاهراً فى الآية الأولى، مفتاح السورة :

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾

وفيها كذلك تكرر ثلاث مرات عبر استعمال الضمائر فى "قالو- إنا- سمعنا"، وهذا بدوره يؤدى إلى تماسك عناصر الاية. ومنه كذلك قوله تعالى :

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾/٥

وكذلك قوله تعالى :

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾/٨

﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ...﴾ الآية (٩)

﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾/١١

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعجِزَ اللَّهَ فِي الأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا﴾/١٢

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ﴾ الآية (١٣)

﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾/١٤

﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾/١٥.

وهذا التكرار تبدو وظيفته كذلك فى تحقيق التماسك بين أكثر من آية، كما هو واضح بين الآيات ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦ ... إلى الآية "١٥"؛ إذ كلها تتكون من اسم الجن ظاهراً، ومضمراً؛ وهذا كما أكدنا مراراً، يحقق التماسك النصى بين الآيات التى بها ما يتعلق بالجن.

وإذا كنا - فى فصل الضمائر - أثبتنا مرجعية الضمائر كلها إلى لفظ الجن المذكور فى الآية الأولى، فإن ما قيل هناك يمكن تأكيده هنا ما دامت الضمائر قد قامت مقام الاسم الظاهر، ومن ثم فمرجعية التكرار هنا مرجعية داخلية سابقة. وكذلك مرجعية التكرار فى لفظ الجلالة والضمائر المتصلة به؛ فقد ذكر ظاهراً فى الآية الثانية "ربنا" ثم ورد مكرراً بلفظة ولفظ الجلالة والضمائر، ومن ثم فمرجعيته مثل مرجعية تكرار ما يتعلق بالجن. أما ما

يتعلق بالرسول صلى الله عليه وسلم، فلم يُصرح به فى الآية الأولى، ولم يُصرح به ظاهراً إلا بعد اثنتين وعشرين آية من السورة، ثم فى الآية السابعة والعشرين كذلك. فمن ناحية الدلالة نقول إن مرجعية التكرار هنا داخلية لأن اسم الرسول معلوم ضمنياً لدى متلقى النص، هذا إضافة إلى ذكره فى آيات متأخرة. لكن من ناحية قوانين علم اللغة النصى الخاصة بترتيب المحيل والمحال إليه، نقول إن مرجعية التكرار هنا إما أن تكون خارجية سابقة لأنه لم يصرح به حتى الآية"٢٢٠"، أو تكون داخلية لاحقة، حيث تشير الضمائر إلى لفظ "رسول" الظاهر فى هذه الآية "٢٣"، وهى فى هذا تنافى القاعدة النصية التى تقول إن مرجعية التكرار سابقة. وعلى كل الأحوال فمرجعية التكرار هنا ليست مبهمة؛ لأن متلقى الوحى المباشر هو رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهنا يبرز دور قارئ النص ومعرفته بسياقه.

والآيات التفسيرية تظهر كذلك فى السورة، كما بين الآيتين ١، ٢؛ حيث ذكرت الأولى "القرآن" ، ثم فسرته فى الثانية بأنه " يهدى إلى الرشد ... وكذلك ما بين ١٤، ١٥؛ فقد ذكرت "١٤" نوعين من الجن؛ المسلمين والقاسطين، ثم فسرت الجملة التالية فى ١٤ النوع الأول، والآية ١٥ فسرت النوع الثانى. والنظرة الأشمل تُظهر أن الآيات من ٢: ١٥ تفسر القول الذى أشار إليه الجن فى الآية الأولى " فقالوا إنا سمعنا" ...إلخ. وقد أكد علماؤنا – كما أشرنا – شدة التماسك بين المفسر والمفسر.

أما المحور الرابع والخامس ، فيظهر الأول فى قوله تعالى :

﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾/٢٣

﴿حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾/٢٤

والخامس فى قوله تعالى :

﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ ...﴾ الآية (١١)

﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ ... فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾/ ١٤

وهنا كذلك تكرار لآيات مثل قوله تعالى :

﴿وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾/٢

﴿فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾/١٨

﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾/٢٠

وكذلك قوله تعالى :

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الإِنْسُ ...﴾ /٥

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعجِزَ اللَّهَ ...﴾ /١٢

وكذلك :

﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾/٢

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ﴾/ ١٣

وكذلك يتحقق التماسك النصى للسورة عبر تشابه أطرافها؛ أطراف آياتها كلها؛ " عَجَبًا – أَحَدًا – وَلَدًا – شَطَطًا – كَذِبًا – رَهَقًا – أَحَدًا – شُهُبًا – رَصَدًا – رَشَدًا – قِدَدًا – هَرَبًا – رَهَقًا .. إلخ. وتشابه الأطراف من أنماط التكرار، لكن ليس تكراراً بالدلالة، لكنه تكرار صوتى، فكلها تنتهى بالوزن {فعلن} باستثناء الآية "٢٢" "ملتحداً".

وهناك تكرار دلالى كذلك مثلما ظهر فى الآيات ٢،١٨، ٢٠، ٢٢، ٢٦ فكلها تؤكد دلالة الوحدانية لله تعالى. إضافة إلى أن الآيات تعبر عن موقف الجن من القرآن الكريم بعد سماعه من رسول الله.

إذن أسهمت أنماط عديدة من التكرار، على مستوى الكلمة والجملة والآية، وعلى المستوى الشكلي أو الصوتي والدلالي، أسهمت كلها في تحقيق تماسك سورة الجن.

سورة "المزمـــــل"

أما سورة "المزمــل"، التي تعبر عن الواجب توفره لدى النبي صلى الله عليه وسلم كي يقوم بأعباء رسالته التي كلفه الله بها وجعلها "قولاً ثقيلاً"، فإن الحوار فيها صريح من الله إلى رسوله على الرغم من عدم ذكر لفظ القول فيها إلا مرة واحدة. فالنداء من الله تعالى، والمنادى هو رسول الله. ومن ثم تكرر لفظ الجلالة وما يحيل إليه في سبعة وعشرين موضعاً، منها ثمانية مواضع بالاسم الظاهر في آية واحدة هي الآية العشرون. وكذا تكرر اسم الرسول بذكر صفة من صفاته في الآية الأولى، ثم أتت الضمائر التي تحيل إليه، ولم يذكر لفظ الرسول إلا مرة واحدة في الآية "١٥"، تكرر ذلك في ثمانية عشر موضعاً من السورة. ولما كانت السورة تهدف إلى تقوية جبهة الرسول لحمل الرسالة ومواجهة المشركين، كان من هذه العُدّة قيام الليل، ترتيل القرآن، الذكر في النهار، التبتيل إليه، الصبر على الأذى، ثم ترك الأمر أمر عقابهم إلى الله. ومن ثم تكرر ما يدل على هذه الأمور في أكثر من موضع في السورة كما سنشير.

أما لفظ الجلالة فلم يذكر في أول السورة، بل ذكرت ضمائر تحيل إليه، ابتداء من الآية الخامسة:

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾

ثم ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾/٨

ثم يربط بين هذه الآية وما تليها بتكرار لفظ "رب" وضميرين معه في الآية "٩"

﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً﴾
﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ ...﴾ الآية /١١
﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالاً وَجَحِيمًا﴾/١٢

فقد ربط بين الآيتين ١١، ١٢ كذلك بتكرار الضمير الذى يقوم مقام الاسم الظاهر فيهما. ثم يربط بين عناصر آية أخرى بتكرار الضمير أكثر من مرة فيها:

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً﴾/١٥

ثم يتكثف التكرار للفظ الجلالة ظاهراً فى الآية العشرين فى ثمانية مواضع من الآية، وكذلك فى خمسة مواضع مضمراً، وفى موضعين بذكر اسمين من أسمائه تعالى، وبذلك يُكرر فى الآية فى خمسة عشر موضعاً. وكل منها فى جملة، وبذلك يتماسك نص هذه الآية عبر تماسك جُمله.

أما رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيبدأ النص بذكره عبر صفة "المزمل" ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾/١ ثم تتوالى الأوامر الموجهة إليه: " **قُمِ اللَّيْلَ – انْقُصْ مِنْهُ – أَوْ زِدْ – رَتِّلِ الْقُرْآنَ – وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ – تَبَتَّلْ إِلَيْهِ – فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً – وَاصْبِرْ – وَاهْجُرْهُمْ – وَذَرْنِي – وَمَهِّلْهُمْ** " ويذكر فى أفعال أخرى غير الأمر، وكذلك يتصل بحروف للجر مثل:

"**عَلَيكَ – رَبَّكَ – أَنَّكَ – تَقُومُ – مَعَكَ**" ويذكر ضمنياً مع الخطاب الموجه إليه مع الطائفة الذين معه فى مثل: "**تُحْصُوهُ – عَلَيْكُمْ – فَاقْرَءُوا – مِنْكُمْ – يَضْرِبُونَ – يَبْتَغُونَ – يُقَاتِلُونَ – فَاقْرَءُوا – وَأَقِيمُوا – وَآتُوا – وَأَقْرِضُوا – تُقَدِّمُوا – لأَنْفُسِكُمْ – تَجِدُوهُ – وَاسْتَغْفِرُوا**". وإذا كنا نعد رسول الله مذكوراً فى هذه الضمائر التى تعود إلى الطائفة التى معه، فإن ذكر رسول الله قد تكرر فى ثلاثة وثلاثين موضعاً من السورة. وهكذا تتحقق استمرارية النص وتماسكه عبر تكرار لفظ الجلالة، ورسول الله صلى الله

عليه وسلم. إضافة إلى وحدة دلالة السورة المباركة فى كونها وصايا للرسول والذين آمنوا معه.

وتكرار لفظ "الليل" له أهمية خاصة فى هذه السورة كذلك؛ فقد ذُكر الليل فى بداية السورة فى خمسة مواضع "**اللَّيْلَ – نصْفَهُ – منْهُ – عَلَيْه – اللَّيْلَ**". وعُلِمَ مما سبق أن الآية التاسعة عشرة قد خَتمت النصَ أو الشَطر الأول من النص من الناحية الزمانية فقط. ثم بعد اثنى عشر شهراً نزلت الآية العشرون، وحتى تتماسك مع الآيات من ١: ١٩ تكرر ذكر الليل مرة أخرى فى الآية العشرين فى أربعة مواضع " **اللَّيْلَ ، نصْفَهُ – ثُلُثَه ، اللَّيْل**". كما ذُكر الليل فى بداية الآيات، ذُكر بعد القرآن. لذلك تكرر ذكره فى الآية العشرين مرة أخرى باللفظ نفسه ﴿**فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ**﴾ .

ثم بالضمير فى ﴿**فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ**﴾

وبذلك تتماسك آيات السورة على الرغم من التباعد الزمنى بينها، فإنها تماسكت دلالة.

ونظراً لخلو السورة من الطابع القصصى، فإنها كذلك خلت من لفظ القول، إلا فى موضع واحد منها. وهذا تناسب بين موضوع السورة وما ورد فيها من كلمات وجمل وآيات.

وهناك تكرار من نوع آخر تتسم به هذه السورة؛ وهو تكرار صيغة معينة من الأفعال، وهى صيغة الأمر؛ فقد تكررت ست عشرة مرة فى السورة. والأمر فيها موجه من قائل النص الله تعالى، إلى مستقبله صلى الله عليه وسلم، وكذلك الطائفة من المؤمنين. هذا إضافة إلى تشابه أطراف الآيات من ٢: ١٩ .

ونرى أن حديث النص عن الليل وعن القرآن فى الآية الأخيرة، والآيات الأولى، فيه نوع من "رد العجز على الصدر"، وهو نمط من أنماط التكرار

المحققة للتماسك النصى لسورة المزمل. وكذلك الآية الثالثة تفسيرية للآية الثانية؛ حيث إنها تفسر "إلا قليلاً". وكذلك الآية الثامنة عشرة، هى تفسيرية للآية السابعة عشرة، لأنها تفسير لذلك اليوم الذى يجعل الولدان شيباً.

والآيات من ١٢ : ١٩ ذات دلالة واحدة؛ فهى تحمل الوعيد والنذير والعقاب للذين لم يؤمنوا، ومن ثم وُصف ذلك العذاب لهم ليتذكروا، ومن ثم ربط بينها فى الآية "١٩" بقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾/١٩، ومن ثم فهى إجمال بعد تفصيل، وكما أن التفسير بعد الإجمال نمط من التكرار، فإن الإجمال بعد التفصيل نراه كذلك.

* أما التكرار فى سورة "**الضحــى**"؛ فقد تكرر فيها اسم الله تعالى فى عشرة مواضع، منها ثلاثة ظاهرة، وسبعة مضمرة وعلى الرغم من قصر السورة، فإن هذا التكرار قد أسهم فى تحقيق تماسك آياتها فيما بينها، وتماسك عناصر الآية الواحدة؛ ففى الآية الثالثة يتكرر مرتين فى قوله تعالى :

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾/٣

وكذلك فى الآيات ٦، ٧، ٨، تكرر فيها كما حدث فى الآية الثالثة :

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى(٦)وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى(٧)وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى(٨)﴾

مع ملاحظة تكرار النمط النحوى فى هذه الآيات، وهو نمط من أنماطه التكرارى فى النص القرآنى. وكون هذه الضمائر التى تقوم مقام الاسم الظاهر "رب"، وقعت فى هذه الآيات فإن هذا يحدث التماسك النصى بينها.

والمحور الثانى فى السورة هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد تكررت الضمائر التى تقوم مقام اسمه فى سبعة عشر موضعاً من هذه السورة التى آياتها إحدى عشرة، وقد علمنا مناسبة هذه السورة فيما سبق، وأنها كلها تسلية عنه من السخرية التى وُجهت إليه وأن الله تعالى قد قلاه، ومن ثم فتكرار هذه الضمائر يوحى بأن الخطاب قائم بين الله تعالى ورسوله، وأن الله تعالى لم يدعه ويتركه كما زعم المشركون.

وقد تكررت فى تسع آيات ليحقق التماسك بين مفردات الآيات مثل قوله تعالى:

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾/ ٣

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾/٥

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾/٦ ﴿وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى﴾/٧ ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾/٨ ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾/١١

وكذلك يحقق تماسك آيات السورة فيما بينها؛ إذ إنه تكرر فى تسع آيات منها، وذلك بعد آيتى القسم.

ومن آيات تكرار النمط النحوى كذلك قوله تعالى(١):

﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ﴾/٩

﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ﴾/١٠

ويوجد نمط آخر من التكرار فى السورة، وهو تشابه أطراف آياتها، حيث إنها تنتهى بالألف المقصورة باستثناء الآية الأخيرة فقط. وهكذا تلتقى عدة أنماط فى التكرار لتحقيق تماسك سورة الضحى.

* وتُتمم سورة "**الشـــرح**" الوحدة المعنوية لسورة الضحى، حيث تواصل إظهار النعم التى أنعم الله بها على نبيه ومن ثم فقد تكررت الضمائر التى تقوم مقام الاسم الظاهر "رب" فى أربعة مواضع:

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ(١) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ(٢)﴾

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (٤) ﴿وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾/٨

وكذلك يتكرر النمط النحوى:

---

(١) وتكرار النمط النحوى فى القرآن الكريم كثير بصورة تدعو إلى بحثه فى دراسة مستقلة، خاصة السور المكية ذات الآيات القصيرة، ونهايات الآيات ذات الطول.

(فعل + فاعل + شبه جملة + مفعول به + مضاف إليه)

وذلك فى الآيات ١، ٢، ٣ . ليؤكد تماسك هذه الآيات فيما بينها، مع إضافة أن تكرار هذا العنصر فى آيات ١، ٢، ٤، ٨ . يحقق التماسك النصى فيما بينها.

والآية "٣" تفسيرية للوزر الذى ورد فى الآية "٢"

والحديث كله موجه إلى النبى صلى الله عليه وسلم، لذلك تكررت الضمائر التى تقوم مقام اسمه الظاهر فى أحد عشر موضعاً من السورة :

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ(١) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ(٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ(٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ(٤) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ(٧) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ(٨)﴾

والآيتان اللتان لم يذكر فيهما ما يشير إلى الرسول صلى الله عليه وسلم جاءتا مكررتين، وتتضمنان نمطاً من الشرح الذى منحه الله لنبيه، وهو اليسر بعد العسر:

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا(٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا(٦)﴾

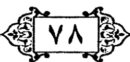
فهما مكررتان لفظاً ومعنى، وكذلك يتكرر فيهما النمط النحوى.

* أما سورة "**القـــارعة**" فإنها تبدأ بتكرار اسم السورة فى ثلاث آيات متتالية:

﴿الْقَارِعَةُ(١) مَا الْقَارِعَةُ(٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ(٣)﴾

وهذا التكرار باللفظ والمعنى يحدث التماسك أولاً، ويعبر عن رهبة هذا اليوم وشدة الفزع فيه. لذلك فإن تماسك الآيات الأخرى من ٤ : ١١ مع الآيات الأولى كان عبر نمط التفسير؛ فهذه الآيات تفسيرية لهذه القارعة، وما سوف يحدث يومها.

إضافة إلى تكرار النمط النحوى فى الآيتين ٤، ٥ :



﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾/ ٤

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾/ ٥

وكذلك تكرار النمط النحوى بين ٦ ، ٨ :

﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾/ ٦

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾/٨

* وسورة "**التكـــاثـــر**" نزلت فى هاتين القبيلتين اللتين ذهبتا إلى المقابر لتتفاخر كل منهما بمآثرها. فنزلت آيات السورة كلها تحمل ضمائر تعود إليهم، ومن ثم فهى تكرار لذكرهم فى هذه الآيات: "**أَلْهَاكُمُ – زُرْتُمُ – تَعْلَمُونَ – تَعْلَمُونَ – لَتَرَوُنَّ – لَتَرَوُنَّهَا – لَتُسْأَلُنَّ**". فقد تكرر فى الآيات كلها، ومن ثم يحقق تماسكها فيما بينها. إضافة إلى وحدة مرجعيتها كما سبق. فهى مرجعية خارجية سابقة.

وكذلك تكررت آيتان هما ٣، ٤، باللفظ والمعنى، والنمط النحوى:

﴿كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾

* وسورة "**قـــريش**" تكرر فيها لفظ "قريش" فى الآية الأولى، ثم الضمائر التى تقوم مقامه فى الآيات الثلاثة الأخرى: "**قُرَيْشٍ – إِيلافِهِمْ – فَلْيَعْبُدُوا – أَطْعَمَهُمْ – آمَنَهُمْ**". ومن ثم فمرجعية التكرار هنا داخلية سابقة.

ثم يتكرر اسم الله تعالى: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾.

* وسورة "**الكـــوثـــر**" تكرر فيها ما يقوم مقام اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آيات السورة الثلاثة:

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ(١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ(٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ(٣)﴾

وهذا يحقق تماسك آيات السورة كلها. وكذلك يتكرر لفظ "رب" مرة ظاهراً ومرتين مضمراً؛ الأولى فى (٢) والثانية فى (١).

ومرجعية التكرار الخاص برسول الله خارجية سابقة. فلم يجر له ذكر فى السورة، لكن السياق يوضح أنها تعود إليه. وكذلك مرجعية تكرار ما يقوم مقام اسم الله فى الآية الأولى، خارجية.

ونمط آخر يتمثل فى تشابه أطراف الآيات الثلاثة: " الْكَوْثَرَ – وَانْحَرْ – الأَبْتَرُ "(١).

* أما سورة "**الكافــرون**" فيذكر لفظ الكافرين فى أول آية، ثم تتكرر الضمائر التى تقوم مقامه فى آيات السورة الباقية كلها: "**تَعْبُدُونَ – أَنْتُمْ – عَبَدْتُمْ – أَنْتُمْ – لَكُمْ – دِينُكُمْ** ". هذا طرف الكافرين. أما طرف النبى صلى الله عليه وسلم، فقد قامت الضمائر بوظيفة الاسم الظاهر فى آيات السورة كلها كذلك. "**قُلْ – أَعْبُدُ – أَعْبُدُ – أَنَا – أَعْبُدُ – لِيَ**". ومن ثم تتماسك آيات السورة عبر تكرار هذين المحورين فى آياتها كلها، جنباً إلى جنب. إضافة إلى تكرار لفظ العبادة مسنداً إلى المحورين: " **أَعْبُدُ – تَعْبُدُونَ – عَابِدُونَ – أَعْبُدُ – عَابِدٌ – عَبَدْتُمْ – عَابِدُونَ – أَعْبُدُ** ".

وهناك تكرار الدلالة كذلك؛ إذ الآيات كلها تؤكد دلالة واحدة؛ هى عدم اتخاذ الرسول صلى الله عليه وسلم آلهتهم إلهاً من دون الله، والعكس هم لا يعبدون ما يعبده هو. لذلك جاء الخاص بعد العام، أى الملخص بعد التفسير، وهو ﴿**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾ .

هذا إضافة إلى تكرار آيات بكاملها؛ مثل ٣، ٥. أما ٢، ٤ فإن تكرارهما ليس باللفظ نفسه لكن بالمعنى، مع تكرار النمط النحوى، وتكرار أطراف الآيات.

* أما سورة "**المســد**" فإنها موجهة إلى "أبى لهب" وزوجه، ومن ثم ذُكر فىأول آية: ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ**﴾/١، ثم تكرر ذكره بإحلال الضمائر محل

(١) وهذا النمط من التكرار يكاد أن يتحقق فى سور القرآن كلها. وسوف نعرض مناسبة هذا الموضوع بعض السور فى الجزء الخاص بالمناسبة.



الاسم الظاهر: " تَبَّ – عَنْهُ – مَالُهُ – كَسَبَ – سَيَصْلَى – وَامْرَأَتُهُ ". ثم تكرر امرأته فى الآية الأخيرة عبر الضمير: "جيدها" وكذلك تكرر "التب" مرتين.

ومرجعية التكرار هنا داخلية سابقة؛ إذ تحيل إلى "أبى لهب" المذكور فى الآية الأولى. وكذلك مرجعية التكرار الخاصة بزوجه؛ إذ يرجع الضمير المُكرّر لها إلى المذكور سابقاً فى الآية الرابعة.

* وسورة "**الإخـــلاص**" تؤكد كلها وحدانية الله، ومن ثم يتكرر لفظ الجلالة فى موضعيه ظاهراً فى ١، ٢. ثم يتكرر عبر الضمائر فى٣، ٤ فى ثلاثة مواضع: "**يَلِدْ – يُولَدْ – لَهُ**".

وفيها كذلك رد العجز المتمثل فى الآية الرابعة على الصدر فى الآية الأولى:

﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾/١

﴿**وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾/٤

وأيضاً تتماسك آيات السورة نصياً عبر تشابه أطراف آياتها؛ "**أَحَدٌ – الصَّمَدُ – يُولَدْ – أَحَدٌ**".

وكذلك الآيتان ٣، ٤، تفسران ما أُجمل سابقاً من كونه سبحانه "أحد" لا شريك له.

* أما سورة "**الفلـــق**" فإنها كلها استعاذة بالله من شر عدة أشياء، وتطلب ذلك تكرار عبارة "من شر" فى أربع آيات منها: ٢، ٣، ٤، ٥ .

كذلك يوجد تكرار للنمط النحوى كما بين الآيتين :

﴿**وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ**﴾/٣

﴿**وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ**﴾/٥



وكذلك تكرار اسم الله "رب" مرة ظاهراً فى "١" وأخرى مضمراً فى "٢"

* وسورة "**الناس**"، تكرر فيها لفظ الناس فى خمس آيات من السورة ١ ، ٢، ٣، ٥، ٦، ٩ ولا يخفى ما لهذا من دور تحقيق تماسكها. ونلاحظ كذلك قوله تعالى:

﴿رَبِّ النَّاسِ﴾/١

﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾/٢

﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾/٣

ففيها تكرار لاسم الله مضافاً إليه الناس. وكذلك فيها تكرار للنمط النحوى:

(مضاف + مضاف إليه)

وتتشابه أطراف الآيات كلها؛ إذ كلها تنتهى بـــ (الناس) ماعدا الآية الرابعة التى تنتهى بـــ"الخناس".

ويُرد عجز السورة على صدرها عبر تكرار لفظ الناس فى كلا الموضعين:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾/١

﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾/٦

وبعد هذا التحليل النصى لوظيفة التكرار فى تحقيق التماسك النصى، نؤكد أن التكرار، بأنماطه المختلفة، قد أسهم فى تحقيق هذا التماسك. وأثبتنا أن وظيفة الضمير، فى كونه تكراراً للاسم، لا تقل أهمية عن تكرار الاسم الظاهر نفسه؛ ذلك لأنه يقوم مقامه.



الفصل السادس

"المناسبة"

ويشتمل على:

- **المبحث الأول:** موجز تاريخي.
- **المبحث الثاني:** أنواع المناسبة.
- **المبحث الثالث:** أهمية المناسبة وعلاقتها بالتماسك النصي.
- **المبحث الرابع:** التحليل النصي للسور المكية.

وينقسم إلى:

أ – المناسبة على مستوى السورة المفردة.

(٤-أ - ١) مناسبة اسم السورة لمضمونها.

(٤-أ - ٢) مناسبة أول السورة لآخرها.

(٤-أ - ٣) مناسبة آيات السورة لبعضها البعض.

ب- المناسبة على مستوى أكثر من سورة.

ويتكون من:

(٤-ب- ١) مناسبة فواتح أكثر من سورة.

(٤-ب- ٢) مناسبة خاتمة السورة لفاتحة ما تليها.

(٤-ب- ٣) مناسبة السورة بأكملها لسورة أخرى.

(٤-ب- ٤) مناسبة القصة الواحدة في أكثر من سورة.

(٤-ب- ٥) مناسبة الإجمال والتفصيل بين الآيات في أكثر من سورة.

المبحث الأول

مـــوجـــز تـــاريخـــى



بداية نشير إلى أن المقصود بالمناسبة هنا، ليس مناسبات النزول؛ أى الأحداث الملازمة لنزول آى القرآن الكريم. بل نقصد بالمناسبة هنا مناسبة ترتيب سور القرآن الكريم بهذه الكيفية، وكذلك ترتيب آياته المحكمات بهذه الصورة من التماسك والتناسب كما سيتضح.

وهذا يطرح سؤالاً مؤداه: أكان هذا الترتيب توقيفياً أم توفيقياً؟

والذى نذهب إليه أنه توقيفى. فبعيداً عن الأسباب الكثيرة التى شُغل بها الكثيرون لإثبات هذا الرأى، نقول إن الملاحظ للتماسك النصى لآيات القرآن الكريم وسوره كلها، لا يملك إلا أن يقول بهذا الرأى؛ فهذا من الصعب أن يكون من صنع بشر، خاصة فى هذا العصر الذى حدث فيه الجمع والترتيب للمصحف الشريف؛ ذلك "لأن تلك الاعتبارات المرعية -[المقصود بها مناسبة أول السورة لأخرها، وأولها لأول ما تليها، وآخرها لأول ما تليها، وغير ذلك من أنواع المناسبة]- فى هذا الترتيب لم تكن من منهج الصحابة فى التفكير، ولا سمعنا أن اجتماعاً حدث بينهم لهذا الترتيب ...."[1]. والذى نريد تأكيده هو دور التماسك النصى فى هذه القضية؛ فهو كما أثبتنا فيما سلف، وما سوف نحاول فيما يأتى، يؤكد التماسك النصى المحكم لآيات القرآن الكريم وسوره. ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كبيراً.

إضافة إلى أنه كيف يكون هذا الكتاب محفوظاً مرتباً عند الله تعالى بصورة تخالف الصورة التى رُتّب عليها!

والبحث فى المناسبة، بالمعنى السالف الذكر، لم يكن الاهتمام به كبيراً، وهذا لدقته وخفائه كثيراً؛ إذ يحتاج إلى كثرة إعمال للفكر وإمعان للنظر حتى يمكن ملاحظة المناسبة بين الآيات أو بين السور. وهذا ما أكده الزركشى

(١) د. عبد القادر عطا: مقدمة تحقيق كتاب تناسق الدرر فى تناسب السور للسيوطى، ص ٤١ . وقد ذكر كذلك الخلاف حول توقيفية الترتيب وتوفيقيته. وانظر: الإتقان للسيوطى ١/ ١٧٦ - ١٧٩.



نقلاً عن الرازى " فقد قلّ اعتناء المفسرين بهذا النوع لدقته، وممن أكثر منه الإمام فخر الدين الرازى، وقال فى تفسيره: أكثر لطائف القرآن مودعة فى الترتيبات والروابط"(١).

ويذكر أحد الباحثين أن "ابن العربى قد يئس من طلاب العلم والعلماء الذين اعرضوا جملة وتفصيلاً عن هذا العلم الجليل، وأعرب عن يأسه فى قوله ارتباط آى القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعانى، منتظمة المبانى، علم عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد، عمل سورة البقرة، ثم فتح الله لنا فيه، فلما لم نجد له حملة، ورأينا الخلق بأوصاف البطلة، ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله، ورددناه إليه"(٢).

ومعلوم من هذا الرأى أن قوله "ارتباط القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة"، هو ما يُقصدُ به التماسك بين عناصر النص؛ فالترابط يعنى فى مجمله للتماسك.

ويُذكر أن أول من ألَّف فى هذا العلم "النيسابورى"؛ فقد قال الشيخ أبو الحسن الشهرابانى: أول من أظهر ببغداد علم المناسبة ولم نكن سمعناه من غيره هو الشيخ الإمام أبو بكر النيسابورى (٢٦١هـ) وكان غزير العلم فى الشريعة والأدب، وكان يقول على الكرسى إذا قُرئ عليه الآية: ليتم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة فى جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة(٣).

ويضيف السيوطى عدداً آخر من العلماء الذين تحدثوا عن المناسبة؛ حيث "أفرده بالتأليف العلامة أبو جعفر بن الزبير شيخ أبى حيان فى كتاب

---

(١) الزركشى: البرهان، ١ / ٣٦ .

(٢) د. عبد القادر عطا؛ السابق، ص ٤٠. وانظر نص ابن العربى فى:
أ – الزركشى: البرهان، ١/ ٣٦ ب- السيوطى: الإتقان، ٣/ ٣٢٢. وقد أفرد نوعاً كاملاً للحديث عن مناسبة الآيات والسور

(٣) الزركشى: السابق، ١/ ٣٦. وانظر السيوطى: السابق، ٣/ ٣٢٢ .

سمّاه "البرهان" فى مناسبة ترتيب سور القرآن"، ومن أهل العصر الشيخ برهان الدين البقاعى -[ت٨٨٥هـ] فى كتاب سماه "نَظْم الدّرر فى تناسب الآى والسور"، وكتابى الذى صنعته فى أسرار التنزيل كافل بذلك، جامع لمناسبات السور والآيات ... وقد لخصت منه مناسبات السور خاصة فى جزء لطيف، سميته "تناسق الدُّرر فى تناسب السور ... وممن أكثر فيه الإمام فخر الدين ... "[١].

ثم ذكر آراء لكل من "ابن العربى"، و"عز الدين بن عبد السلام"، والشيخ "ولى الدين الملوى"، والإمام "الرازى[٢]". وهذا يؤكد، بصورة ضمنية، إدراكهم لقضية المناسبة.

هذا وقد تطرق الحديث عن الخلاف بين العلماء حول الترابط؛ فهناك من رأى أن "القرآن نزل فى نيِّف وعشرين سنة فى أحكام مختلفة ولأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض، إذ لا يحسن أن يرتبط تصرفُ الإله فى خلقه وأحكامُه بعضها ببعض، مع اختلاف العلل والأسباب ... [٣].

ثم يأتى الرأى الآخر ليؤكد أنه " قد وهم من قال: لا يُطلب للآى الكريمة مناسبة؛ لأنها على حسب الوقائع المتفرقة. وفصلُ الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً، وعلى حسب الحكمة ترتيباً ... [٤].

والذى نراه أن القرآن الكريم نزل جملة واحدة إلى بيت العزّة فى السماء الدنيا، فى ليلة واحدة، ثم نزّل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نيف وعشرين سنة منجماً. وهذا النزول مرة واحدة يوحى بتماسكه ووجود المناسبة بين الآيات من ناحية وبين السور من ناحية أخرى. ومن ثم فلا مكان للزعم بعدم الربط بين آياته وسوره.

---

(١) السيوطى: أ - الإتقان، ٣/ ٣٢٢ ب- معترك الأقران، ١/ ٥٤ - ٥٥
(٢) يُسمى الرازى هذا العلم " بكيفية النظم" انظر مقدمة تحقيق مفاتيح الغيب، ١/ ١٨
(٣) الزركشى: المصدر السابق، ١/ ٣٦
(٤) الزركشى: المصدر، ١/ ٣٦ .

والهدف من هذا الموجز التاريخى هو تأكيد فكرة المناسبة، متى بدأت، ومن ثم وظيفتها فى تحقيق التماسك. فقد أكد بعض علماء التفسير وعلوم القرآن أن المناسبة تبرز وظيفتها فى تحقيقها للترابط، ومن ثم للتماسك وهذا ما سنناقشه بعد معرفة أنواع المناسبة.

المبحـــث الثـــانى

أنـــواع المنـــاسبـــة



قد يسأل سائل: ما موقف علماء النصية من قضية المناسبة ودورها فى تحقيق التماسك النصى؟. والإجابة أنهم لم يشيروا إليها على أنها وسيلة من وسائل التماسك النصى. فقد سبق ذكر الوسائل التى اهتموا بذكرها. ولكننا هنا نضيف وسيلة المناسبة؛ إذ إنها تمثل وسيلة من أهم وسائل التماسك النصى: شكلياً ودلالياً. وسوف نحاول أن نؤكد فى هذا الفصل تلك الوظيفة الأساسية للمناسبة.

ونظراً لعدم ذكر النصيين لأهمية المناسبة، فسوف نعتمد، فى ذكر أنواع المناسبة، على آراء علمائنا[(١)].

فقد قسَّم ابن أبى الإصبع المصرى (ت٦٥٤هـ) المناسبة إلى نوعين "مناسبة فى المعانى، ومناسبة فى الألفاظ، فالمعنوية أن يبتدئ المتكلم بمعنى ثم يتم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ ... كقوله عز وجل:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ القصص/٧١ .

لما كان سبحانه. هو الجاعل الأشياء على الحقيقة، وأضاف إلى نفسه جعل الليل سرمداً إلى يوم القيامة، صار الليل كأنه سرمد بهذا التقدير، وظرف الليل ظرف مظلم لا تنفذ فيه البصر، لا سيما وقد أضاف الإتيان بالضياء الذى تنفذ فيه الأبصار إلى غيره، وغيره ليس بفاعل على الحقيقة، فصار النهار كأنه معدوم، ... والليل كأنه لا موجود سواه ... فاقتضت البلاغة أن يقول " أفلا تسمعون" لمناسبة ما بين السماع، والظرف الليل الذى يصلح للإسماع ولا يصلح للإبصار. ولذلك قال فى الآية التى تليها:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ / القصص /٧٢ ...

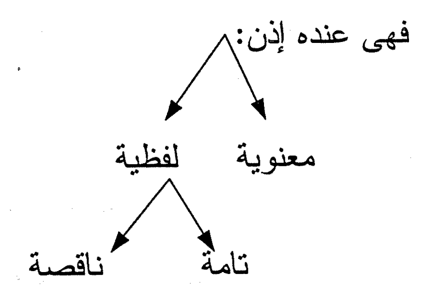
---

(١) وقد تحدث د. محمد خطابى عن المناسبة فى كتابه لسانيات النص. ولم نجد غيره تحدث عن تلك المناسبة من المحدثين [فيما نعلم].

وأما المناسبة اللفظية فهى توخى الإتيان بكلمات متزنات، وهى على ضربين: تامة وغير تامة؛ فالتامة أن تكون الكلمات مع الاتزان مقفاة وأخرى ليست بمقفاه ... ومن شواهد التامة قول الرسول صلى الله عليه وسلم "أُعِيذُكُمَا بكلماتِ الله التَّامة، منْ كلِّ شيطانٍ وهَامة، ومن كل عَيْنٍ لامة" فقال "لامة" ولم يقل ملمة، وهى القياس، لمكان المناسبة اللفظية التامة ... ومن أمثلة المناسبة الناقصة قوله صلى الله عليه وسلم:

"إنّ أحبَّكم إلىَّ وأقربكم منِّى مجْلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً الموطئُون أكنافاً"

تناسب بين أخلاق وأكناف مناسبة اتزان دون تقفيه"(١).



وهذا التقسيم يتسم بالعموم. ومع ذلك فلا تخرج المناسبة عن هذين النوعين؛ فهى إما متعلقة بالدلالة بين المتناسبين، أو متعلقة بالشكل بينهما. والمدقق فى تقسيم السيوطى – على الرغم من كثرته – يجد أنه لا يخرج عن هذين النوعين الأساسين؛ فقد قُسِّمت عنده إلى:

الأول: بيان مناسبات ترتيب سورة، وحكمة وضع كل سورة منها.

الثانى: بيان أن كل سورة شارحة لما أُجمل فى السورة التى قبلها.

الثالث: وجه اعتلاق فاتحة الكتاب بخاتمة التى قبلها(٢).

(١) ابن أبى الإصبع المصرى: تحرير التحبير، ٣٦٣: ٣٦٨ .

(٢) "الكتاب" هى كذلك فى النسخة المحققة، غير أننا نرى أنها تكتب "السورة" .

الرابع: مناسبة مطلع السورة للمقصد الذى سيقت له، وذلك براعة الاستهلال.

الخامس: مناسبة أوائل السور لأواخرها.

السادس: مناسبات ترتيب آياته، واعتلاق بعضها ببعض، وارتباطها وتلاحمها وتناسبها.

السابع: بيان فواصل الآى، ومناسبتها للآى التى ضُمت إليها.

الثامن: مناسبة أسماء السور لها. [(١)].

ويشترط السيوطى، إضافة إلى هذا التقسيم، شرطاً لتحقق المناسبة؛ وهو ضرورة وجود معنى رابط بين المتناسبين؛ بمعنى أن مرجع المناسبة فى الآيات "إلى معنى رابط بينها عام أو خاص عقلى أو حسى أو خيالى أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهنى كالسبب والمسبب والعلة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه"[(٢)].

ويلفت النظر فى ذكر هذه الأنواع ما لدى السيوطى وغيره من إحساس نصى يتعلق بمراعاة العلاقات القائمة بين مكونات النص الواحد، المتمثل فى السورة – على سبيل المثال –، وفى عدة نصوص كذلك، كما يتضح فى عدة سور. وقد سبق وصف القرآن الكريم بأنه كالكلمة الواحدة المتسقة، وهذا يوحى بحاسة نصية. وهذا لم يكن على سبيل الأحكام المجردة لتنزيه الكتاب الحكيم، بل جاءوا بنماذج كثيرة، بل بكتب كاملة، تتحدث عن هذه العلاقات وتؤكدها.

والمعنى الرابط الذى ذكره السيوطى وغيره شرطاً لوجود المناسبة، هو الذى نقصد به الاستمرارية المتحققة عبر كلمات وعبارات وجمل وآيات وفقرات مكونة للنص، بل عَبْر أكثر من نص. ومن ثم تظهر العلاقة بين المناسبة والتماسك النصى. وهذا موضوع المبحث التالى.

---

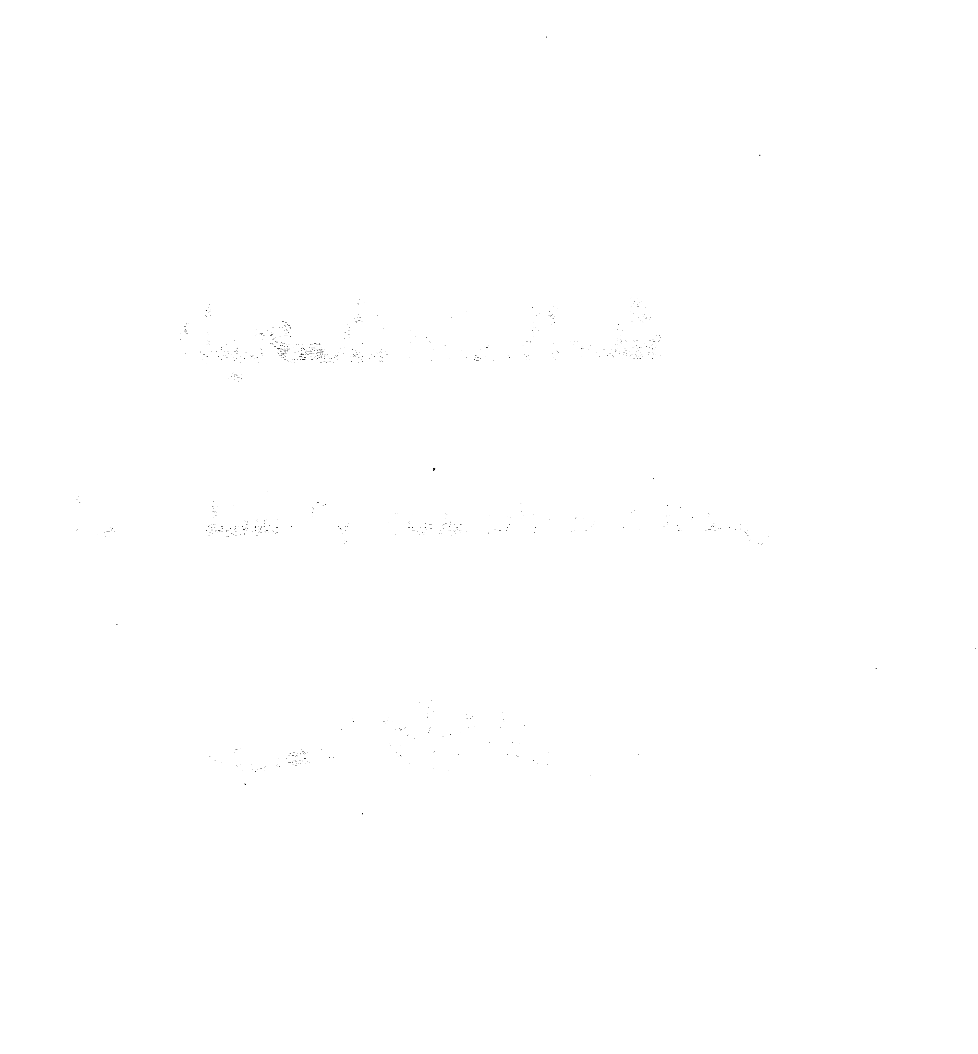
(١) السيوطى: تناسق الدور فى تناسب السور، ص ٦٥ – ٦٦ .

(٢) السيوطى: الإتقان، ٢/ ١٠٨ – ١٠٩ . وانظر الزركشى: البرهان، ١/ ٣٧ .

المبحث الثالث

أهمية المناسبة وعلاقتها بالتماسك النصى





إذا عُلم أن المناسبة تقتضى وجود علاقة بين المتناسبين، قد تكون ظاهرة، وقد تكون غير ظاهرة فيُبحث عن الدعامة - على حد تعبير السيوطى - التى يمكن أن تجمع بينهما. إذا عُلم ذلك، فالمناسبة توصل إلى العلاقة. وهذه العلاقة بدورها تقتضى مرجعية من أحد المتناسبين إلى الآخر. وإذا تحققت هذه المرجعية، تحقق التماسك بينهما. وهنا تظهر العلاقة القائمة بين المناسبة والتماسك النصى. وإسهامها فى التحليل النصى.

المناسبة ←—— العلاقة ←—— المرجعية ←—— التماسك

وإذ رجعنا إلى آراء علمائنا رأينا النيسابورى (٢٦١هـ) قد اكتفى من هذه العلاقة بطرح تساؤلات "فكان يقول على الكرسى إذا قُرِئ عليه الآية: لِمَ جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة فى جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟"(١). ولا شك أنه لم يقف عند هذه التساؤلات، بل كان يجيب عنها، فقد كان - كما ذكر الزركشى نقلاً عن الشهرابانى - غزير العلم فى الشريعة والأدب. فهو فى هذه الأسئلة يبحث عن وجود المناسبة بين الآيات وبعضها وبين السور وبعضها. وهذا يوصل فى النهاية إلى إبراز ترابطها ومن ثم تماسكها.

أما الزركشى فإنه يعلن أن فائدة معرفة المناسبة هى "جَعْل أجزاء الكلام بعضُها آخذاً بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم، المتلائم الأجزاء"(٢).

فلا يخفى ما فى هذا الرأى من أهمية كبيرة لإبرازها لوظيفة المناسبة؛ إذ إنها تسهم فى تحقيق الارتباط بين عناصر النص. وهذا ما نعنيه بالتماسك النصى. وهذا ما جعل الشيخ عز الدين بن عبد السلام (ت ٦٦٠ هـ) يشترط فى المناسبة أن يكون "ارتباط الكلام واقعاً فى أمر متحد مرتبط أوله بآخره"(٣).

---

(١) الزركشى: البرهان، ١/ ٣٦

(٢) نفسه

(٣) الزركشى: السابق، ١/٣٧

وينقل الزركشى عن بعض مشايخه طريقة البحث عن المناسبة بين الآيات، بل بين السور كذلك؛ "فالذى ينبغى فى كل آية أن يبحث أول كل شىء عن كونها مكملة لما قبلها، أومستقلة. ثم المستقلة؛ ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففى ذلك علم جم. وهكذا فى السور يُطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له"(١).

وهذا يبين تعدى نظرتهم إلى النص عامة، ولم يقف تحليلهم عند حد الكلمة الواحدة أو العبارة أو الجملة أو الآية، بل ما يسبقها من آيات، وما العلاقة القائمة بينها. بل تعداه إلى السور كلها؛ إذا إنها العناصر الكبرى المكونة للنص الأكبر "القرآن الكريم". وهذا يذهب بالباحث – فى غير تحيز أو دخول فى صراعات فكرية – إلى التسليم بالأسبقية فى التحليل النصى بهذا الفكر الواعى لأهمية التماسك النصى على المستوى الأكبر؛ فإذا كان النصيون – كما ذكرنا – يرون إمكانية أن يعد الكتاب الكامل نصاً فإن ابن الأعرابى ذكر أن القرآن الكريم – لشدة تماسكه كالكلمة الواحدة.

وينقل السيوطى رأى الزركشى – وإن لم يذكر اسمه – فى فائدة المناسبة. لكنه يضيف ضرورة وجود المناسبة، ظاهرة أو غير ظاهرة، حتى يظهر الارتباط؛ " فذكرْ الآية بعد الأخرى إما أن يكون ظاهر الارتباط لتعلق الكلام بعضه ببعض وعدم تمامه فى الأول، فواضح ... وإما ألا يظهر الارتباط؛ بل يظهر أن كل جملة مستقلة عن الأخرى، وأنها خلاف النوع المبدوء به؛ فإما أن تكون معطوفة على الأولى بحرف من حروف العطف ... أوْلا. فإن كانت معطوفة فلابد أن يكون بينهما جهة جامعة -[أى مناسبة]- ... وإن لم تكن معطوفة فلابد من دعامة تؤذن باتصال الكلام، وهى قرائن معنوية تؤذن بالربط"(٢).

فالدعامة أو الجهة الجامعة هى المناسبة، ووظيفتها تحقيق اتصال

(١) نفسه.
(٢) السيوطى: أ – معترك الأقران، ١/ ٥٧ – ٥٨ ب– الإتقان، ٢/ ١٠٨ – ١٠٩.

الكلام. ومن ثم تماسكه النصى. وهنا تبرز العلاقة بين المناسبة والتماسك. فى ضوء التحليل النصى.

وينقل محقق مفاتيح الغيب منهج الرازى وأسلوبه؛ فأسلوبه "البدء بذكر آية أو مجموعة آيات، ثم يبدأ بالتقديم لها بشكل مختصر، وهذا ما يُسمى بعلم التناسب بين الآيات، وهذا العلم يحتاج إلى عقلية تتميز بسعة الأفق؛ إذا إنه يخدم معنى الآية لأنه يربط الآية بما سبقها من الآيات ... وقد برع الرازى فى ربط الآيات السابقة بالآيات اللاحقة"(١).

فالمناسبة إذن تحقق الربط بين الآية وما تسبقها من آيات ومن ثم فهى تحقق التماسك بين هذه الآيات.

إذن المناسبة من أهم العوامل التى تسهم فى تحقيق التماسك النصى من ناحية. ومن أهم الأسباب. التى تبين إدراك علمائنا القدماء للتحليل النصى بصورة تقترب كثيراً من التحليل المعاصر، بل تفوقه فى الجزء الخاص بالمناسبة كما سيتضح فى التحليل النصى للسور المكية فى المبحث الثانى.

---

(١) انظر مقدمة المحقق لمفاتيح الغيب، ١٨/١

ويذكر محقق كتاب البرهان فى توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان" للكَرَمانى. والذى أخرجه المحقق بعنوان "أسرار التكرار فى القرآن ". يقول: " ولقد أدخل الفخر الرازى ... علم مناسبات الآيات والسور، وارتباط بعضها ببعض حتى تصير شيئاً واحداً، وبناء متيناً لا خلل بين أجزائه، حتى لقد قال: "إن الإعجاز يكاد ينحصر فى هذا المعنى الذى لا يوجد أبداً فى كلام البشر".

انظر: الدراسة الملحقة بالتحقيق تحتى عنوان " دراسة فى إعجاز القرآن"، ص ٢٤٥ .

المبحث الرابع

التحليل النصى للسور





سوف تختلف السور التى تُحلل هنا عن السور التى تم تحليلها فى الفصول الأخرى؛ فالسور هناك كانت متفرقات، بمعنى لم تكن متتالية مباشرة فى الترتيب المصحفى، بل كان فيها ما يخص الثلث الأول من المصحف، ومنها ما يخص الثلث الثانى، ومنها ما يخص الثلث الثالث. وكذلك كان منها ما يمثل نموذجاً للسور الطوال، ومنها ما يمثل نموذجاً للسور القصار، ومنها ما يمثل السور المتوسطة الطول. أما هنا فيختلف الأمر؛ فهنا سوف نناقش التماسك القائم بين السورة والسورة التى تليها مباشرة، بل التماسك بين عدة سور متجاورة، ومن ثم سوف يختلف اختيار السور هنا عن الفصول الأخرى.

وكما ذكرنا فى مكونات هذا الفصل؛ هناك أنماط من التحليل النصى عبر المناسبة فى سورة مفردة، وهناك أنماط أخرى فى سور متعددة ومن ثم يمكن تناول كل منهما على حدة كالتالى:

أ - المناسبة على مستوى السورة المفردة:

فالسورة تبدأ من اسمها، ثم مقدمتها، ثم مضمونها، ثم خاتمتها. وذلك كله عبر آيات متعددة ذات فواصل قد تتفق - وذلك الغالب - وقد تختلف. ولكل من هذه الأقسام المكونة للسورة وظيفة، أو مناسبة إما مع موضوع السورة، أو بين أولها وآخرها، أو بين اسمها ومضمونها، ... إلخ من علاقات المناسبة التى تقوم بدورها - كما سنرى - بوظيفة التماسك النصى للسورة. ولذا فسوف نفصل كل عنصر من هذه العناصر عبر التحليل النصى فى الصفحات التالية.

(أ-١) مناسبة اسم السورة لمضمونها(١):

عنوان النص بصفة عامة، أول ما يواجههُ متلقى النص أو محلله، ومن ثم فهو يحتل مكانة عالية فى التحليل النصى؛ فالنص قد يكون مكملاً للعنوان، أو

(١) نمط المرجعية هنا متبادلة؛ فالعنوان يرجع مرجعية لاحقة إلى مضمون السورة، ومضمون السورة يرجع مرجعية سابقة إلى عنوانها. وكلتاهما مرجعية داخلية. وفى هذا إبراز لقوة التماسك بين اسم السورة ومضمونها.

موضحاً له، ولا شك فى أنه يكون مفصلاً للإجمال الكائن فيه، وكذلك اسم السور؛ إذ إنه يمثل عنوانها. وهذا المبحث يحتاج إلى دراسات كثيرة، لا فى النص القرآنى وحده، بل فى النصوص النثرية والشعرية الأخرى.

"فللعنوان قيمة إشارية تفيد فى وصف النص ذاته وغنى عن البيان أن طبيعة العلاقات بين النص وعنوانه من المباحث الحيوية الطريفة التى مازالت فى حاجة إلى دراسات علمية تحليلية عميقة"(١).

وقد نبه علماؤنا القدامى على أهمية اسم السورة؛ إذ "ينبغى النظر فى اختصاص كل سورة بما سميت به، ولا شك أن العرب تراعى فى كثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون فى الشىء من خلق أو صفة تخصه أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائى للمسمى، ويسمون الجملة من الكلام والقصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها. وعلى ذلك جرت أسماء سور القرآن ... "(٢).

سورة "الفاتحــــــــة"

تعددت أسماء هذه السورة، واخُتلف كذلك فى عدد هذه الأسماء(٣).

والذى يهم الدراسة هنا علاقة هذه الأسماء بمضمون السورة، فمن هذه الأسماء سورة "الحمد"، ومناسبة هذا الاسم للسورة تكمن فى كونها بدأت بذكر

---

(١) د. محمد العبد: اللغة والإبداع الأدبى، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٨٩، ص ٤٨

(٢) السيوطى: الإتقان، ١/ ٥٥ - ٥٦ وقد ذكر أمثلة لسورة البقرة وآل عمران والنساء والأنعام والمائدة .. إلخ وقد أشار د. محمد خطابى إلى إدراك علماء البلاغة أمثال الجاحظ وابن طباطبا والحاتمى وحازم القرطاجنى،

لضرورة التماسك بين عبارات النص وجملة وفصوله أو فقراته، بل ضرورة التماسك بين الفصول المكونة للعمل من ناحيتى الشكل والدلالة. انظر: السانيات النص، ص ١٤١: ١٦٣.

(٣) انظر: النحاس: معانى القرآن الكريم، ١/ ٤٧: ٥٠. حيث ذكر من أسماء هذه السورة: الحمد، فاتحة الكتاب، أم القرآن، السبع من المثانى. وذُكر فى الهامشى للمحقق أن القرطبى ذكر لهذه السورة اثنى عشر اسماً.

"الحمد" ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. أو كما قال القرطبى: "لأن فيها ذكر الحمد"[١]. ونرى أنَ فيها مناسبةَ بين اسم السورة والآية الأولى منها. وهذا كثير فى السور المكية؛ حيث تبدأ هذه السور بذكر اسم السورة، ومن نماذج هذه السور. القلم، الحاقة، المعارج، نوح، الجن، المزمل، المدثر، القيامة، المرسلات، النبأ، النازعات، عبس، التكوير، الانفطار، المطففين، الانشقاق، البروج، الطارق، الأعلى، الغاشية، الفجر، البلد، الشمس، الضحى، الشرح، التين، العلق، القدر، البينة، الزلزلة، العاديات، القارعة، التكاثر، العصر، الهمزة، الفيل، قريش، الكوثر، الكافرون، النصر الفلق، الناس.

وإذا كان تكرار لفظ بين جملتين يحقق التماسك فيما بينهما، فإن تكرار اسم السورة، فى السورة نفسها، يؤدى إلى التماسك بين السورة واسمها. وقد يكون ذكر اسمها فى أولها أو فى طياتها، أو فى آخرها، المهم أن هذا الذكر لاسم السورة فى ضوء علم اللغة النصى يمثل مرجعية سابقة؛ والمرجعية من الوسائل المحققة للتماسك النصى. هذا إضافة إلى أن موضوع السورة قد يدور كله أحياناً حول اسمها كما سنرى بعد قليل.

ومن أسمائها كذلك "السبع المثانى"، وعلاقة هذا الاسم بالسورة يتضح فى عدد آياتها السبع[٢]. وكذلك فى كونها تردد فى كل صلاة أكثر من مرة. وكذلك ذكر صاحب الظلال أن هذه السورة لتتضمن عدة كليات فى التصور الإسلامى[٣]. ، وقد لخصنا هذه الكليات فى سبع هى:

---

(١) انظر: القرطبى: الجامع لأحكام القرآن، ١/ ٨٦ وذكر القرطبى اثنى عشر اسماً لها هى الصلاة، الحمد، فاتحة الكتاب، أم الكتاب، أم القرآن، المثانى، القرآن العظيم، الشفاء، الرقية، الأساسى، الوافية، الكافية. ١/ ٩٦- ٩٨ وذكر السيوطى خمسة وعشرين اسماً لها. انظر الإتقان، ١/ ١٥١ - ١٥٥.

(٢) النحاس: معانى القرآن الكريم، ١/ ٤٩. وذكر فيه حديثاً عن جعفر بن محمد الغَارِيَابىُّ عن مُزاحم بن سعيد قال: حدثنا ابن المبارك، قال: حدثنا ابن جُريج، قال: أخبرنى أبى أن سعيد بن جبير أخبره، قال: قلتُ لابن عباس: ما المثانى؟ قال: هى أم القرآن، استثناها الله تعالى لأمة محمد صلى الله عليه وسلم فى أم الكتاب، فادخرها لأمة محمد صلى الله عليه وسلم حتى أخرجها لهم .... الحديث" ١/ ٤٩ - ٥٠ .

(٣) سيد قطب: فى ظلال القرآن، ١/ ٢١- ٢٦

وقد فصّل السيوطى اشتمال الفاتحة على علوم القرآن كلها. انظر: الاتقان، ١٢/٤. وما بعدها.

١- البدء باسم الله وما فى ذلك من أدب مع الله.

٢- "الرحمن الرحيم" صفتان تستغرقان معانى الرحمة ومجالاتها كلها.

٣- "الحمد لله" حيث التوجه بالحمد الذى لا يكون إلا له.

٤- "رب العالمين" الربوبية المطلقة الشاملة.

٥- "مالك يوم الدين" حيث الاعتقاد بيوم الدين والمالك له هو الله.

٦- "إياك نعبد وإياك نستعين" فالكليات السابقة تحتم أن العبادة لا تكون إلا له، والاستعانة لا تكون إلا به.

٧- "اهدنا الصراط المستقيم ... ولا الضالين" تمثل النتيجة العملية لهذه الكليات ومن ثم فاسم السورة يتناسب مع مضمونها، ولذلك يتحقق التماسك بينهما.

أما اسم "الفاتحـــة" فاتحة الكتاب "وقيل لها: فاتحة الكتاب، لأنه يُفْتَتَحُ بها المصحف، ويفتتح بها القرآن [وتُقرأ] فى كل ركعة"(١).

فهى تُفتتح بها الصلاة، وتفتتح بها كل ركعة. وفيها كذلك المفاهيم أو التصورات التى سبق ذكرها، وهى تصورات يبدأ بها الذى يقرأ القرآن، إذ إنها تحمل معظم التصورات التى تحملها السور القرآنية. ومن ثم فمضمونها يفتتح به للتنبيه على هذه التصورات. وكذلك "أم القرآن" "لأن أم الشىء ابتداؤه وأصله، فسُميت بذلك لابتدائهم لها فى أول القرآن فكأنها أصل وابتداء ..."(٢).

ومناسبة اسم السورة لمضمونها ينقسم إلى عدة محاور هى:

(أ-١-١): التماسك بين اسم السورة وحدث مذكور فيها:

منه: سورة "الأنعـــام"

سبق أن ذكرنا أن هذه السورة تعالج قضية الألوهية والعبودية من

(١) النحاس: السابق، ١/ ٤٨ .

(٢) السابق، ١/ ٤٨- ٤٩ .



منظورها الواسع. ومن متطلبات هذه الألوهية حق التحليل والتحريم فى الأمور كلها بصفة عامة، وفى الذبائح والنذور والثمار بصفة خاصة.

فقد شرع الجاهليون لأنفسهم شرائع كثيرة تخالف شريعة الله تعالى، ومنها ما يتصل بالأنعام من نذر بعضها لهم، والآخر لشركائهم من الآلهة المزعومة، والقليل لله. ثم يتصرفون فيما هو لله أيضاً. وكذلك يحرمون ركوب بعض الأنعام. وكذلك يمنعون ذكر اسم الله على الذبائح. وكانوا يخصصون ما فى بطون الأنعام للذكور منهم دون الإناث ... وغير ذلك من الأمور المتعلقة بالأنعام. وهذه تمثل المناسبة الخاصة للسورة، أما المناسبة العامة فهى قضية الألوهية والعبودية.

وفى هذا مناسبة بين اسم السورة وبعض الأحداث المذكورة فيها. وقد ذكر لفظ "الأنعام فى الآيات ١٣٦، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٢ . وكذلك استغرق ذكر هذه القضية الآيات من ١٣٦: ١٥٣، ذُكر فيها لفظ الأنعام بذاته، وذُكر كذلك من خلال أنواع من الأنعام مثل الضأن والماعز والإبل والبقر.

ومن ثم فالتماسك النصى بين اسم السورة ومضمونها يسير فى اتجاهين:

١- اتجاه العلاقة بين قضية التحليل والتحريم أو حق التشريع فى الأمور المتصلة بالأنعام وبين اسم السورة "الأنعام".

٢- اتجاه العلاقة بين الجزئية المتمثلة فى "الأنعام" وحق التشريع بشأنها، وبين الكلية المتمثلة فى قضية الألوهية" التى يمثل التشريع واحداً من متطلباتها. وبالطبع فإن مرجعية هذه المناسبة سابقة؛ إذ تعود هذه المتعلقات بالرجوع إلى "الأنعام" اسم السورة.

وقد ورد فى أسباب نزول هذه الآيات ما يوضح افتراء الكافرين على الله تعالى؛ فقد حرم الله أكل الميتة، وأحل أكل ما ذُبح. والأولى أماتها الله، والثانية عن طريق البشر بالذبح، فقال المشركون لرسول الله :" تزعمُ أن ما

قتلت أنت وأصحابك حلال وما قتل الكلب والصقر حلال، وما قتله الله حرام ..."[1]. وكذلك يواصلون الافتراء بأن رسول الله وأصحابه يزعمون اتباعهم لأمر الله، ومع ذلك يأكلون ما يذبحون هم، ولا يأكلون ما ذبح الله. ومن ثم كان اسم السورة مناسباً لما فيها من أحداث تتعلق بالأنعام.

ونرى أن التماسك النصى لا يتحقق من خلال هذه المناسبة فقط، بل من خلال علاقة الإجمال والتفصيل. ومن ثم تحقق التماسك عبر عدة أمور:

١- المناسبة بين العنوان والمضمون.

٢- علاقة المرجعية السابقة.

٣- علاقة الإجمال والتفصيل.

وسوف نرى فيما بعد علاقات أخرى فى هذه السورة تتعلق بالمناسبة تسهم فى تحقيق تماسكها. إضافة إلى ما سبق ذكره فى الفصول السابقة.

* وكذلك سورة "**الأعـــراف**" حدث التماسك بين العنوان أو اسم السورة، ومضمونها من خلال ذكر موقف "أصحاب الأعراف"، وهم بين الجنة والنار، وموقف الفريقين الأخيرين؛ فريق أهل الجنة، وفريق أهل النار. وهذا ما سردته الآيات من ٤٤: ٥٣. وقد أكد أن ذكر العنوان من خلال حدث يُذكر فيه، أو يتعلق به، هذا يؤدى إلى التماسك النصى، ليس بين العنوان والحدث فحسب، بل بين العنوان ومضمون السورة كلها، خاصة أن هناك وسائل أخرى تثبت التماسك بين عناصر السورة نفسها، كما ذكر فى المرجعية الخاصة بالضمائر، والتكرار، والتوابع ... إلخ مع ملاحظة أن هذا الحدث الذى يذكر العنوان فيه يُعد نمطاً من أنماط التكرار. والتكرار من الوسائل المحققة للتماسك النصى. ومن الأمور التى تسهم فى تحليل النص شكلاً ودلالة.

* ومن هذه السور كذلك، سورة "**الحجـــر**"؛ فعلى الرغم من حديث السورة عن عدد من مواقف الأقوام من المرسلين إليهم، فقد سُميت بالحجر، وذلك مناسب لذكر موقف أصحاب الحجر؛ إذ يقول تعالى:

---

(١) انظر: أ – السيوطى: أسباب النزول، ٨٨- ٨٩ ب- الواحدى: أسباب النزول، ١٦٧ .

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحجْرِ الْمُرْسَلِينَ(٨٠) وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضينَ(٨١) وَكَانُوا يَنْحَتُونَ منَ الْجبَال بُيُوتًا آمنينَ(٨٢) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ(٨٣) فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسبُونَ(٨٤)﴾

وهذا يحقق التماسك بين اسم السورة ومضمونها، ويتحقق التماسك عبر تكرار اسم السورة "الحجر"، وعبر مرجعية الضمائر والاسم الظاهر فى "الحجر، آتَيْنَاهُمْ – فَكَانُوا – وَكَانُوا – يَنْحَتُونَ – فَأَخَذَتْهُمُ – عَنْهُمْ – كَانُوا – يَكْسبُونَ "، فكلها ترجع، مرجعية سابقة، إلى اسم السورة "الحجر".

وكذلك يحدث التماسك عبر الوحدة القائمة بين القصص المذكور فى السورة؛ إذ إنها – أى القصص – تبين مصارع المكذبين للمرسلين، وأصحاب الحجر، قوم صالح، نموذج لهذه النماذج؛ فالمكذب للرسل واحد، وإن اختلفت الرسل ووسائل التكذيب.

* وكذلك سورة "**النحـــل**" يلتقى اسمها مع آية واحدة من آيات كتاب الله المفتوح "الكون"، وهى ما يفعله النحل، بوحى من الله، على الرغم من تعدد آيات الله الكثيرة فى الكون، لكنه اكتفى منها بإطلاق اسم السورة على واحدة فقط "النحل". والنحل لم يذكر فى السورة إلا فى آيتين فقط:

﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَن اتَّخذي منَ الْجبَال بُيُوتًا وَمنَ الشَّجَرِ وَممَّا يَعْرِشُونَ(٦٨) ثُمَّ كُلي منْ كُلِّ الثَّمَرَات فَاسْلُكي سُبُلَ رَبِّك ذُلُلًا يَخرُجُ منْ بُطُونهَا شَرَابٌ مُخْتَلفٌ أَلْوَانُهُ فيه شفَاءٌ للنَّاسِ إنَّ في ذَلكَ لآيَةً لقَوْمٍ يَتَفكَّرُونَ(٦٩)﴾.

والآيات الكونية تمثل واحدة من الوسائل التى ركَّزت عليها السور المكية لإقناع الناس بوجود منظم لهذا الكون الهائل، هو الله تعالى. ومن ثم كانت الدعوة فى نهاية هذه الآية للتفكر، والتفكر يؤدى إلى الاهتداء إلى خالق هذا الكون، ومن ثم الإيمان به.

وبما أن السورة حاشدة بالآيات الكونية، فكلها تتماسك نصَّياً؛ شكلاً دلالة، واكتفى بآية واحدة منها لاسم السورة. ويمكن القول بأنه – والله اعلم – أطلق الجزء – النحل – وأراد الكل.

* وسورة "**الحـــج**" الوحيدة التى سُميت باسم فرض من فرائض الإسلام أو أركانه الخمس، ووجه التماسك بين اسم السورة والسورة نفسها يرجع إلى ذكر فريضة الحج، وبعض مناسكه، وذلك فى قوله تعالى:

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لاَ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ(٢٦) وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ(٢٧)﴾.

والحديث عن الحج لم يفصل فى القرآن الكريم إلا فى سورتين، سورة الحج، التى أشارت إلى أمر إبراهيم بالآذان فى الناس والحض على هذه الفريضة، ثم فى سورة البقرة، حيث فُصّلت فيها مناسك الحج فى الآيتين ١٩٦، ١٩٧. لكن سورة البقرة تحدثت عن أركان الإسلام الأخرى كذلك. أما هذه السورة فلم تفصل الحديث فى الفرائض إلا عن الحج. ومن ثم تناسب اسم السورة مع مضمونها. ومن المعروف ضمنياً أن مرجعية هذه الآيات هى مرجعية سابقة إلى اسم السورة.

ومن أوجه التماسك كذلك أن بداية السورة أشارت إلى زلزلة الساعة، ومعروف أن الساعة هى اليوم الذى تقف فيه الأمم كلها، على اختلاف اللون واللغة والدين والجنس، لا فرق بينهم. وكذلك يوم الحج يقف الناس، على اختلافهم، لا فرق بينهم أمام الله. ومن ثم يحدث التماسك بين اسم السورة ومضمونها[1].

---

(١) من هذه النماذج كذلك: النمل، العنكبوت، لقمان.

ومن المعروف أن هذه السورة مدنية. غير أنها تتفق مع هذه النماذج فى كونها تمثل نموذجاً للتماسك بين اسم السورة ومضمونها عبر حدث أو مناسبة فى السورة.

إذن قد يحدث التماسك النصى بين اسم السورة ومضمونها عبر ذكر حدث يُكرر فيه اسمها، بناء على نتيجة مؤداها أن تكرار الاسم أو العبارة أو الجملة فى أكثر من عنصر من عناصر النص، يحقق التماسك بين هذه العناصر. إضافة إلى أن الحدث المتصل بالعنوان لم يكن منفصلاً عن الأحداث الأخرى فى السورة، بل هناك تماسك قائم على مستوى هذه الأحداث كما أثبتنا فى الفصول الأخرى. فالتماسك إذن على محورين؛ الأول بين مكونات السورة فيما بينها. والثانى بين هذه المكونات كلها واسم السورة، أو بين جزء منها واسم السورة.

(أ-١-٢): التماسك بين اسم السورة وقصة مذكورة فيها:

وهذا النمط من أنماط التماسك النصى عبر المناسبة يُعد مكملاً للنمط السابق الذكر؛ فالحدث أو الموقف الذى تماسك اسم السورة بالسورة نفسها من خلاله، لم يستغرق السورة كلها، بل هو جزء منها، لكنه متماسك مع صلب السورة. كذلك هنا؛ القصة لم تستغرق السورة كلها؛ بل هى واحدة من القصص المذكورة فى السورة.

على سبيل المثال سورة "يونـــس" ذُكرت فيها قصص نوح عليه السلام، ورسل بعده لم يذكر اسمهم، وموسى وهارون عليهما السلام، ويونس عليه السلام، وأطراف من الحوار مع رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم. لكن اسم السورة "يونس"، على الرغم من أنه لم يذكر إلا فى آية واحدة:

﴿فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ(٩٨)﴾

وذكرت قصة نوح فى ثلاث آيات من ٧١: ٧٣، وقصة موسى وهارون فى الآيات من ٧٥: ٩٣ ومواقف بنى إسرائل من موسى عليه السلام كثيرة ومن ثم كان أكثر الأنبياء وروداً فى القرآن الكريم كما سنعرف.

ولعل السؤال الآن: لماذا سميت السورة بهذا الاسم دون غيره ؟

نقول: هناك سورة منفصلة كاملة باسم "نوح" عليه السلام[١]، وهناك سور كثيرة تفصل قصة موسى عليه السلام. أما " يونس" عليه السلام فلم يذكر إلا فى أربع سور: النساء/١٦٣، والأنعام/٨٦، ويونس /٩٨، والصافات/١٣٩ . وفُصلت قصته فى سورة الصافات من ١٣٩: ١٤٨، أى فى آيات أكثر من الآية التى ذُكر فيها فى سورة يونس. وذُكر فى سورة خامسة بلقب "ذا النون" فى سورة الأنبياء /٨٧ . فكان من الطبيعى أن تُسمى هذه السورة باسمه.

ويضاف إلى ذلك سبب آخر هو أنه "قد سميت السورة يونس -[لأنها] ... المثل الوحيد البارز للقوم الذين يتداركون أنفسهم قبل مباغتة العذاب لهم، فيثوبون إلى ربهم وفى الوقت سعة، وهم وحدهم، فى تاريخ الدعوات، الذين آمنوا جملة بعد تكذيب، فكشف عنهم العذاب الذى أوعدهم به رسولهم قبل وقوعه بهم، كما هى سنة الله فى المكذبين المُصرين"[٢].

وهذه السورة متماسكة من أولها إلى آخرها؛ فأولها يتحدث عن الوحى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ ...﴾ الآية (٢) وذلك بعد قوله: ﴿آلر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾/١ ثم يذكر فى الآية الأخيرة منها قضيةَ الوحى بقولهَ تعالَى: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾/ ١٠٩

وقصة يونس جزء من هذا الكل المتماسك، وهذا الجزء يعود بالمرجعية السابقة إلى العنوان أو اسم السورة. ومن ثم فالتماسك قائم بين اسم السورة ومضمونها.

(١) هذا إضافة إى أنه – نوح عليه السلام – قد ذُكر فى ثلاثة وثلاثين موضعاً فى القرآن.
(٢) سيد قطب: فى ظلال القرآن، ٣/ ١٧٥٢ .

* وسورة "هــود" تتجول بين العديد من قصص الأنبياء؛ حيث تبدأ بآيات تتحدث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مبينة له ضيق صدره بما يفعله معه المشركون:

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾/١٢

ثم تعرج على قصص بعض الأنبياء موضحة مواقف أقوامهم الشديدة ضدهم، وذلك حتى يثلج صدر رسول الله ويعلم أن هذه سنة الأنبياء من قبله، وأن يصبر.

﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾/١١٥ .

فتذكر الآيات قصة نوح من ٢٥: ٤٩، وقصة هود من ٥٠ : ٦٠ وقصة صالح من ٦١ : ٦٨ وقصة إبراهيم من ٦٩ : ٧٦ وقصة لوط من ٧٧ : ٨٣ وقصة شعيب من ٨٤ : ٩٥ وقصة موسى من ٩٦ : ٩٩، ثم تعود للحديث إلى رسول الله مرة أخرى حتى آخر السورة.

فالسورة إذن متماسكة نصيًا؛ إذ يتفق هذا القصص فى كثير من الأمور؛ فكلهم أنبياء الله، وكلهم يقوم بالدعوة، وكلهم يُواجه بالكفر والسخرية والعناد. وهذا الاتفاق يعبر عن التماسك الدلالى للسورة.

وهو وقومه يمثلان مرحلة من مراحل تبليغ الرسالة، والقصة متماسكة مع القصص الأخرى فى السورة، ومن ثم مع مضمون السورة. وبالطبع تتماسك مع اسم السورة هود ولذلك يتفق عنوان السورة أو اسمها مع مضمونها؛ فقد أُطلق عليها "هود "بالجزء والمراد به الكل، غير أنه لا يجوز أن تسمى السورة بأسماء هؤلاء الرسل جميعاً.

وهذا كثير فى القرآن، يُطلق الفرد ويراد به الجمع، ويُطلق الجزء ويراد به الكل، وهذا ليس على مستوى اسم السورة فقط، بين آيات السور نفسها.

هذا ولم تُفصل قصة هود، فى القرآن الكريم، إلا فى سورتين، غير سورة هود، هما: الأعراف من ٦٥: ٧٢، والشعراء من ١٢٣: ١٤.

ومرجعية الآيات كلها سابقة؛ إذ كلها ترجع إلى هود صراحة فى قصة هود، وفى القصص الأخرى، ترجع إليه ضمنياً؛ إذ مراحل تبليغه والصدّ عنه، هى المراحل نفسها التى مرَّ بها الرسل جميعاً. ومن ثم يمكن تمثيل هذا التماسك عبر المرجعية فى الشكل التالى:

مرجعية سابقة إلى اسم السورة

اسم السورة: "هــود"

محمد صلى الله عليه وسلم (ض)[1].

ونوح عليه السلام (ض)

هود عليه السلام (ش)

صالح عليه السلام (ض)

إبراهيم عليه السلام (ض)

لوط عليه السلام (ض)

شعيب عليه السلام (ض)

موسى عليه السلام (ض)

ويذكر السيوطى أنه "إن قيل: قد وِرد فى سورة هود ذكر نوح وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وموسى، فلم خصَّت باسم هود وحده مع أن قصة نوح فيها أوعب وأطول؟ قيل: تكرَّر هذا القصص فى سورة الأعراف وسورة هود والشعراء بأوعب مما وردت فى غيرها، ولم يتكرر فى واحدة من هذه السور الثلاث اسم هود كتكرره فى سورته؛ فإنه تكرر فيها فى أربعة مواضع، والتكرار من أقوى الأسباب التى ذكرنا"[2].

(١) الرمز (ش) إشارة إلى أن المرجعية مباشرة. والرمز (ض) إشارة إلى أنها ضمنية.

(٢) السيوطى: الإتقان، ١/ ١٠٦ وقد ذكر كذلك أن العرب كانت "تراعى أخذ أسمائها– أى المسميات من نادر أو مستغرب يكون فى الشئ من خلُق أو صفة تخصه ... ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرت أسماء سور القرآن ... " ١/ ١٠٦.

وكذلك سورة "الكهف"، كما سبق التوضيح، تشتمل على خمس قصص، منها قصة أهل الكهف، ومع ذلك سُميت بالكهف وقد أثبتنا التماسك النصى بين هذه القصص الخمس. وقد تكون سميت هكذا لأن أول قصة فيها كانت أهل الكهف. وهذا له أمثلة كثيرة فى القرآن الكريم مثل: الإسراء، وطه، والمؤمنون، ويس، وص، والذاريات، والنجم، والواقعة، والطارق، والأعلى، والفجر ... إلخ.

والقصص الخمس تؤكد نصر المؤمن فى الدنيا والآخرة، ومن ثم اكتُفى بذكر اسم واحدة منها عنواناً للسورة كما حدث فى سورة "هود".

* وسورة "**مريم**" ذُكرت فيها إشارات لعدد من أنبياء الله تعالى، ومع ذلك سميت بهذا الاسم لأنها كانت أكثر هذا القصص تفصيلاً فى السورة. وقد ذكرت قصتها أو إشارات إليها فى اثنتى عشرة سورة، وفى أغلبها يقترن اسمها بعيسى عليه السلام.

والتماسك النصى فى السورتين "الكهف" و"مريم"، كما فى السور السابقة بين اسم السورة ومضمونها قائم على أساس مرجعية من السورة إلى العنوان أو اسم السورة.

وتوجد نماذج لهذا النمط من التماسك بين اسم السورة ومضمونها عبر ذكر قصة فى السور فى مثل إبراهيم والإسراء وسبأ والبروج وكلها تؤكد أن التماسك ليس بين القصة، التى تمثل جزءاً من السورة، وبين اسم السورة فقط، بل بين مضمون السورة واسمها.

(أ-١-٣): التماسك بين اسم السورة والسورة كلها :

ونماذجه كثيرة منها سور: يوسف، والواقعة، والحاقة، ونوح، والجن، والانفطار، والقدر، والقارعة، والفيل، وقريش. إذ يمثل اسم السورة إشارة إلى موضوعها كله، هذا الموضوع يستغرق السورة كلها. ومن ثم لا يحتاج إثبات التماسك النصى بين اسم السورة والسورة هنا إلى تأويلات كثيرة. وهذا النمط يمثل أشهر الأنماط تحقيقاً للتماسك عبر المناسبة.

فالموضوع الرئيسي الذى تعالجه سورة "**يوسف**" يتمثل فى كونها تقص قصته عليه السلام، مع أبيه وإخوته والجُبّ والرّق والبيع والرغد فى العيش وامرأة العزيز والسجن والتمكين له فى الأرض. وهذا استغرق آيات السورة كلها؛ إذ الآيات من ١: ٣ تمثل المقدمة الطبيعية للسورة، وكذلك تتماسك خاتمة السورة مع مقدمتها فى التعليق على هذه القصة، ثم الآيات من ٤: ١٠١ تعرض لتفاصيل هذه القصة المتكاملة العناصر(١).

وسورة يوسف من السور التى يتجلى فيها التماسك النصى واضحاً؛ ففيها وحدة الموضوع، وفيها التماسك بين موضوع السورة ومناسبة نزولها؛ فقد نزلت فى الفترة ما بين عام الحزن وبيعة العقبة الأولى، وهى الفترة التى توفى فيها سندا رسول الله؛ عمه وزوجه، وفى هذا ابتلاء له، فتأتى السورة لبث الاطمئنان فى قلبه؛ فقد تعرض أخوه يوسف لابتلاءات كثيرة، وصبر عليها، فكان النصر حليفاً له، والتمكين كذلك، كما ذُكرت الآية:

﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيث ...﴾ الآية١٠١ والمتتبع لعدد مرات تكرار اسم يوسف فى السورة، يجده تكرر فى خمسة وعشرين موضعاً(٢). والجداول تبرز هذا، كما تبرز الضمائر التى تحيل إليه. وهذا وغيره يحقق التماسك بين آيات السورة كلها.

وهذا كله يحيل - بالمرجعية السابقة - إلى اسم السورة، وهنا يتحقق التماسك النصى بين مضمون السورة كلها واسمها(٣).

---

(١) انظر التفصيل لعناصر القصة وخصائصها وأغراضها وشخصياتها فى القرآن الكريم: سيد قطب: التصوير الفنى فى القرآن، ص ١٤٣: ٢١٥ .

(٢) هذه المواضع فى الآيات: ٤، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٧، ٢١، ٢٩، ٤٦، ٥١، ٥٦، ٥٨، ٦٩، ٧٦، ٧٧، ٨٠، ٨٤، ٨٥، ٨٧، ٨٩، ٩٠، ٩٠، ٩٤، ٩٩ .

(٣) ومن أنماط التماسك كذلك بين مطلع السورة وخاتمتها - كما سنعرض وكذلك بينهما ومضمون السورة. وفيها كذلك التكرار للمفردات والعبارات والجمل وفيها الحذف لعناصر تعتمد على فهم المتلقى للسياق اللغوى والاجتماعى. وفيها الوظيفة البارزة للضمائر وما تسهم به فى تحقيق تماسكها ... إلخ من الأنماط أو الوسائل التى تحقق التماسك شكلاً ودلالة. وترتيب الجمل والآيات بحسب ترتيب الأحدث واحد من أنماط التماسك النصى. وهذا واضح فى السورة. وقد أشار د. الأزهر الزناد لهذه الأهمية نسيج النص، ص ٤٦، ٦٧ .

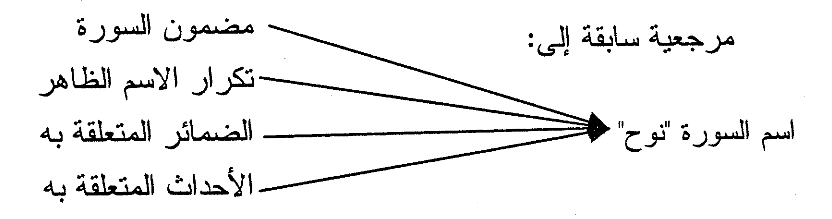
ومن هذه النماذج كذلك سورة "نــوح" عليه السلام؛ إذ إنها تتحدث كلها عن نوح وتكليفه بالدعوة وصدِّ قومه عنه. وقد عرضنا لتكرار اسمه والضمائر التى تحيل إليه فى فصل التكرار(١).

وعلى الرغم من أن هذه السورة سُميت باسم "نوح" فإنها لم تذكر قصته كلها؛ فقصة السفينة فُصِّلت فى سورة هود من ٣٢: ٤٨، وأشير إليها بإجمال فى سورة يونس، وذُكر نوح فى ثلاثة وثلاثين موضعاً من القرآن الكريم فى سور النساء والأعراف والتوبة ويونس وهود وإبراهيم والإسراء ومريم والحج والفرقان والشعراء والأحزاب والصافات ... إلخ(٢). غير أنه لم يذكر، فى هذه السورة، سوى نوح عليه السلام. فمضمون السورة يدور حول طرف من قصته مع قومه، إضافة إلى ما تضمنته من إشارة إلى مصير قومه المكذبين:

﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا ...﴾ الآية ٢٥

وهذا من خصائص القرآن الكريم؛ ما أُجمل فى سورة، يُفَصَّل فى أخرى، وما لم يُذكر فى سورة، من جوانب القصة، يُذكر فى أخرى. وهذا من الأسباب المؤكدة لتماسك النص القرآنى كله.

إذن يتماسك نص السورة مع اسمها عبر مرجعية مضمون السورة وما فيه من اسم ظاهر مكرر، وضمائر، وأحداث، مرجعية هذا كله إلى اسم السورة:



(١) يظهر التماسك النصى لهذه السورة كذلك عبر لغة الحوار بين الله ونوح وقومه.

(٢) بقية السور هى: صٓ، غافر، قٓ ، الذاريات، النجم، القمر، التحريم. وهذا بورود نوح إما بالرفع أو بالخفض. وبالنصب فى: آل عمران، الأنعام، الأعراف، هود، الأنبياء، المؤمنون، العنكبوت، الشورى، الحديد. انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقى، دار الحديث، القاهرة، ط٢، ١٩٨٨م، مادة "ن و ح" ص ٨٩٢ - ٨٩٣ .

ومن هذه السور سورة "**القـــدر**"؛ إذ تتحدث كلها عن هذه الليلة المباركة؛ إما بذكر اسمها صراحة، أو من خلال الضمائر التى تحيل إليها. فمضمون السورة يدور حولها فقط، ومن ثم يصبح التماسك النصى بين اسمها وبينها أمراً محققاً. وقد أثبتنا – فيما سبق – وظيفة الوسائل الأخرى فى تحقيق التماسك النصى بين آياتها.

(أ-١-٤): التماسك النصى بين اسم السورة والسورة عبر الآية الأولى:

وهذا النمط أكثر الأنماط تحقيقاً فى القرآن الكريم، إذ تُسمى السورة تبعاً للآية الأولى منها. ومن هذه السور:

الإسراء، طه، المؤمنون، الفرقان، يّس، الصافات، صّ، قّ، الذاريات، الطور، النجم، القمر، الواقعة، الملك، القلم، الحاقة، المعارج، المزمل، المدثر، الطارق، الأعلى، الغاشية، الفجر، البلد، الشمس، الليل، الضحى، الشرح، التين، القدر، العاديات، القارعة، التكاثر، العصر، الهمزة، الكوثر، الكافرون، النصر، الفلق، الناس.

فسورة "**الإســـراء**" تتحدث عن موضوعات كثيرة، لكنها تبدأ بالإشارة إلى قضية الإسراء، والمسجد الأقصى هو المكان الذى أُسْرى برسول الله صلى الله عليه وسلم إليه، ومن ثم ثنى بالحديث عن المسجد الأقصى وإفساد بنى إسرائيل فى الأرض، وإرسال الله لعباد أولى بأس شديد لردِّ هذا الإفساد. وكذلك فيها الحديث عن عدم إيمان المشركين بما ينزل على رسول الله من آيات، لكنهم يطلبون خوارق مادية، كما طلبوا من موسى عليه السلام من قبل، ومع ذلك لم يؤمنوا:

﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا(٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا(٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً(٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلاَّ بَشَرًا رَسُولاً(٩٣)﴾.

ومع ذلك عندما حدثهم رسول الله عن الإسراء والمعراج، وجاء لهم بدلائل تثبت ما حدث له، فإنهم لم يؤمنوا، على الرغم من أنها معجزة حسية ومن هنا يحدث الربط بين ما حدث لرسول الله، وما حدث لموسى عليه السلام من قبل.

والسورة تبين أن القرآن الكريم هو الذى فيه الهداية لمن أراد الله أن يهديه ومن ثم اشتملت على أوامر ونواه تتعلق ببناء المجتمع المسلم حتى قيام الساعة، لأن المعجزة المادية وقتية. ومن ثم ارتبطت أجزاء السورة بالإسراء المذكور فى الآية الأولى. إذَن التماسك ليس بين اسم السورة والآية الأولى فحسب، بل يتعداه إلى التماسك بين أجزاء السورة نفسها من ناحية، وبين هذه الأجزاء واسم السورة من ناحية أخرى.

وكذلك سورة "**المؤمنــون**" "اسمها يدل عليها. ويحدد موضوعها فهى تبدأ بصفة المؤمنين، ثم ... دلائل الإيمان ... ثم حقيقة الإيمان ... من لدن نوح عليه السلام إلى محمد خاتم الرسل والنبيين، وشبهات المكذبين حول هذه الحقيقة واعتراضهم عليها ... حتى يستنصر الرسل بربهم، فيهلك المكذبين، وينجى المؤمنين ... ثم يستطرد إلى اختلاف الناس بعد الرسل - فى تلك الحقيقة الواحدة التى لا تتعدد ...

فهى سورة "المؤمنــون" أو هى سورة الإيمان، بكل قضاياه ودلائله وصفاته. وهو موضوع السورة ومحورها الأصيل"(١). هذا يبرز التماسك النصى بين مكونات السورة الكريمة من ناحية، وبينها وبين اسمها من ناحية أخرى، خاصة الآية الأولى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾

ومرجعية هذا كله؛ من الآية الأولى، حتى الأخيرة، مرجعية سابقة،

---

(١) سيد قطب: فى ظلال القرآن، ٤ / ٢٤٥٢ .

مباشرة أحياناً، وضمنية أحياناً أخرى. فالموضوعات كلها تدور حول المؤمنين وصفاتهم، والإيمان ودلائله وحقيقته، وذلك على مرِّ التاريخ، وموقف الناس منه، والنصر للمؤمنين والخزى للمشركين. ومن ثم فمفتاح السورة، الآية الأولى؛ إذ تتماسك مع العنوان أو اسم السورة من ناحية، ومع مكوناتها السورة، من ناحية أخرى[1].

وكذلك سورتا "صّ" و" قّ "؛ فكلتاهما تبدأ بهذين الحرفين، وفى هذا تماسك بين اسم السورة والآية الأولى منها. وتوجد كذلك علاقة بين كل حرف منهما، والسورة التابعة له، من ناحية موضوعات كل سورة، وهذا ما سوف نفصله فى موضعه من الفصل.

وسورة "**الواقعـــة**"، تتحدث آياتها من ١: ٥٦ عن هذا اليوم، ومصير كل فريق. ثم تُختتم ببيان بعض النعم التى منَّ الله بها على عباده. وكأن ذكر هذه النعم يُراد منه تقرير حقيقة فى سؤال: إذا علمتم هذه النعم عليكم، فلِمَ تكفرون بالله ولا تعدوا لهذا اليوم عدته؟!

ومن ثم فهذه السورة تتماسك نصَّياً على أربعة محاور:

الأول: بين مكونات السورة الداخلية.

الثانى: بين مكوناتها واسم السورة.

الثالث: بين مكوناتها والآية الأولى.

الرابع: بين الآية الأولى واسم السورة [2].

ومن اللافت للنظر أن هناك سوراً سُميت تبعاً للآية الأخيرة فيها؛ منها سورة "الماعـــــون" :

---

(١) مفتاح السورة النصى قد يكون اسمها، وقد يكون فى الآية الأولى، وقد يكون فى الأخيرة، وقد يكون فى وسط السورة. وهذا يمكن مراعاته فى عناصر المناسبة كلها.

(٢) يمكن فعل هذا فى بقية السورة المتعلقة بهذا النمط. وقد ذكرناها فى بداية النمط.

﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾/٧

وسورة "المسد" :

﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ(٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ (٥) ومنها ما تبدأ بذكر اسم السورة فى الآية الأولى، وذكره فى الآية الأخيرة، مثل سورة "الناس" :

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾/١ و: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾/٦

مما سبق يتبين أن التماسك النصى لا يكون بين اسم السورة والآية الأولى فحسب، بل بين مكونات السورة من ناحية، وبين هذه المكونات واسم السورة من ناحية أخرى.

ونلفت الانتباه إلى أن هناك نمطاً آخر من السور، توجد فيه المناسبة بين العنوان والسورة من خلال ذكر للعنوان أو اسم السورة، مرة أخرى بداخل السورة، على الرغم من عدم كونه ليس موضوع السورة الكلى، بل يمثل واحداً من موضوعاتها، مثل ذلك: الشعراء والسجدة وفاطر والزمر وغافر وفصلت والشورى والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف ... وغيرها.

سورة "**العنكبـــوت**" وهى من السور التى تبدو العلاقة بين اسمها - اسم السورة - وبين ما فيها من أحداث، من النمط الأخير؛ لمجرد ذكر العنكبوت فيها لكن تأمُّل هذه السورة يبرز التماسك القوى بين اسم السورة وما فيها. من قصص؛ فقد ذكرت السورة إشارات لمصائر العديد من الأمم التى كذبت رسلها؛ فذكرت قصص: موسى، نوح، إبراهيم، شعيب، لوط، صالح، هود . وذكرت تكذيب أقوامهم لهم، ومن ثم اتخذوا من دون الله أولياء، فمثلهم، إذَنْ، كمثل الذى اتخذ بيت العنكبوت ليحميه، وما هو بفاعل، لذا فقد أخذهم الله جميعاً بالعذاب فى الدنيا، وتوعدهم بالجحيم فى الآخرة؛ ففى الدنيا، منهم من أرسل الله عليه حاصباً، ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من خُسِفَت به الأرض، ومنهم من أُغرِق. فربطت السورة بين هذه القصص جميعاً فى تشبيه بليغ، فى قوله تعالى:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٤١).

فالتماسك النصى هنا لم يكن بين اسم السورة ومجرد ذكر للفظ العنكبوت داخلها، بل بين مكونات السورة فيما بينها، وبين مكوناتها واسمها.

هذا عن النمط الأول من أنماط التماسك النصى بين اسم السورة ومضمونها[١]. فما طبيعة التماسك النصى بين أول السورة وآخرها عبر المناسبة؟

(أ- ٢): مناسبة أول السورة لآخرها :

فى كثير من الأحيان، يطول النص، وتتعدد الجمل والفقرات المكونة له بصورة قد يُنسى معها أوله، وحينئذ يأتى النص بخاتمة تذكر بمطلعه، وذلك قد يكون بتكرار اللفظ والمعنى المتحققين فى مطلع النص، أو بتكرار المعنى دون اللفظ، أو بالإتيان بجملة تفسر المطلع ... أو غير ذلك من العلاقات التى تبين التماسك بين مطلع النص وخاتمته. وجدير بالذكر أن هذا التماسك بين أول السورة وخاتمتها يتحقق عبر عدد من وسائل التماسك النصى هى:

١- التكرار [باللفظ والمعنى أو بالمعنى]. ومنه الترادف.

٢- الإجمال والتفسير.

٣- المرجعية. وهى مرجعية سابقة داخلية.

وقد أدرك السيوطى هذه العلاقة، فقد أفرد فيها "جزءاً لطيفاً سمّاه - [ولفظه: سميتُه]- "مراصد المطالع فى تناسب المقاطع والمطالع".

وانظر إلى سورة "القصص" كيف بُدئت بأمر موسى، ونصرته، وقوله:

(١) من أنماط التماسك النصى البارزة فى العناصر السابقة من (أ-١-١) إلى (أ-١-٤)، الإجمال والتفصيل، فالسور كلها تقوم بوظيفة التفصيل للعنوان/اسم السورة. وتلك تمثل المرجعية المحققة للتماسك النصى.

﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾،

وخروجه من وطنه. وختُمت بأمر النبى صلى الله عليه وسلم بألا يكون ظهيراً للكافرين، وتسليته عن إخراجه من مكة، ووعده بالعود إليها، لقوله فى أول السورة (إنا رادوه) ... الآية[1].

فالتماسك إذَنْ تحقق على محورين:

الأمر بعدم مناصرة المجرمين والكافرين.

الخروج من الوطن لكل منهما، والوعد بالعودة إليه.

ولا شك فى أن هناك تكراراً فى اللفظ والمعنى مع اختلاف الشخصين؛ شخص رسول الله، وشخص موسى عليه السلام، غير انهما نبيَّان. ومن ثم تحققت علاقة المرجعية السابقة الداخلية بين خاتمة السورة ومطلعها، وبها يتحقق التماسك بينهما.

ويربط د. سعد مصلوح بين هذه العلاقة وبين محاولة استعادة ذاكرة المتلقى وتنشيطها بعد أن كاد النص أن ينتهى. وكذلك لتأكيد نصية النص. ويؤكد هذا عبر تحليله لقصيدة جاهلية بدأت بذكر اسم المحبوبة، ثم اختفى هذا الذكر الصريح إلا من ضمائر تحيل إليه، ثم يُذكر الاسم صريحاً مرة أخرى فى آخر بيت منها "وكأنه- أى الشاعر- يضع القصيدة كلها- بأن يعمد إلى اسم المحبوبة الذى صَدَّر به مقالته صريحاً، ثم توارى طويلاً خلف الضمير ليذكر صريحاً مرة أخرى فى آخر كلمات القصيدة- كأنه يضع القصيدة كلها بين قوسين"[2].

---

(١) السيوطى: الإتقان، ٣/ ٣٣٠ - ٣٣١ وقد ذكر نماذج للزمخشرى والكرمانى تبين إدراكهما لهذه العلاقة.

(٢) د. / سعد مصلوح: نحو أجرومية للنص الشعرى: دراسة فى قصيدة جاهلية، ص ١٥٧ .
ونحن نرى فى هذه العلاقة "رد العجز - خاتمة السورة - على الصدر - فاتحة السورة"، إذ إن هناك علاقة دلالية أو شكلية أو كلتيهما معاً، بين المقدمة والخاتمة.

ومن بين السور التى تتضح فيها المناسبة بين أولها وآخرها:

الأنعام – الأعراف – يونس – هود – يوسف – إبراهيم – النحل – الإسراء – الكهف – الأنبياء – المؤمنون – الشعراء – القصص – العنكبوت – الروم – فاطر – صّ – الشورى – الدخان – الجاثية – قّ .

فسورة "الأنعـــام" قد أثبتنا تماسكها النصى عبر الوسائل الأخرى، وكذلك المناسبة بين اسمها ومضمونها. وهنا نجد الآيات الأولى تذكر بعضاً من نعم الله على خلقه:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ(١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ(٢) وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ(٣)﴾.

وفى أخر السورة:

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٦٥)

فالمسند إليه فى هذه الآيات؛ الأولى والأخيرة، واحد، وهو الله تعالى، ومن ثم تكرر لفظه وما يحيل إليه من ضمائر فى هذين الموضعين.

وفى الوقت الذى تذكر فيه الآيات الأولى أن الذين كفروا، على الرغم من هذه النعم، يعدلون. فإن رسول الله فى نهاية السورة يقول:

﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(١٦٢) لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (١٦٣).

بل تكررت جمل بعينها؛ ففى الآية (١) :

﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾. وفى الآية (١٥٠):

﴿وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾.

وهكذا تلتقى المقدمة مع الخاتمة فى العديد من النقاط. ومن ثم يتضح التماسك بينهما.

وسورة "**الأعـــراف**" كذلك تتصل مقدمتها بخاتمتها عبر محورين دلاليين بل ثلاثة محاور هى:

١- الحديث عن الكتاب الكريم.

٢- توجيه الخطاب فيهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٣- الأمر الموجه إلى الجماعة المسلمة باتباع ما أُنزل من الله.

فالآيات الثلاث الأولى تبدأ بقوله تعالى:

﴿المص(١) كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ(٢) اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ(٣)﴾ .

ثم الآيات الأخيرة:

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ(٢٠٤) وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ(٢٠٥) إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ (٢٠٦).

فالمحور الأول يظهر كالتالى:

مرجعية سابقة داخلية

كتاب (٢) ← القرآن (٢٠٤)

فالكتاب، والقرآن، اسمان من الأسماء التى سمى بها كلام الله تعالى.



ويظهر المحور الثانى كالتالى:

مرجعية سابقة

إليك/صدرك/لتنذر (٢) ⟵ واذكر/ ربك/ نفسك/ ولا تكن (٢٠٥)

ربك (٢٠٦)

والمحور الثالث كالتالى:

وذكرى للمؤمنين (٢)

مرجعية داخلية سابقة

{اتبعوا/ إليكم/ ربكم/ لا تتبعوا/ تذكرون/٣} ⟵ {فاستمعوا/ أنصتوا/ لعلكم/ترحمون/٢٠٤}

وهكذا تلتقى مقدمة السورة مع خاتمتها فى هذه المحاور، محققة بذلك التماسك بينهما، على الرغم من طول هذه السورة، واختلاف الموضوعات والقصص فيها. لكن ظهور هذه المحاور فى خاتمة السورة يجعلها متلاحمة. خاصة وأنها تعتمد - مثل بقية السور المكية - على الحديث عن موضوع العقيدة. ولا يخفى أن المرجعية تحققت بالضمائر، والأسماء الظاهرة المكررة، وإن كانت بالترادف.

وكذلك تلتقى مقدمة سورة "يونس" مع خاتمتها فى الحديث عن الكتاب الحكيم، والوحى إلى رسول الله، وموقف المؤمنين، وموقف الكافرين، وموقف رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يفعله الكافرون. ويتضح هذا من التأمل فى آيات المقدمة والخاتمة.

﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ(١) أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ(٢)﴾

وفى الخاتمة:

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ(١٠٨) وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ(١٠٩)﴾.

والشكل التالى يوضح هذا التماسك:

"مرجعية سابقة داخلية"

آيات الكتاب الحكيم ← الحق من ربكم

أوحينا ← اتبع ما يُوحى

وبشر الذين آمنوا ← فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه

قال الكافرون إن هذا لساحر مبين ← ومن أضل فإنما يضل عليها

وكذلك يحدث الالتقاء عن طريق العلاج المقدم إلى رسول الله فى مقابل الافتراء الموجه إليه؛ ففى الوقت الذى يقول فيه الكافرون:

﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ﴾ / ٢، نجد العلاج :

﴿وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾/١٠٩

وسورة "**هــود**" تتماسك مقدمتها مع خاتمتها فى دورانهما حول قضية عبادة الله، وأن مرجع الأمر كله إلى الله. يقول تعالى:

﴿آلر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ(١) أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ (٢).

ويقول سبحانه :

﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ /٤

ثم يقول فى خاتمة السورة:

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾/ ١٢٣

ويتحقق التماسك بين المقدمة والخاتمة كما يلى:

"مرجعية سابقة داخلية"

ألا تعبدوا إلا إياه ← فاعبده

إلا الله مرجعكم ← وإليه يُرجع الأمر كله

فالمسند إليه فى هذه المواضع الأربعة واحد؛ هو الله تعالى. ولم يقف حد التماسك على العلاقة أو المناسبة بين المقدمة والخاتمة؛ بل نجده كذلك فى آيات السورة نفسها،على لسان أنبياء الله؛ فنجد نوحاً عليه السلام يقول:

﴿أَلاَ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ ...﴾ الآية (٢٦)

ويقول هود كذلك لقومه:

﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ...﴾ الآية (٥)

ويقول صالح عليه السلام لقومه:

﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ...﴾ الآية (٦١)

ويقول شعيب عليه السلام لقومه:

﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ...﴾ الآية (٨٤)

وهذا يحقق التماسك النصى بين آيات السورة - كما سنفصل فيما بعد - كما أنه يلتقى مع المقدمة والخاتمة فى تحقيق تماسكها. وسوف نرى أن ردود أقوام هؤلاء الأنبياء واحدة كذلك.

* أما سورة "**يـــوســـف**" عليه السلام، فهى - كما أسلفنا - تقص قصته كاملة، من بدايتها إلى نهايتها، وهذا وحده يحقق تماسكها النصى. غير أن ما يخص هذا النمط المتعلق بمقدمة السورة ونهايتها؛ فإننا نجدهما يتحدثان عن الكتاب المبين أو الوحى، والخطاب الموجه فيهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم بيان أن هذه تمثل قصة من القصص. ويظهر هذا بقراءة المقدمة، حيث يقول تعالى:



﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ(١) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ(٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ(٣)﴾

والخاتمة، بعد سرد القصة كاملة، حيث يقول سبحانة:

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ...﴾ الآيه (١٠٢)

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ...﴾ الآية (١١١)

ويمكن تمثيل تلك العلاقة التماسكية كما يلى:

تلك آيات الكتاب المبين ← "مرجعية سابقة داخلية"

إنا أنزلناه قرآنا عربياً ← ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك

بما أوحينا إليك هذا القرآن ←

"مرجعية سابقة داخلية"

نحن نقص عليك أحسن القصص ← لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب فالكتاب المبين، والقرآن، والوحى، يمثلون شيئاً واحداً؛ هو كلام الله، وكلهم يمثلون الوحى، ومن ثم كانت الإشارة إلى الوحى فى آخر السورة، متماسكة مع ما ذكر فى بداية السورة. ذلك إضافة إلى وحدة المسند إليه فى المقدمة والخاتمة، وهو الله تعالى. وفى الحقيقة، هذه السورة، تبدو واحدة من أبرز النماذج التى يظهر فيها التماسك النصى جليًّا، سواءٌ أكان بين عناصر القصة الواحدة، أم بين المقدمة والخاتمة أم بين هذا كله واسم السورة. وكذلك رد عجز السورة على صدرها نمط من الأنماط التى تحقق التماسك النصى.

وسورة "المؤمنـــون"، تدور - كما أكدنا - حول قضية الإيمان والمؤمنين، وتأكيد فلاح المؤمنين، وعدم فلاح الكافرين، وهذان التأكيدان كانا موضوع المقدمة والخاتمة؛ فيقول سبحانه فى المقدمة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾/١

ويقول فى الخاتمة: ﴿إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾/١١٧

فقضية الفلاح هى محور المقدمة والخاتمة، لكنه مثبت للمؤمنين، منفىٌّ بالنسبة للكافرين، وهذا النفى الأخير، يؤكد الإثبات السابق. "فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة"[1]. على حد تعبير السيوطى فى نقله عن الزمخشرى. فالمحور الدلالى هو الذى ربط بين المقدمة والخاتمة.

ومقدمة سورة "العنكبـوت"، تلتقى مع خاتمتها، فى الحديث عن ضرورة اختبار الله لإيمان العبد، ليتبين صدقه، وعن الذين يظنون أنهم يخدعون الله بادعائهم الإيمان، وهذا افتراء على الله، وحكم سئ ذلك الذى زعموه، ثم الحديث عن الجهاد فى سبيل الله. وهذا كله يظهر فى قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ(٣) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ(٤) وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ(٦)﴾.

وقوله تعالى فى الخاتمة:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ(٦٨) وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ(٦٩)﴾.

ومقدمة سورة "**العنكبـوت**"، تلتقى مع خاتمتها، فى الحديث عن ضرورة اختبار الله لإيمان العبد، ليتبين صدقه، وعن الذين يظنون أنهم يخدعون الله بادعائهم الإيمان، وهذا افتراء على الله، وحكم سئ ذلك الذى زعموه، ثم الحديث عن الجهاد فى سبيل الله. وهذا كله يظهر فى قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ(٣)

---

(١) انظر: أ – الزركشى: البرهان، ١/ ١٨٦، ب– السيوطى: الإتقان، ٣/ ٣٣١ وكلاهما نقل هذا النص عن الزمخشرى.

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ(٤) وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ(٦)﴾.

وقوله تعالى فى الخاتمة:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ(٦٨) وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ(٦٩)﴾.

وتتضح المناسبة بالمرجعية كما يلى:

"مرجعية سابقة داخلية"

وليعلمن الكاذبين ← افترى على الله كذباً أو كذب بالحق

ساء ما يحكمون ← ومن أظلم ممن افترى على الله

ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه ← والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا

وسورة " **ص** "، تبدأ، بقوله تعالى:

﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾(١).

وتنتهى بقوله تعالى:

﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (٨٧)

وسورة "الشـــورى"، تبدأ، بعد الحروف المقطعة، بقوله تعالى:

﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(٣) لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ(٤) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ ...﴾ الآية (٥)

وفى الخاتمة يقول سبحانه:

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ...﴾ الآية (٥٢)

﴿صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ...﴾ الآية (٥٣)

فالحديث فى المقدمة والخاتمة عن قضية الوحى، لا إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم – وحده، بل إلى من يشاء الله كذلك، لذلك يقول فى خاتمة السورة :

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾(٥١)

ومن ثم تظهر المرجعية كما يلى:

"مرجعية سابقة داخلية"

كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك ← وكذلك أوحينا إليك

والله العزيز الحكيم ← وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً

وهو العلىُّ العظيم ← إنه علىُّ حكيم

له ما فى السموات وما فى الأرض ← له ما فى السموات وما فى الأرض

وسورة " ق "، تبدأ بقوله تعالى:

﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ(١) بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ(٢)﴾

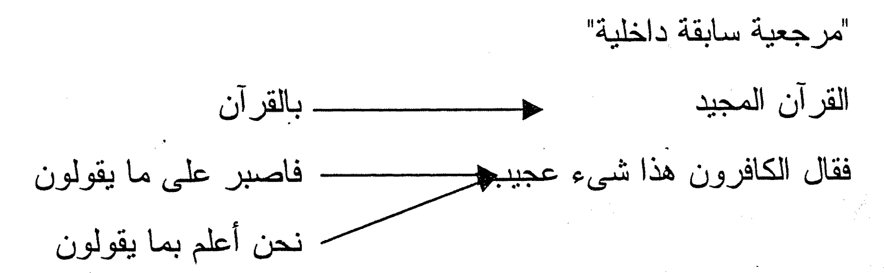
ويقول فى الخاتمة:

﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ...﴾ الآية (٣٩)

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ (٤٥).

فتظهر المرجعية كما يلى:

"مرجعية سابقة داخلية"



هذا إضافة إلى الإشارة فى مقدمة السورة إلى وظيفة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهي الإنذار (منذر منهم)، والإشارة فى نهاية السورة إلى تلك الوظيفة كذلك (فذكِّر)، والإنذار جزء من التذكير.

هكذا يظهر لنا من عرض هذه النماذج، كيفية إبراز وظيفة المقدمة والخاتمة فى تحقيق التماسك النصى للسورة؛ فالمقدمة لا تنفك عن الخاتمة، والمقدمة والخاتمة لا تنفكان عن موضوع السورة، وهذا كله لا ينفك عن اسم السورة. ومن ثم يسهم هذا كله، مع ما ذكرناه من وسائل، فى تحقيق التماسك النصى بنوعيه الشكلى والدلالى. وهذا بدوره يسلمنا للبحث عن التماسك النصى عبر مناسبة الآيات لبعضها البعض داخل السورة.

(أ- ٣): مناسبة آيات السورة لبعضها البعض :

أثبتت الوسائل السابقة، مرجعية الضمائر، التوابع، التكرار، الحذف، أثبتت التماسك النصى بين آيات السورة. وقد فصَّل علم اللغة النصى أكثر هذه الوسائل، باستثناء ما أشرنا إليه فى حينه. إضافة إلى وظيفة المناسبة فى تحقيق هذا التماسك، وهذا ما لم يذكره علم اللغة النصى، غير أن علماءنا قد أفاضوا فيها، وأكدوا وظيفتها، خاصة فى النص القرآنى.

فقد أكدوا أن مرجع المناسبة فى الآيات ونحوها "إلى معنى" رابط بينها، عام أو خاص، علقى أوحسى أو خيالى أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهنى، كالسبب والمسبب، والعلّة والمعلول، والنظيرين والضدَّين،

ونحوه"[١]. ولم يكتفوا بتفصيل ذلك المعنى الرابط، بل تطرقوا إلى ذكر فائدة هذا المعنى الرابط، وهى "جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء"[٢].

وكأنى هنا أمام عالم نصى يتحدث عن التماسك النصى بين الأجزاء المكونة للنص. وما يؤكد هذا المعنى أكثر ما قام به السيوطى فى شرح علاقة التماسك بين الآيات بقوله: "ذِكْر الآية بعد الأخرى إمَّا أن يكون ظاهرَ الارتباط، لتعلق الكلم بعضه ببعض وعدم تمامه بالأولى فواضح. وكذلك إذا كانت الثانية للأولى على وجه التأكيد أوالتفسير أو الاعتراض أو البدل؛ وهذا القسم لا كلام فيه. وإما ألاّ يظهر الارتباط، بل يظهر أن كل جملة مستقلة عن الأخرى، وأنها خلاف النوع المبدوء به. فإما أن تكون معطوفة على الأولى بحرف من حروف العطف المشتركة فى الحكم أوْلا؛ فإن كانت معطوفة فلابد أن يكون بينهما جهة جامعة ... كالتضاد بين القبض والبسط ... وشبه التضاد بين السماء والأرض ... وإن لم تكن معطوفة، فلابد من دعامة تؤذن باتصال الكلام، وهى قرائن معنوية تؤذن بالربط. وله أسباب:

أحدها: التنظير ... **الثانى:** المضادة ... **الثالث:** الاستطراد ... ويقرب من الاستطراد ... حسن التخلص ... ويقرب منه أيضاً حسن المطلب ... (٢)

وهذا النص – مع طوله – ذو دلالة قاطعة بأهمية المناسبة فى تحقيق تماسك النص. مع شرح لبعض من أنماط هذه المناسبة. ويؤكد كذلك – ضرورة وجود دعامة تؤذن باتصال الكلام. وكأن السيوطى يريد القول: إن وسائل التماسك النصى كذا وكذا!

(١) انظر: أ ـ الزركشى: البرهان، ١/ ٣٥ ب– السيوطى: الإتقان، ٣٢٣/٣

(٢) السيوطى: الاتقان، ٣٢٤/٣ ـ ٣٢٧ .

وعبر قراءة النص القرآنى الكريم يمكن إجمال بعض الوسائل التى تحقق التماسك بين الآيات - إضافة إلى ما ذكرنا - فى عدة نقاط تتصل بالمناسبة.

١- تكرار الفاصلة الواحدة [١].

٢- الإجمال والتفصيل بين الآيات.

٣- ترتيب الجمل حسب ترتيب الأحداث.

٤- علاقـــة التضـــاد.

٥- علاقة السبب والمسبب عنه.

١- تكـــــرار الفاصلـــــة الواحـــدة

فسورة "**الأنعـــام**"، تنتهى مائة وستٌ وأربعون آية منها بفاصلة واحدة؛ فاصلة "النون"، مثل: يعدلون، تمترون، تكسبون، معرضين، يستهزءُون، آخرين، مبين، ينظرون، يلبسون، المكذبين، يؤمنون، المشركين، المبين، تشركون، تزعمون، يفترون، الأولين، يشعرون، كاذبون، مبعوثين، تكفرون، يزرون، تعقلون، يجحدون، المرسلين، الجاهلين، يُرجعون، يُحشرون، صادقين، يعملون، مبلسون ... إلخ.

وتسهم هذه الفاصلة فى تحقيق التماسك النصى للنص القرآنى، كما يسهم الوزن والقافية فى تحقيق صفة النصية للنص الشعرى، ويتحقق هذا التماسك عبر تحقيق هذه الفاصلة للاستمرارية على النص " ومن ثم يدفع النص الباحث أحياناً إلى التماس علَّة الفاعلية والكفاءة فى النص فيما وراء الوزن والقافية"[٢].

وهذا التكرار للفاصلة يبرز فيه مستويان لغويان؛ الصوتى والصرفى،

---

(١) نقصد بالفاصلة هنا الحرف الأخير من الكلمة الأخيرة من الآية وليس المقصود الكلمة الأخيرة كلها كما شرح السيوطى فى إتقانه ٣/ ٣. ٢ وما بعدها.

(٢) د. سعد مصلوح: نحو أجرومية للنص الشعرى، صـــ ١٥٥.



إضافة إلى مستويات أخرى يتعامل معها علم النص " وتبحث تلك المستويات اللغوية للنص فى إطار بحث شامل عن كل ما يجعل من نص ما نصاً كما يقول علماء النص ... "[١].

وهذا لا يضفى الاستمرارية فقط، بل يضفى فقط الجمال الموسيقى الذى يظهر مع تكرار القافية فى الشعر، وتكرار الفاصلة فى القرآن الكريم. وهذا ما دفع الشعراء إلى التزام القافية الواحدة فى القصيدة.

وتكرار الفاصلة لا تختص به سورة دون أخرى، بل تكاد سور القرآن كلها أن يتحقق فيها هذا التكرار. وفى السور التى تتعدد فيها الفواصل، نجد - فى الغالب - تقارباً بين الفواصل المتعددة، فى صفات الحرف الأخير من كل فاصلة؛ ففاصلة سورة الأنعام كما ذكرنا "النون"، وصفاته الصوتية "صامت أسنانى لثوى أنفى - مائع (متوسط) - مجهور"[٢]. وهذا التكرار فى "١٤٦" آية. ويليه حرف الميم فى العدد، وصفاته الصوتية "صامت شفوى مزدوج أنفى - مائع (متوسط) - مجهور"[٣].

وسورة "**الأعـــراف**"، كذلك تنتهى مائة وخمس وتسعون آية منها بحرف النون، وثمان آيات بحرف الميم، وآيتان بحرف اللام، وآية واحدة بحرف الصاد.

وكذلك سورة "**يونـــس**" تنتهى تسع وتسعون آية منها بحرف النون، وتسع آيات فقط بحرف الميم، وآية واحدة بحرف اللام. وتظهر الاستمرارية كذلك فى سورة يوسف؛ إذ تنتهى خمس وتسعون آية منها بحرف النون وأربع عشرة آية بحرف الميم وآية بالراء، وأخرى باللام. ولا يخفى أن

(١) د. سعيد بحيرى: علم لغة النص، ص ١٤٥. وتحدث فيها عن أهمية الوزن والقافية فى تحقيق تماسك النص.

(٢) برثيل مالبرج: علم الأصوات، تقريب ودراسة د. عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٨٦، ص ١٣٢.

(٣) السابق، ص ١٢٢.

الاستمرارية متحققة كذلك من خلال تفرد السورة كلها بسرد قصة واحدة، وهى استمرارية دلالية.

وسورة "**الحجـــر**" فيها اثنتان وثمانون آية تنتهى بالنون، وست عشرة آية بالميم، وآية واحدة باللام.

أما سورة "**الإســـراء**" فإنها كلها تنتهى بفاصلة واحدة، باستثناء آية واحدة، الآية الأولى. وتليها سورة الكهف، فى الترتيب المصحفى، على الفاصلة نفسها، آياتها كلها ذات فاصلة واحدة. وتسير سورة "مريم" على الفاصلة نفسها، باستثناء خمس آيات لا تتفق مع هذه الفاصلة. وكذلك سورة "طه" تنتهى آياتها كلها بفاصلة واحدة. إذن هذه السور الأربع، كلها على فاصلة واحدة، باستثناء ست آيات فقط.

وسورة "**الأنبيـــاء**" تنتهى مائة وست من آياتها بالنون، وست آيات فقط بالميم. وسورة "المؤمنون" تنتهى مائة وخمس عشرة آية بالنون، وثلاث آيات بالميم(١).

والمناسبة التى تتحقق بوحدة الفاصلة، ليست بين هذه الفواصل فقط، بل بينها وبين الدلالة التى تحملها هذه الفواصل، والآيات التى توجد فيها الفواصل؛ فكثيراً ما تحمل هذه الفواصل الدلالات المناسبة لصفاتها الصوتية من شدة وجهر ورقة ولين ... إلخ من صفات الأصوات.

فصوت القاف من صفاته أنه انفجارى شديد. فهل لذلك علاقة بما تحمله السورة من معان دلالية؟ (٢).

يذكر الزركشى أن "السورة مبنية على كلمة ذلك الحرف؛ ... فإن

(١) من السور ذات الفاصلة الواحدة كذلك الفرقان، القمر، الجن، الأعلى، الشمس، الليل، القدر، العصر، الهمزة، الفيل، الكوثر، الإخلاص، الناس.

(٢) كان الواجب ذكر هذه المناسبة فى مبحث المناسبة بين اسم السورة ومضمونها غير أنه هنا يُركز على علاقة فواصل الآى بالدلالات التى فى السورة.

السورة مبنية على الكلمات القافية: من ذكر القرآن، ومن ذكر الخلق، وتكرار القول ومراجعته مراراً، والقرب من ابن آدم، وتلقى الملكية، وقول العتيد، وذكر الرقيب، وذكر السابق، والقرين والإلتقاء فى جهنم، والتقدم بالوعد ... إلخ فمعانى السورة كلها مناسبة لما فى حرف القاف من الشدة والجهر والقلقلة والانفتاح"[١].

فالفواصل التى تنتهى بها آيات السورة هى: الدال، والباء، والظاء، والجيم، والطاء، والراء. والقاسم المشترك بينها كلها، أنها أصوات مجهورة، غير أن الطاء كانت مجهورة على النطق القديم؛ فقد كانت نظير الدال. لكنها الآن ليست كذلك[٢].

وكذلك يتسم معظمها بالانفجارى الشديد مثل الدال والباء والطاء. وبعضها مفخم مثل الظاء والطاء والراء. ومن ثم يحدث التماسك عبر تحقق المناسبة، بين فواصل هذه الآى ودلالاتها. واسم السورة كذلك انفجارى شديد مفخم، وكان الناس قديماً ينطقونه مجهوراً[٣]. ويربط آخر بين مادة الصوت والناحية النفسية فيقول: "وليس يخفى أن مادة الصوت هى مظهر الانفعال النفسى، وأن هذا الانفعال بطبيعته إنما هو سببٌ فى تنويع الصوت، بما يُخرجه فيه مداً أو غنة أو ليناً أو شدة، وبما يهيئ له من الحركات المختلفة فى اضطرابه وتتابعه على مقادير تناسب ما فى النفس من أصولها ..."[٤].

وفى مقابل هذه السمات التى تحملها فواصل آيات سورة "ق"، تجد سورة الأعلى" هادئة فى إيقاع آياتها، ودلالاتها، ومن ثم ففواصل آياتها تميل إلى اللين لا الشدة: **الأَعْلَى – سَوَّى – الْمَرْعَى – أَحْوَى – تَنْسَى – يَخْفَى –**

---

(١) انظر: البرهان للزركشى، ١/ ١٦٩ . وذكر كذلك هذه المناسبة. فى سورة "ن والقلم"؛ فإن فواصلها كلها على هذا الوزن، مع ما تضمنت من الألفاظ النونية. ١/ ١٧.

(٢) برثيل والبرج: السابق، ص ١٢٣ . وهذا الرأى للمترجم د. / عبد الصبور شاهين.

(٣) السابق، ص ١٢٦.

(٤) الرافعى: إعجاز القرآن، ص ٢٤٥.

لِلْيُسْرَى – الذِّكْرَى – يَخْشَى – الأَشْقَى – الْكُبْرَى – يَحْيَا – تَزَكَّى – صَلَّى – الدُّنْيَا – أَبْقَى – الأُولَى – مُوسَى.

وكذلك فى سور الكهف ومريم وطه، إذ تركز هذه السور على ذكر قصص مختلفة، وهذا لا يحتاج إلى شدة فى التنويعات الصوتية لفواصل الآى.

٢- الإجمـــال والتفـــصيـــل

هذه العلاقة شديدة الصلة بالتماسك النصى؛ إذ التفصيل يُعدُّ شرحاً للإجمال، والإجمال – فى الغالب – سابق التفصيل، ومن ثم نرى أن التفصيل يحمل المرجعية الخلفية لما سبق إجماله فى الإجمال، وكذلك يمثل ردًّا للعجز على الصدر ويمكننا تقسيم هذه العلاقة إلى عدة أنماط.

١- اسم السورة والسورة [كلمة وعدة آيات /جمل]

٢- الآية الأولى وبقية السورة [عبارة أو جملة وعدة آيات /جمل]

٣- الآية والآيات المجاورة.

٤- الكلمة والكلمة / الكلمات المجاورة.

٥- السورة والسورة الأخرى.

٦- الآية فى السورة والآيات الأخرى فى السورة الأخرى.

والأنماط من ١: ٤ تتحقق على مستوى السورة المفردة، بينما ٥، ٦ يتحققان على مستوى أكثر من سورة. وقد ذكر الشيخ عضيمة عدداً من الجمل التفسيرية مثل الفضلة والحالية وجواب القسم وجواب الشرط وصلة الموصول والتابعة لما لا محل له من الإعراب(١).

فسورة "**الأنعــام**"، نجد أن علاقة الإجمال والتفصيل كائنة فى الصلة

(١) د. / محمد عبد الخالق عضيمة: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، ق٣، م٤، ص ٢٨٨.

بين الاسم وما حدث فيها من تفصيل أحوال الأنعام، وما يتصل بها من حق التشريع بالحلال والحرام. وكذلك سورة الأعراف لما فيها من تفصيل لأصحاب الأعراف، وموقفهم من الفريقين؛ فريق المهتدين وفريق الضالين. وسورتا يونس وهود يذكر فيهما طرف من قصة كل منهما. وسورة يوسف كلها تفسيرية لاسم السورة وسور إبراهيم والحجر والنحل والإسراء والكهف لتضمن كل منها لموقف أو قصة تتصل باسم السورة. وكذا المؤمنون والفرقان والشعراء والنمل والعنكبوت ولقمان وسبأ والزمر. وسورة الواقعة مفصلة للإجمال الذى فى اسمها. والملك كما أوضحنا هى تفصيل لاسمها، والحاقة والمعارج ونوح والجن والمزمل ... إلخ من سور القرآن الكريم. وهى لا تخرج عن محورين:

الأول: تكون السورة كلها مفصلة لاسمها.

الثانى: يكون بعض السورة أو موقف فيها شارح لاسمها، وبقية السورة يتصل بهذا الموقف من قريب أو من بعيد

والمرجعية المحققة فى هذا النمط كلها مرجعية خلفية لما سبق. وعليه يُسهم هذا النمط فى تحقيق التماسك النصى للسورة.

أما الآية الأولى بقية السورة، فهذا واضح فى كثير من سور القرآن الكريم. فسورة "الأنعـــام" تبدأ بقوله تعالى:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الآية (١)

ثم تأتى الآيات الكريمة بعدها لتذكر نعم الله أو بعضاً من نعمه على خلقه جميعاً؛ فقد خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور، وخلق البشر من طين، وإرسال السماء مدراراً وجعل الأنهار تجرى، وكفاية الرحمة على نفسه ... إلخ. وكأن هناك سؤالاً مؤداه: لِمَ الحمد لله؟، فتأتى الإجابة بذكر هذه النعم التى تؤكد ضرورة الحمد.

وسورة "**الأعراف**" بدأت بقوله: ﴿آلمص﴾/١، ويذكر السيوطى أن ﴿آلم﴾ جمعت المخارج الثلاثة الحلق واللسان والشفتين على ترتيبها، وذلك إشارة إلى البداية التى هى بدء الخلق، والنهاية التى هى بدء الميعاد، والوسط الذى هو المعاش من التشريع بالأوامر والنواهى. وكل سورة افتتحت بها فهى مشتملة على الأمور الثلاثة. وسورة الأعراف زيد فيها الصاد ... لما فيها من شرح القصص ... ولما فيها من ذكر ﴿فَلاَ يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾ ... إلخ"(١).

وسورة "**يونس**" آيتها الأولى تتحدث عن الكتاب الحكيم، وتأتى الآيات الأخرى لتتحدث عن الوحى كما فى ٢، ١٥، ١٦، ١٧، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٩٤، ١٠٨، ١٠٩. وكذلك سورة هود وكذلك سورة يوسف تتحدثان الآية الأولى عن الكتاب المبين، وتأتى الثانية والثالثة لتفصل بعضاً مما يتعلق به ثم الآية ١٠٢، والآية ١١١ تتحدث كذلك عن الكتاب المبين. وكذلك السور التى تبدأ بالحديث عن القرآن الكريم(٢). وغيرها مثل سورة "المؤمنون" تبدأ بتقرير فلاح المؤمنين، ثم تأتى كثير من آيات السورة لتفصل هذا الإجمال. ومثل الحاقة والمعارج ونوح والجن والمزمل والمدثر والقيامة والنبأ وعبس والبروج والشمس والقدر والقارعة والفيل وقريش والكافرون والإخلاص والناس. كلها نجد كثيراً من آياتها، او آياتها كلها تشرح الآية الأولى منها. وفى هذا كما أكدنا مرجعية خلفية لما سبق، وهى مرجعية داخلية.

ويقع تحت هذا النمط، النمط الثالث، ففى النمط السابق تجد آيات السورة أو بعضها شارحاً مفصلاً للآية الأولى من السورة، ومن ثم تتحقق علاقة الآية بالآية المجاورة أو الآيات المجاورة. غير أن هناك نماذج يكون الإجمال والتفصيل بين الآيات التى بداخل السورة لا التى بأولها. مثل الآية "١٠" من سورة الأنعام:

---

(١) السيوطى: الإتقان، ٣/٣١٧.

(٢) منها: إبراهيم والحجر والكهف والفرقان والشعراء والنمل والقصص ولقمان وصّ والزمر وغافر وفصلت والشورى والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف وقّ والطور.

﴿وَلَقَد اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾/ ١٠

ثم يشرح هؤلاء الأنبياء، بالإشارة إليهم فى الآيات ٨٣: ٩١؛ حيث أشار إلى أنبياء الله إبراهيم وإسحاق ويعقوب ونوح وداود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس وإسماعيل واليسع ويونس ولوط. والإشارة إلى ذرياتهم وإخوانهم الذين لم يُذْكروا.

ونموذج آخر فى السورة نفسها بين الآية "٧٥" حيث قوله تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾

ثم تأتى الآيات من ٧٦: ٨١ لتفصل هذا الملكوت وكيفية وصوله لليقين. وغير هذا من النماذج كثير جداً؛ فالقرآن يشرح بعضه بعضاً. هذا إضافة إلى وجود علاقة الإجمال والتفصيل بين القرآن والحديث الشريف، خاصة فى تفصيل العبادات والأحكام؛ فالصلاة مثلاً ورد بها الأمر فى القرآن مجملاً ثم فصلت فى الحديث الشريف، وهذا يحتاج إلى دراسة مستقلة فى ضوء علم اللغة النصى.

أما علاقة الكلمة والكلمة المجاورة أو الكلمات المجاورة؛ فعلاقة وثيقة تسهم فى تحقيق التماسك النصى، وقد ذكرناها سلفاً أما الكلمة والكلمة فتتضح تبعاً للعلاقات النحوية المعروفة مثل النعت والبدل والتمييز والمفعول المطلق المبين للنوع ... وغيرها من العلاقات المبينة للكلمات السابقة بكلمات تالية مثل قوله تعالى:

﴿الْحَمْدُ لِلَّه رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾/ ٢ الفاتحة، ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾/ ٥، ﴿وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾/ ٨٧ الأنعام، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾/ ٦٧/ يونس، ﴿رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾/ ٨٥ ﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾/ ٨٦ يونس، ﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا﴾ / ٣ هود. ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾/ ١١ هود. . إلخ.

حيث إن هذه العلاقة كثيرة جداً فى كتاب الله العزيز. وهى تمثل المرجعية الخلفية السابقة، وهى داخلية كذلك. وعليه يتحقق التماسك بين الكلمات المتجاورة.

أما السورة والسورة الأخرى، فقد تجد أكثر من سورة شارحة لسورة واحدة، كما فى "الفاتحة"؛ فهناك من يذهب إلى أن القرآن الكريم كله شارح أو مفصل لما أُجمل فى سورة الفاتحة. وقد تكون هناك سورة واحدة شارحة لسورة أخرى. وقد تكون هناك آية فى سورة مشروحة بآية أو أكثر فى سورة أخرى. وهذه العلاقات الخاصة بالإجمال والتفصيل بين أكثر من سورة نفصلها حين تناول المناسبة بين أكثر من سورة.

وبعد هذه النماذج يتأكد لنا أن علاقة الإجمال والتفصيل ذات وظيفة مهمة فى تحقيق التماسك النصى على مستويات الكلمة والجملة والآية والسورة والسور(١).

٣- ترتيب الجمل حسب ترتيب الأحداث

"فانتظام الجمل فى النص دليل على انتظام العناصر المكونة لعالم ذلك النص؛ فالروابط ... وسائل لغوية تنسج الخيوط التى يتوسل بها الفكر لتنظيم عناصر عالم الخطاب عند الباث مركباً وعند المستقبل مفككاً" (٢).

فالأحداث فى عالم الواقع تكون مترابطة؛ بمعنى أنها تترتب على بعضها؛ فالنتيجة تترابط مع الأحداث السابقة عليها، ومن ثم تكون الأفكار التى تعبر عن المقدمات والنتائج مترابطة، ترابط الأحداث، ويتوسل النص للتعبير عن هذا الترابط بوسائل كثيرة، كما أكدنا، دلالية وشكلية.

---

(١) من أنماط الإجمال والتفصيل كذلك تلك السور التى تبدأ باستفهام وتأتى السورة للإجابة المفصلة، مثل سورة "النبأ" وغيرها مع ملاحظة أن الاستفهام قد يكون أول السورة او فى حشوها.

(٢) د. / الأزهر الزناد: نسيج النص، ص ٦٧.

ويرتبط هذا النمط بالمناسبة من جهة المناسبة بين ترتيب الأحداث الواقعة وبين الجمل المعبرة عنها.

وهذا يرد فى القرآن الكريم كثيراً؛ فقصة يوسف ذات أحداث كثيرة، لكنها متعاقبة، ومرتبة حسب الترتيب المنطقى للأحداث والمقدمات والنتائج. وكذلك الآيات التى تقص القصة متماسكة بوسائل كثيرة. ومن ثم حدثت المناسبة بين عالم الواقع وعالم النص. وكذلك قصة أصحاب الكهف، وموسى والرجل الصالح، ومريم وابنها، وغيرها من قصص الأنبياء الموحد فى ثلاثة عناصر: موقف الأنبياء، موقف أقوامهم، ثم موقف الله تعالى من المؤمنين بدعوتهم والمكذبين.

ولا يتحقق هذا فى القصص فقط، بل فى أمور أخرى مثل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾/ فاطر /٩

فالواقع يذكر إرسال الرياح، فتثار السحب، ثم يسقط المطر، فتخضر الأرض. وهذا ترتيب منطقى للأحداث، وهو يتناسب مع النص المعبر عنه. وهذا التماسك بين الأحداث ينعكس على النص، حيث يوجد فى النص، غير المناسبة، وسائل دلالية وشكلية تسهم فى تحقيق تماسكه وكذلك الآيات التى تعبر عن مراحل خلق الإنسان:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ(١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ(١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ(١٤) ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ(١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ(١٦)﴾ سورة "المؤمنون"[١].

(١) ذُكرت هذه المراحل فى سور كثيرة بالإيجاز أحياناً وبالإطناب أحياناً، منها: الأنعام، الأعراف، الحجر، النحل، الروم، فاطر، الزمر، غافر، فصلت، نوح، ... إلخ.

ولا يخفى ما فى هذا النص من وسائل تحقق التماسك النصى، شكلية ودلالية، وما فيه كذلك من مناسبة بين عالم النص وعالم الواقع.

وكذلك الآيات التى تتحدث عن التتابع بين نزول الماء وإنبات الزرع، تعبر عن التماسك القائم بين السبب والمسبب عنه، وسوف نناقش هذه العلاقة بعد قليل(١).

٤- علاقـــة التضـــاد

وهى من أنماط المناسبة التى ذكرها العلماء فى الحديث عن المناسبات بين الآيات. وعلاقة الضدية هى التى تبيح التماسك. وهذا يتحقق بين الآيات التى تتحدث عن النعيم وتليها التى تتحدث عن العذاب. وكذلك التى تتحدث عن البشرى وتلك التى تتحدث عن النذير. ومنها قوله تعالى:

﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ العنكبوت /٢١

﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ الإسراء /١٧

﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ(٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ (٥٠) الحجر

وكذلك نوعية دلالية أخرى مثل:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ فاطر /١٥

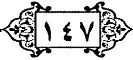
﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ فاطر /٢٤

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ الزمر /٧١

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ الزمر / ٧٣

---

(١) من هذه النماذج سور: الأنعام، الأعراف، إبراهيم، الحجر، النحل، طه، المؤمنون، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة، فاطر، الزمر، فصلت، الزخرف، ق، عبس.



﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ﴾ غافر /٣

وعلاقة التضاد ليست بين الكلمة والأخرى فقط؛ بل بين الجملة والجملة والآية والآية، مثال ذلك من المقابلة قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ(٤٠) لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ(٤١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٤٢) الأعراف.

وقوله تعالى في سورة يونس:

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(٢٦) وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٤٣).

وقوله تعالى في سورة هود:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (١٨).

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ(٢١) لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ(٢٢) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢٣) [1].

---

(١) ومنها في السورة نفسها:
﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ(١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ(١٠٧) وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ(١٠٨)﴾ .

وهكذا كل الآيات التى تتحدث عن الجنة والنار والنعيم والعذاب والذين آمنوا والذين كفروا. سواء أكان بين كلمة وكلمة أم جملة وجملة أم آية وآية أم عدة آيات وعدة آيات(١).

ومناسبة التضاد لا يخفى ما لها من وظيفة فى تحقيق التماسك بين المتضادين.

٥- السبب والمسبب عنـــــه

التماسك فى هذا النمط دلالى؛ إذ يربط بينهما رابط منطقى؛ يترتب فيه المسبب على المسبب، ومثال ذلك ما ذكرناه من نماذج توضح إرسال الرياح، لتكون سبباً فى إثارة السحاب، ليترتب عليها سقوط المطر، لينتج اخضرار الأرض. ومثل الآيات التى تقص قصص الأنبياء والمرسلين مع أقوامهم؛ إذ يدعونهم، فيكذب من يكذب، ويصدق من يصدق، ثم تأتى النتيجة فينجى الله الذين آمنوا، ويمحق الكافرين فى الدنيا وفى الآخرة. وهذه النتيجة مترتبة على ما سبق منهم من تكذيب أو تصديق. وهذه النماذج فى القرآن الكريم كثيرة(٢).

ومن النماذج الأخرى الآيات التى تشتمل على لام التعليل فيها مثل:

﴿آلر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ...﴾ الآية (١) إبراهيم

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ...﴾ الآية (٤) إبرهيم

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ...﴾ الآيَة (١) الإسراء.

---

(١) ومنها المقابلة بين سورة وسورة بأكملها مثل الماعون والكوثر. انظر: الإتقان السيوطى ٣/ ٣٣٢ .

(٢) ذكرت سورة هود عاقبة المصدقين والمكذبين لأنبياء الله: نوح وهود وصالح وإبراهيم وشعيب وموسى. وجداول التكرار توضح تكرار هذه القصص، ومن ثم تؤكد انتشار هذه العلاقة على مستوى السور المكية.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (١) قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ ...﴾ الآية (٢) الكهف.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ (٧) الكهف.

ورغبة فى الإيجاز نحيل إلى النماذج الأخرى فى القرآن الكريم، والمهم هو التأكيد أن المرجعية فى هذا النمط خلفية سابقة، وتعتمد على الدلالة كثيراً، لارتباط السبب بالمسبب عنه[١].

مرجعية خلفية سابقة "داخلية"

السبب ← المسبب عنه

ومن هذا العرض لأنماط المناسبة على مستوى السورة المفردة، يتأكد لنا مهمة المناسبة فى تحقيق التماسك النصى، ليس بين آيات السورة وحدها، بل بين أكثر من سورة، وهذا الأخير موضوع المبحث التالى.

(٤-ب) المناسبة على مستوى أكثر من سورة

سبق علماؤنا علماء العصر الحديث فى تفصيل هذا النمط من أنماط المناسبة، بعناصره المختلفة، كما سنذكر، غير أن هدفنا هنا هو إبراز مهمة هذا النمط فى تحقيق التماسك النصى، لا على مستوى السورة المفردة، كما سبق التفصيل، لكن على مستوى النص الأكبر؛ القرآن الكريم عامة، والسور المكية خاصة.

ومراعاة المناسبة بين سور القرآن؛ بين فواتح السور، وبين خواتمها وفواتح ما يليها، وبين الآيات المختلفة فى السور المختلفة، وبين القصص المكرر فى السور، وبين السورة كاملة والسور الأخرى، كاملة وغير كاملة، مراعاة المناسبة على هذا النحو من الأمور الواضحة التى تؤكد توقيفية

(١) تلفت الانتباه إلى أن هناك أنماطاً أخرى تتعلق بالمناسبة، بين آيات السورة لبعضها؛ منها التنظير والاستطراد وحسن التخلص. انظر فى الأخير ضياء الدين بن الأثير: المثل السائر، ٣ /١٢٨ وما بعدها.

ترتيب سور القرآن الكريم. وهذا ما سوف يُؤَكَّد من خلال تحليل العناصر التالية من عناصر المناسبة على مستوى أكثر من سورة.

وعلى هذا النحو نُقَسِّم هذا المبحث إلى:

١- مناسبة فواتح أكثر من سورة.

٢- مناسبة خاتمة السورة لفاتحة ما تليها.

٣- مناسبة السورة بأكملها لسورة أخرى.

٤- مناسبة ذكر القصة الواحدة فى أكثر من سورة.

٥- الإجمال والتفصيل بين الآيات المنتشرة فى أكثر من سورة.

(٤-ب-١): مناسبة فواتح أكثر من سورة

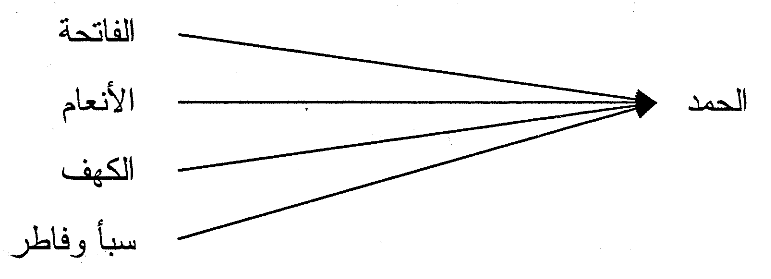
تمثل فاتحة السورة أحياناً سمة من سماتها، وأحياناً تمثل مفتاحاً للسورة كما بيَّنا، وأحياناً تمثل عنواناً آخر لها، وأحياناً أخرى تتشابه مع فواتح لسور أخرى. وفواتح سور القرآن الكريم ليست واحدة، بل لها أنواع كثيرة " أفردها بالتأليف ابن أبى الأصبع فى كتاب سماه " الخواطر السوانح فى أسرار الفواتح"(١). وقد لخصها عنه السيوطى مع زوائد من غيره على حد تعبيره. ويمكننا بيان هذه الأنواع فى الجدول التالى:

(١) السيوطى: الإتقان، ٣/ ٣١٦: ٣١٩ . النوع الستون "فى فواتح السور" وقد أشار ابن أبى الإصبع، فى كتابه "تحرير التحبير" إلى أهمية الفواتح وأن فيها "من البلاغة والتفنن والفصاحة ما لا تقدر العبارة على حصر معناه" ص ١٧٢ وأحال إلى كتابه " الخواطر السوانح".

م	النوع	عدد السور	أسماء هذه السور
١-	الثناء على الله	١٤	الفاتحة، الأنعام، الكهف، سبأ، فاطر [الحمد]، الفرقان، الملك [تبارك]، الإسراء، الصف، الحديد، الحشر، الجمعة، التغابن، الأعلى [التسبيح بالمصدر والماضي والمضارع والأمر].
٢-	حروف التهجي	٢٩	البقرة، آل عمران، الأعراف، يونس، هود، يوسف، الرعد، إبرهيم، الحجر، مريم، طه، الشعراء، النمل، القصص، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة، يسّ، صّ، غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف، قّ، القلم.
٣-	النداء	١٠	الأحزاب، الطلاق، التحريم، المزمل، المدثر [نداء للرسول]، النساء، المائدة، الحج، الحجرات، الممتحنة [نداء الأمة].
٤-	الجمل الخبرية	٢٣	الأنفال، التوبة، النحل، الأنبياء، المؤمنون، النور، الزمر، محمد، الفتح، القمر، الرحمن، المجادلة، الحاقة، المعارج، نوح، القيامة، البلد، عبس، القدر، البينة، القارعة، التكاثر، الكوثر.
٥-	القســم	١٥	الصافات [بالملائكة]، البروج، الطارق، [بالأفلاك]، النجم، الفجر، الليل، الضحى، العصر، [لوازم الأفلاك]، الذاريات، المرسلات [بالهواء]، الطور [بالتربة]، التين [بالنبات]، النازعات [بالحيوان الناطق]، العاديات [بالبهيم]. (ولم يذكر القسم بالشمس)
٦-	الشــرط	٧	الواقعة، المنافقون، التكوير، الانفطار، الانشقاق، الزلزلة، النصر.
٧-	الأمــر	٦	الجن، اقرأ، الكافرون، الإخلاص، الفلق، الناس.
٨-	الاستفهــام	٦	النبأ، الغاشية، الشرح، الفيل، الماعون. [وسورة الإنسان لم يذكرها السيوطي].
٩-	الدعــاء	٣	المطففين، الهمزة، المسد.
١٠-	التعليل	١	قــــريش.

لا شك أن هذه المناسبات بين فواتح السور قائمة على الدلالة فى كثير منها، وعلى الشكل فى بعض منها. وهذا التشابه يندرج تحت نمط المرجعية، بالتكرار فى اللفظ والمعنى، وبالمعنى دون اللفظ. ومن ثم يبرز وجه التماسك بين هذه السور.

ولنأخذ نماذج لها؛ فالسور الخمس الأولى، التى تبدأ بالحمد، تجمع بين فواتحها وحدة دلالية تتمثل فى الحمد، ومن ثم فالتماسك بينها دلالى، ومرجعيته خلفية حسب الترتيب؛ من المؤخر إلى المقدم. وكذلك مرجعيتها كلها داخلية ترجع إلى عنصر دلالى واحد، فالحمد مذكور فيها كلها:



ومن المناسبات اللطيفة فى هذه السور، ما ذكره السيوطى من "أن كل ربع - يقصد ٢٥٪ من القرآن الكريم - من القرآن افتُتِحَ بسورة أولها الحمد - [فالفاتحة تمثل فاتحة الربع الأول] - والأنعام الربع الثانى، والكهف الربع الثالث، وسبأ وفاطر الربع الرابع"(١).

وهذا يوحى بأن التماسك قائم بين هذه الأقسام الأربعة التى تمثل القرآن كله؛ إذ إن هذه الفواتح تشير إلى أن هناك علاقة بينها، ومن ثم فهناك تماسك نصى بين هذه الأقسام. وهذا التماسك دلالى وشكلى. وهذا ما يمكن قوله فى بقية نماذج الوحدة الدلالية الأولى "الثناء على الله تعالى". وإدراك هذه المناسبة والربط بين هذه السور يرجع إلى المتلقى.

(١) السيوطى: تناسق الدرر فى تناسب السور، ص ١٠٠.

أما الوحدة الثانية؛ تلك السور التى تبدأ بحروف التهجى، وبعيداً عن الخلاف فى معانى هذه الحروف، وإعرابها، ،نأخذ بعضاً منها، لنحاول العثور على أوجه المناسبة الأخرى بين فواتح هذه النماذج يقول تعالى:

﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾/١ سورة ص

﴿حم(١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ /٢ غافر

﴿حم(١) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ(٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٣) . فصلت

﴿حم(١) عسق(٢) كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(٣)﴾ الشورى.

﴿حم(١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ(٢) إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ(٣) وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ (٤). الزخرف.

﴿حم(١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ(٢) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ (٣). الدخان.

﴿حم(١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ(٢) إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣). الجاثية.

﴿حم(١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ(٢) مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ (٣) الأحقاف.

فنلاحظ أن فواتح هذه السور تلتقى حول العناصر التالية:

١- الحروف المقطعة.

٢- الحديث عن الكتاب الكريم.

٣- الحديث عن التنزيل أو الوحى.

٤- وحدة المسند اليه فى التنزيل وهو الله تعالى.

وهذه العناصر تتضافر معاً لتُحقِّق التماسك الشكلى والدلالى بين فواتح هذه السور، ومن ثم بين السور نفسها. وهذه العناصر تمثل المرجعيات التى ترجع إليها هذه الفواتح. وهذا يمثل نظرة كلية إلى مكونات القرآن المكى فى ضوء التحليل النصى المعاصر.

ولا نقول إن هذه العناصر تخص هذه السور التى أخذنا نماذج من فواتحها؛ بل تكاد أن تحقَّق فى السور ذات الفواتح المقطعة كلها مثل الأعراف، ويونس، وهود، ويوسف، والرعد، وإبراهيم، والحجر، وطه، والشعراء، والنمل، والقصص، ولقمان، والسجدة، ويسّ، والسور الثمان التى ذكرناها، وقّ . فكلها تبدأ بالحروف المقطعة، ثم الحديث عن الكتاب الكريم؛ القرآن الكريم؛ فسورتا يونس وهود:

﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ يونس /١

﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ هود /١

ثم بيان وظيفة الرسول:

﴿أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يونس/ ٢

﴿إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ هود /٢

ثم قوله تعالى مبيناً لمن يكون المرجع:

﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ يونس /٤

﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ هود/٤

هذا إضافة إلى اتفاق السورتين فى معالجة قضية واحدة، وكذلك فى سرد العديد من قصص الأنبياء. وتلتقى مع هاتين السورتين، سورة الأعراف؛ فتبدأ بالحروف المقطعة، ثم الحديث عن القرآن الكريم، ثم بيان وظيفة الرسول:

﴿لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ /٢ الأعراف

وكذلك نلاحظ فاتحة سورتى الشعراء والنمل:

﴿طسم(١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ (٢) الشعراء

﴿طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (١) النمل

وكذلك سور العنكبوت والروم ولقمان والسجدة، كلها تبدأ بـــ (الم)، ثم الحديث عن الكتاب العزيز.

أما الوحدة الدلالية الثالثة، فتلك التى تبدأ بالنداء، نخص منها المزمل والمدثر لأنهما السورتان المكيتان فقط من بين هذه السور العشر. فكلتاهما تبدأ بتوجيه النداء المباشر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ(١) قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً(٢)﴾ المزمل

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ(١) قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ (٢)

فبتجمع بين المقدمتين وحدة دلالية واحدة، حيث النداء لرسول الله، ثم الأمر بالقيام، لكن القيام الأول للعبادة لله، والثانى القيام للإنذار. ومرجعية المقدمتين واحدة؛ حيث النداء، والمنادى، والأمر.

أما الوحدة الرابعة ذات الجمل الخبرية فى المطلع، فإنها تبدأ بالحديث عن أمور كثيرة مختلفة؛ فالنحل تبدأ بعدم استعجال أمر الله:

﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ /١

والأنبياء تبدأ باقتراب الحساب:

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾/١

فكلتاهما تتحدث عن مجىء أمر الله؛ إذ الحساب يعد أمراً من الأمور التى سوف تأتى. وكذلك سور الحاقة والقيامة والقارعة، تتحدث كلها فى مطالعها عن هذا اليوم الشديد، على الرغم من اختلاف الألفاظ، فإنها تتفق فى الدلالة:

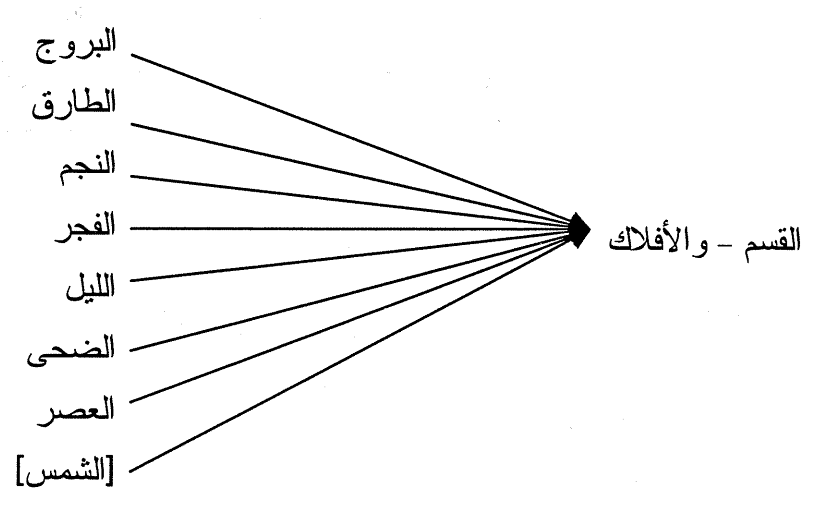
﴿الْحَاقَّةُ(١) مَا الْحَاقَّةُ(٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ (٣) الحاقة

﴿لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (١) القيامة

﴿الْقَارِعَةُ(١) مَا الْقَارِعَةُ(٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ (٣) القارعة

والوحدة الخامسة ذات الفواتح التى تشتمل على القسم، كلها مكية، كما كانت السور ذات الفواتح بحروف التهجى، كلها مكية، باستثناء البقرة وآل عمران.

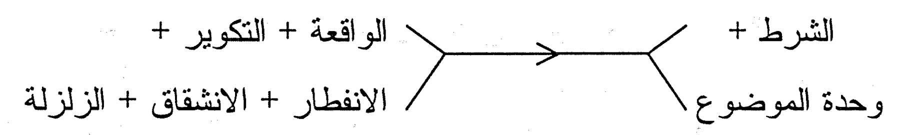
فكلها تجمعها وحدة القسم فى المطلع، وفى بعضها وحدة القسم، ووحدة المقسم به فسور البروج، الطارق، والنجم والفجر، والليل والضحى والعصر، كلها ترتبط بالأفلاك ولوازمها من المواقيت، وهذه وحدة دلالية أخرى غير القسم. ولذا يبدو التماسك واضحاً بين هذه المطالع، ومن ثم بين السور التى تشتمل عليها:



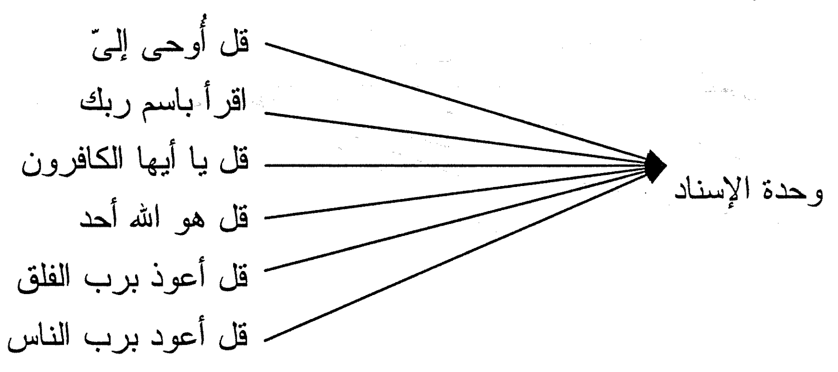
ويجمع بين السور التى تفتتح بالقسم كلها وحدة دلالية أخرى؛ هى أن المقسم به كله من مخلوقات الله؛ الملائكة، الأفلاك، الهواء، التربة، النبات، الحيوان الناطق، البهيم.

وكذلك الوحدة السادسة التى تبدأ سورها بالشرط، كلها مكية باستثناء سورة "المنافقون"، والشرط الذى فى هذه السور يمثل أسلوب الشرط؛ ففيه أداة الشرط، وكلها "إذا"، وفيها فعل الشرط، وفيها جواب الشرط.

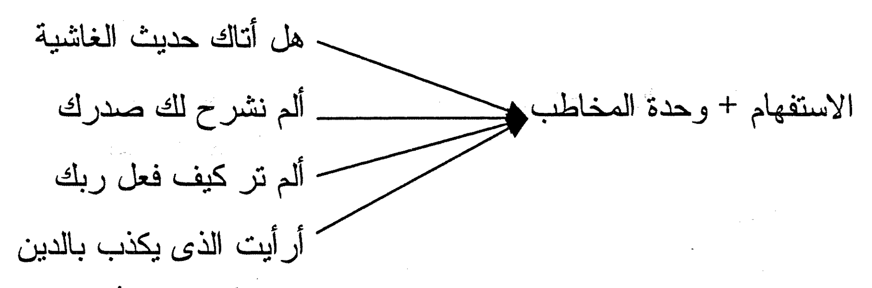
وتجمع بينها وحدة دلالية أخرى؛ فسور الواقعة والتكوير والانفطار والانشقاق والزلزلة، تتحدث عن مظاهر متعلقة بالقيامة. فالشرط ووحدة الموضوع يمثلان الإحالة التى يحال إليها من هذه السور أو من فواتح هذه السور:



أما الوحدة السابعة؛ وحدة السّوِر التى تبدأ بالأمر، فإنها كلها تشتمل على فعل الأمر "قل"، باستثناء سورة "اقرأ" فإنها تبدأ بالفعل "اقرأ". لكن يجمعها كلها أن الأمر هو الله تعالى، والذى يصدر إليه الأمر هو رسول الله صلى الله عليه وسلم. إذَنْ هناك وحدة فى المرجعية حيث وحدة الإسناد؛ المسند إليه والمسند.

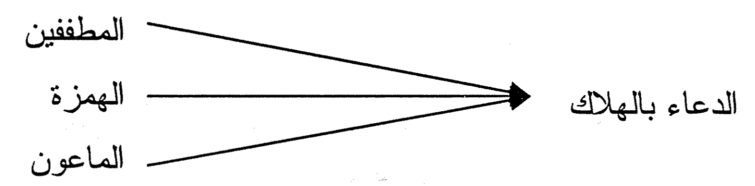


والوحدة الدلالية الثامنة؛ الاستفهام فى المطلع، فسورها كلها مكية، وتجمع بين خمس سور منها وحدة دلالية أخرى، تتمثل فى وحدة المخاطب؛ وهو رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، وهذه السور هى: الغاشية، والشرح والفيل، والماعون.



أما سورة "النبأ" فإن الخطاب فيها للرسول ضمنياً، إذ إنها أُنزلت عليه، لكنه لم يصرح به، ولا بضمير يقوم مقامه. أما سورة "الإنسان"، وهى مدنية، فلم يذكرها السيوطى فى هذا النوع من المناسبة.

أما الوحدة التاسعة؛ وحدة الدعاء فى مطلع السور الثلاث: المطففين، والهمزة والمسد، فإنه كذلك يجمع بينها أكثر من وحدة؛ الأولى الدعاء، الثانية نوع الدعاء؛ إذ إنه كله بالويل والهلاك؛ فالأولى والثانية ويل لمن خالف فى معاملة الميزان، والثانية ويل لمن سار بين الناس بالنميمة، وكلتاهما من القضايا التى تمس المجتمع. أما الثالثة فإنها خصصت الويل لأبى لهب وزوجه بسبب ما فعلاه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.



أما الوحدة الأخيرة، فهى الخاصة بالتعليل؛ فهذه السورة، سورة قريش، جاءت بعد سورة "الفيل" التى انتهت بقوله تعالى:

﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾(٥)

وكان هذا لرد اعتداء اصحاب الفيل على قريش ومكة كلها، ومن ثم كان هذا نوعاً من الأمن الذى يألفه القرشيون، ليأمنوا على أنفسهم فى مكة، وفى رحلاتهم فى الشتاء والصيف. لذلك بدأت سورة "قريش" بالتعليل:

ولا تخفى علاقة التماسك النصى بين العلة والمعلول؛ بين خاتمة السورة وفاتحة تاليتها. كما سنوضح بعد قليل.

وبعد هذا العرض لموجز لأهمية فواتح السور فى تحقيق التماسك النصى، نؤكد أن مناسبة الفواتح لا تحقق التماسك على مستوى هذه الفواتح فحسب، بل تحققه على مستوى السور التى تحقق المناسبة بين فواتحها كما رأينا.

ويتأكد كذلك أن علماءنا كانت تحليلاتهم للنص شاملة، فلم تقف عند حد ملاحظة العلاقة بين الكلمات المفردة أو العبارات أو الجمل أو الآيات، بل بين السور، كما ظهر، وكما سنبين.

والتماسك على هذا المحور مبنى على وجود التكرار الكلى أو الجزئى، ومن ثم على المرجعية بين الفواتح.

وإذا كان هذا التماسك بين فواتح السور، فما وجه التماسك بين خاتمة السورة وفاتحة التى تليها؟ هذا موضوع المبحث التالى.

(٤-ب-٢): مناسبة خاتمة السورة لفاتحة ما تليها

وهذا مظهر آخر من مظاهر المناسبة التى تؤكد النظرة الشاملة للنص القرآنى، لا النظرة الجزئية البسيطة. فينقل السيوطى عن غيره رأياً مؤداه أنك "إذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته فى غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها، ثم هو يخفى تارة ويظهر أخرى .. [(١)].

وإذا كان السيوطى قد أوجز فى الإتقان، فإنه أفرد كتاباً كاملاً بحث فيه هذه المناسبة، سماه " تناسق الدرر فى تناسب السور". والمهم ما تؤديه تلك المناسبة من وظائف تحقق تماسك النص مع غيره.

---

(١) السيوطى: الإتقان، ٣/٣٣١ . وذكر بعض النماذج. وهذا الرأى ذكره الزركشى فى برهانه، ونقله عنه السيوطى، ولم يذكر اسم الزركشى. انظر: البرهان، ١/ ٣٧.

وأول النماذج مناسبة آخر "الأنعـام"، لأول "الأعراف"، إذ يذكر السيوطى أن "وجه ارتباط أول سورة الأعراف بآخر الأنعام فهو: أنه قد تقدم هناك.

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ "١٥٣". وقوله:

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾ "١٥٥". فافتتح هذه السورة أيضاً باتباع الكتاب، فى قوله: ﴿كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ إلى ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ "٢، ٣".

وأيضاً لما تقدم فى الأنعام:

﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ "١٥٩". ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ "١٦٤". قال فى مفتتح هذه السورة: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ﴾ "٦، ٧". وذلك شرح التنبئة المذكورة"(١).

وفى ضوء التحليل النصى المعاصر نقول إن المرجعية السابقة بين النصين واضحة، وهى تعتمد على الشكل والدلالة؛ إذ تعتمد على التكرار فى اللفظ والمعنى، وعلى الإجمال والتفصيل؛ فقد أُجمل الحديث عن التنبئة فى الأنعام، وشرحت فى الأعراف. إضافة إلى وظيفة الضمائر بين هذين النصين. ونمثل هذه المرجعية كالتالى:

آخر الأنعام		أول الأعراف
الكتاب المبارك المنزل	←	الكتاب المنزل
الأمر باتباع الكتاب	←	الأمر باتباعه
المسند إليه " الله"	←	المسند إليه "الله"
التنبئة "مجملة "	←	شرح التنبئة

(١) السيوطى: تناسق الدرر، ص ١٠٢.

أما النموذج الثانى فهو آخر يونس وأول هود؛ فتُختَم الأولى بالحديث عن الوحى:

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ﴾"١. ٩" وتتحدث الثانية، فى مطلعها عن الكتاب الحكيم:

﴿آلر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾"١"

وتُختم الأولى بالنهى عن الدعاء لغير الله: ﴿وَلاَ تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ "١٠٦"

وتُفتتح الثانية بالنهى عن عبادة غير الله: ﴿أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ﴾ "٢" .

وتختم الأولى بذلك الله وصفتين من صفاته: ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ "١٠٩".

وتُفتتح الثانية، بذكر الله وصفتين من صفاته: ﴿مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ "٢"

وفى خاتمة الأولى الخطاب موجه إلى الرسول: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ﴾

وفى الثانية يذكر رسول الله وظيفته: ﴿إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾

وهاتان صفتان من صفاته صلى الله عليه وسلم. وفى هذا كله مرجعية واضحة عبر التكرار باللفظ والمعنى، أو بالمعنى، وبالضمائر، وببناء الفعل فى الخاتمة والفاتحة للمجهول [يُوحى] "١٠٩"، [أُحْكِمت] [فُصِّلَت]. ويظهر هذا كالتالى:

" يـــونـــس "		" هـــــــود "
الحديث عن الـــوحى	←	الحديث عن الكتاب الحكيم
النهى عن دعاء غير الله	←	النهى عن عبادة غـــير الله
ذكر الله وصفـــــة له	←	ذكر الله وصفـــــــة له
الخطاب إلى الرســول	←	المتحدث هو رســول الله
بناء الفعل للمجهـــول	←	بناء الفعل للمجهــــول

ومن هذا النماذج: "خاتمة هود" وفاتحة يوسف؛ فالأولى تختتم بأن الله يقص القصص على رسول الله: ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ﴾ "١٢٠" والثانية كذلك: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ "٣". والأولى تتحدث عن امتلاك الله لغيب السموات والأرض: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ "٢٣" والثانية كلها تقص قصة يوسف عليه السلام، وقد كانت من الغيب على رسول الله. والأولى المسند إليه واحد؛ هو الله: [نَقُصُّ] [اللَّهَ] [إِلَيْهِ] [فَاعْبُدْهُ] [عَلَيْهِ]. وفى الثانية كذلك: [إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ] [نَحْنُ نَقُصُّ]. وفى الأولى المخاطب رسول الله: [عَلَيْكَ] [فَاعْبُدْهُ] [تَوَكَّلْ]. وفى الثانية كذلك: [عَلَيْكَ] [إِلَيْكَ] [كُنْتَ].

ويتضح من عرض هذه المناسبات ما بين خاتمة الأولى وفاتحة الثانية من تماسك نصى نمثله بالشكل التالى:

الحديث عن القصص	←	الحديث عن القصص
الإشارة إلى امتلاك الغيب لله	←	السورة كلها من الغيب على رسول الله
المسند إليه هو الله	←	المسند إليه واحد "الله"
المخاطب هو رسول الله	←	المخاطب رسول الله

ومن تلك النماذج آخر "الــرعد" وأول "إبراهيم"، إذ تختتم الأولى بالحديث عن الكتاب ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ "٤٣" وتبدأ الثانية بذكره كذلك: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾ "١" وتنتهى الأولى بافتراء الكفار على الرسول بأنه ليس مرسلاً: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً﴾ "٤٣". وتبدأ الثانية بتأكيد أنه مرسل ووظيفة أنه أُرْسِل ﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾. فالخطاب إلى رسول الله فى الاثنين. وتنتهى الأولى بافتراء الكفار ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً﴾ "٤٣" وتبدأ الثانية ببيان عاقبة هذا الافتراء والتكذيب: ﴿وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ "٢". ولهذا يظهر التماسك بين خاتمة الأولى ومطلع الثانية كما يلى:

الحديث عن الكتاب ← الحديث عن الكتاب

افتراء الكفار ← الرد على هذا الافتراء

افتراء الكفار ← عاقبة هذا الافتراء

ومنها كذلك خاتمة النحل وفاتحة الإسراء؛ فالأولى تختتم بتوصية الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالصبر على ما يلاقى، وعدم الحزن على الذين يصدون على كفرهم، ويبشره - بصورة ضمنية - بأنه سبحانه معه:

﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ(١٢٧) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ(١٢٨)﴾.

وتبدأ الثانية ببيان عاقبة الصبر، وطبيعة وعد الله بأنه معه؛ فبعد ما لاقى نبى الله من إيذاء من المشركين فى رحلة الطائف، نجد رحلة الإسراء:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(١) .

وهذه الرحلة بيان أن الله مع نبيه صلى الله عليه وسلم. ولا يخفى ما فى هذا من تماسك دلالى بين خاتمة الأولى وفاتحة الثانية، ومن ثم بين الأولى والثانية.

وتظهر علاقة المناسبة، ومن ثم التماسك بين الخاتمة والمقدمة ظهوراً جلياً بين خاتمة الإسراء وفاتحة الكهف؛ إذ تنتهى الأولى بأمر الرسول بالحمد: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ "١١١". وتلتئم مقدمة الثانية بالخاتمة بقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾(١). وتنتهى الأولى بوصف الله بأنه (١). ﴿الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ (١). وتبدأ الثانية بإنذار ﴿الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ "٤". ومن ثم يظهر التماسك بين الطرفين كالتالى:

مرجعية خلفية بالتكرار، والدلالة

- الحمد لله ⟵ الحمد لله
- الذى لم يتخذ ولداً ⟵ إنذار الذين قالوا اتخذ الله ولداً
- الخطاب إلى الرسول ⟵ ذكر الرسول بلفظ "عبده"
- الاتفاق فى فاصلة الآية "تكبيراً" ⟵ مثلها "عوجاً".

ونموذج آخر بين خاتمة "مريم" وفاتحة "طه"؛ فالأولى توجه الخطاب إلى رسول الله عن القرآن الكريم:

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ "٩٧"

وتبدأ الثانية بتوجيه الخطاب إلى رسول الله عن القرآن الكريم، مع بيان وظيفته:

﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى(٢) إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى(٣)﴾.

فالمرجعية التى تحقق التماسك واضحة كالتالى:

مرجعية خلفية بالضمائر

الخطاب إلى رسول الله ⟵ الخطاب إلى رسول الله

الحديث عن القـــرآن ⟵ الحديث عن القـــرآن

بيان وظيفته "التبشر، تنذر" ⟵ بيان وظيفة "إلا تذكرة"

وكذلك بين خاتمة (طه) وفاتحة (الأنبياء)؛ إذ تتحدث الأولى عن تمنى القوم: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ (١٣٣). وتبدأ الثانية ببيان موقفهم عندما تأتيهم الآية ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ (٢). وتنتهى الأولى بالإخبار: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى﴾ "١٣٥"، وهذا سوف يكون يوم القيامة. وتبدأ الثانية بالحديث عن قرب الحساب: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾ "١" وهذا بالطبع يوم القيامة.

وسورتا (النمل) و(القصص)؛ تنتهى الأولى بالحديث عن تلاوة النبى – صلى الله عليه وسلم – للقرآن: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ﴾ "٩٢" وتبدأ الثانية بالحديث عن القرآن وتلاوته على النبى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ(٢) نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ﴾ (٣) فالحديث فى الطرفين عن تلاوة القرآن وفى هذا مرجعية خلفية، وتكرار للفظ التلاوة، والقرآن، غير أن الفاعل فى الأولى للتلاوة الرسول، وفى الثانية الله تعالى.

وسورتا (العنكبوت) و(الروم)؛ تنتهى الأولى بالحض على الجهاد: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ "٦٩" وتبدأ الأولى بالحديث عن نتيجة من نتائج الجهاد، وهى هزيمة الرَّوم: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ "٢" فالأولى حض عليه، والثانية نتيجة له. ومن ثم فكلتاهما تتحدث عن موضوع واحد. ولهذا فالتماسك بينهما دلالى.

وسورتا (الأعلى) و(الغاشية)؛ تنتهى الأولى بالحديث عن الآخرة: ﴿وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ "١٧" وتبدأ الثانية بوصف بعض ما يحدث فى هذا اليوم: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ(١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ(٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ(٣)﴾ إلى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾"٨" إلى ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ "١٦"

والعلاقة نفسها بين خاتمة (العاديات) وفاتحة (القارعة)؛ إذ كلتاهما تتحدثان عن يوم القيامة: ﴿ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾ "١١" القارعة "١"

وهكذا، من خلال هذه النماذج، يتضح أن للمناسبة بين خاتمة السورة وفاتحة ماتليها، أهمية كبيرة فى تحقيق التماسك بين السورتين. ويتضح كذلك أن التماسك قائم على المرجعية، وهى خلفية، نظراً لترتيب السور. وكذلك على التكرار الكلى أو التام، والتكرار الجزئى. وعلى الإجمال والتفصيل. وهذا النمط يسهم فى توسيع أفق المحلل النصى المعاصر، للبحث عن آفاق التماس بين النصوص أو الفصول المكونة للكتاب، أو للعمل الكامل.

وإذا كان هذان العنصران قد ناقشا التماسك بين فواتح السور وبعضها، وبين الخاتمة والفاتحة. فهل هناك سورة تتماسك كلها مع سورة أخرى؟ هذا موضوع المبحث التالى.

(٤-ب-٣): مناسبة السورة بأكملها لسورة أخرى

الذى يدقق النظر فى سور القرآن الكريم كلها، يخرج بنتيجة مؤداها أن هناك علاقة ما بين كل سورة وما تسبقها وما تليها. وبالطبع هذا حدث مع السور المكية فيما بينها. وقراءة ما كتبه الرازى ٣٢٨هـ والزمخشرى ٥٣٨ هـ والزركشى ٧٩٤هـ، والسيوطى ٩١١هـ، وغيرهم، يتأكد من هذه العلاقة بين السور. لكن اللافت للنظر أن هذه العلاقات لا تعم السورة كلها؛ بمعنى أنها بين آيات معينة وآيات أخرى من كل سورة، كما اتضح من المبحثين السابقين، وما سوف يتضح فى المبحثين التاليين. ومن ثم كانت العلاقات الكاملة بين سورة بأكملها وأخرى قليلة، وتحققت هذه فى السور القصار خاصة.

فالقرآن الكريم كله لا يخرج عن محورين أساسيين تتشعب عنهما محاور كثيرة؛ هما الألوهية والعبودية، وكل سورة تناقشهما بصورة قد تتفق مع غيرها من السور أوتختلف. فسوره الفاتحة إلى قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ /٤ تتحدث عن المحور الأول، وإلى قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾/٧ تتحدث عن المحور الثانى، ومن ثم فهى ذات علاقة كاملة بالسور كلها[1]، وذات اتفاق معها، وسوف نعرض تلك العلاقة بشئ من التفصيل فى المبحث الأخير من هذا الفصل.

(١) انظر التفصيل فى: أ – الرازى: مفاتيح الغيب، ١/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨
ب– القرطبى: الجامع لأحكام القرآن، ١/ ٩٦ .
جـ– السيوطى: الإتقان، ٣١٨/٣ . وقبله: تناسق الدرر، ص ٧٣: ٧٥

ومن السور التى تظهر هذه المناسبة الكاملة فيما بينها؛ سور الواقعة والحاقة والقيامة والغاشية والزلزلة والقارعة؛ إذ ينصب موضوعها الرئيسى على الحديث عن يوم القيامة وما يحدث فيه من تفاصيل سردتها كل سورة. ومن ثم يظهر التماسك النصى بين هذه السور، بداية من اسم كل منها؛ فكلها أسماء ليوم القيامة. وكذلك مرجعيتها كلها إلى قضية دلالية واحدة؛ هى الحديث عن يوم القيامة، وعن أقسام الناس فى هذا اليوم. والتكرار الوارد فيها غالباً دلالى وليس شكلياً. ومن ثم فالتماسك النصى بين هذه السور واضح من خلال تناولها لموضوعات واحدة هى:

١- ذكر يوم القيامة ووصفه.

٢- ذكر أقسام الناس فى ذلك اليوم.

٣- ذكر الجنة وصفاتها

٤- ذكر النار وصفاتها

٥- وقد ختمت سورتا الواقعة والحاقة بالخاتمة نفسها؛ فتختم الأولى:

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ(٩٥)فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ(٩٦)﴾

والثانية:

﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ(٥١) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ(٥٢)﴾

وإذا كنا نعد الفاصلة واحدة من أوجه التناسب على مستوى السورة الواحدة؛ فإننا كذلك نعدها واحدة من وسائل التناسب بين أكثر من سورة؛ فنجد - على سبيل المثال - التوافق فى الفاصلة بين الأنعام والأعراف - كما بيّنا - باستثناء عدد قليل من آيات كل منهما، جاءت بفاصلة مخالفة. وكذلك سورتا الحجر والنحل. وكذلك الإسراء والكهف ومريم وطه. وكذلك الشعراء والنمل والقصص والعنكبوت والروم، تنتهى أغلب آياتها بكلمات تنتهى بحرف النون. وكذلك يسّ والصافات، بالنهاية نفسها، باستثناء عدد قليل من

الآيات. وكذلك الزخرف والدخان والأحقاف. وكذلك سور المعارج ونوح والجن والمزمل. ومثلها سور النبأ والنازعات وعبس. وكذلك سورتا التكوير والانفطار؛ تبدأ كل منهما بالتاء وتنتهى بالنون، باستثناء عدد قليل من الآيات ... وغيرها من السور. وهذا يحقق التماسك الشكلى بدرجة أولى، خاصة المكون الصرفى للكلمات التى تنتهى بها آيات السور، مع ما تحدثه من تماسك صوتى كذلك فى التنغيم الذى يحدث نتيجة القراءة لهذه الآيات. هذا إضافة إلى التماسك الدلالى فى كثير من القضايا التى تتناولها السور، كما عرضنا لبعضها.

ونموذج آخر من علاقات التماسك النصى بين أكثر من سورة؛ يتمثل فى السورة التالية متممة للسابقة عليها، ومن ثم يمكن أن نعدهما معاً وحدة دلالية واحدة؛ حيث وحدة الموضوع. فيذكر السيوطى أن سورة المعارج "كالتتمة لسورة الحاقة فى بقية وصف يوم القيامة والنار[(١)].

ومن ثم يتضح التماسك الدلالى بين هاتين السورتين، والمرجعية هنا خلفية من سورة المعارج إلى سورة الحاقة. غير أن وصف يوم القيامة والنار فى سورة المعارج كان فى ثمانى عشرة آية فقط من ١: ١٨ كما ذكر محقق "تناسق الدرر" فى هامش الصفحة ذاتها. ونرى غير ذلك؛ فإنه على الرغم من انتهاء الوصف فى الآية "١٨"، فإنها استأنفت الحديث عن هذا اليوم فى الآيات الثلاث الأخيرة من السورة. وما بين ١٨: ٤٢ يمثل استطراداً فى وصف الإنسان بنويعه، خاصة بعد وصف الإنسان المجرم فى الآيات حتى "١٨".

ومن النماذج ما يُعد فيهما نصُّ السورتين نصّاً واحداً؛ مثال ذلك ما بين سورتى الضحى والشرح؛ فالثانية "شديدة الاتصال بسورة الضحى، لتناسبهما فى الجمل. ولهذا ذهب بعض السلف إلى أنهما سورة واحدة بلا بسملة بينهما.

---

(١) السيوطى: تناسق الدرر، ص١٤٢.

قال الإمام: والذى دعاهم إلى ذلك هو: أن قوله ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ كالعطف على ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾"٦" [١].

وسبق أن ذكرنا مناسبة نزول سورة الضحى، وأنها نزلت تأكيداً لعدم ترك الله لنبيه صلى الله عليه وسلم - كما زعم المشركون، بل سوف يمن عليه بنعم كثيرة. فجاءت سورة الضحى لتوضح هذه النعم، ثم سورة الشرح لتكمل بيان هذه النعم.

إذن تجمع بين السورتين وحدة دلالية، ومن ثم يظهر التماسك النصى بين السورتين.

وكذلك سورتا الفيل وقريش؛ فسورة قريش "شديدة الاتصال بما قبلها، لتعلق الجار والمجرور فى أولها بالفعل فى آخر تلك. ولهذا كانتا فى مصحف أُبَىّ سورة واحدة" [٢]. وقد سبق أن عرضنا أن سورة الفيل تقص ما حدث لجيش أبرهة حينما أراد الاعتداء على مكة، وأن الله تعالى الذى دافع عن هذا البيت. وكذلك سورة قريش يوضح نصُّها ما حباه عليهم ربهم من فضل الإطعام والأمان من الخوف، وذلك فى مكة أو أثناء رحلاتهم التجارية.

ومن ثم فالسورتان متماسكتان دلالة؛ حيث بيان فضل الله على مكة عامة وقريش خاصة. فى الحرب والسلم والمسند إليه ذلك الفضل هو الله تعالى، وعلاقة الإسناد ـ كما أكدنا - من بين وسائل التماسك النصى.

وأحياناً لا تكون العلاقة علاقة مشابهة؛ بل قد تكون مقابلة، وذلك واضح بين سورتى الماعون والكوثر "لأن السابقة وصف الله فيها المنافقين بأربعة أمور: البخل، وترك الصلاة، والرياء فيها، ومنع الزكاة. وذكر فى هذه السورة - الكوثر - فى مقابلة البخل ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ "١" أى: الخير الكثير. وفى مقابلة ترك الصلاة. ﴿فَصَلِّ﴾ "٢" أى: دُم عليها. وفى

(١) السابق، ص ١٥٢.
(٢) السابق، ص ١٥٧ ـ ١٥٨.

مقابلة الرياء: ﴿لِرَبِّكَ﴾ "٢" أى لرضاه، لا للناس. وفى مقابلة منع الماعون: ﴿وَانْحَرْ﴾"٢" وأراد به: التصدق بلحوم الأضاحى" [١].

وعلاقة المقابلة هذه من بين الروابط التى تحقق التماسك النصى – كما سبق بيانه –؛ فهى الجهة الجامعة بين المتقابلين.

ومن هذه النماذج يتضح أن المناسبة بين السورة الكاملة وغيرها من السور الكاملة قد تكون خاصة بالجانب الدلالى، أو الشكلى مثل الفاصلة وما يتبعها من تماسك صرفى وصوتى، أو كون الثانية متممة للأولى، أو تكون بينهما علاقة التعلق النحوى مثل تعلق شبه الجملة والعلة ... وغيرهما، أو علاقة المقابلة. وهذا – لاشك – يسهم فى إيضاح التماسك النصى بين أكثر من سورة.

ومن بين الأنماط التى تحقق المناسبة بين السور، ومن ثم تحقق التماسك، تكرار القصة الواحدة فى أكثر من سورة. فما علاقة هذا بالتماسك النصى؟ هذا موضوع المبحث التالى.

(٤-ب-٤): ذكر القصة الواحدة فى أكثر من سورة

نقصد بالقصة هنا، تلك القصة التى تدور حول نبى من أنبياء الله؛ إذ إن القرآن الكريم به قصص كثيرة غير الأنبياء، وقد ركزنا البحث هنا حول قصص الأنبياء لأن القصص الخاص بهم هو الذى يتكرر ذكره فى الغالب، بينما القصص الأخرى مثل أصحاب الكهف، وذى القرنين،. . . وغيرهما لم يذكر إلا مرة واحدة على الأكثر، ومن ثم فلا جدوى لذكر مثل هذا القصص عند التحليل؛ إذ الهدف هو إبراز وظيفة هذا التكرار فى تحقيق التماسك النصى بين السور الوارد فيها القصص.

نهدف من هذا المبحث إلى إثبات أمرين اثنين:

---

(١) السابق، ص ١٥٨ . وانظر كذلك للمؤلف: معترك الأقران ، ١/ ٦٨.

أحدهما: إثبات التماسك النصى بين نصوص القصة الواحدة المذكورة فى أكثر من سورة، بحيث تمثل كل سورة مرحلة من مراحل القصة.

الثانى: بعد رؤية أثر تكرار كلمة واحدة فى تحقيق التماسك بين هذه الجمل، بالقياس هل ذكر القصة فى أكثر من سورة يمثل أو يسهم فى تحقيق التماسك بينها، حيث إن ذكر القصة بهذه الكيفية يُعد نوعاً من أنواع المناسبة بين السور؟

تكرار القصة لابد أن يكون له فائدة معينة؛ "فليس فى القرآن مكرر لا فائدة فى تكريره، فإن رأيت شيئاً منه تكرر من حيث الظاهر، فأنعم نظرك فيه فانظر إلى سوابقه ولواحقه، تتكشف لك الفائدة منه"[(١)].

وهذا هو هدف هذا المبحث؛ ما فائدة تكرار القصة، وإن شئت تكرار جانب من القصة، على مستوى القصة نفسها، وعلى مستوى السور المشتملة على تلك الجوانب.

وبالطبع لن يسع المقام لتحليل القصص الوارد فىالقرآن كله، لكن سوف نحاول تحليل قصة اثنين من الأنبياء على سبيل المثال، وكشف وظيفة تكرار قصة كل منهما فى تحقيق التماسك النصى للسور. وما يُتَّبع فيهما من خطوات تحليلية، يمكن فعله مع بقية القصص. وفى البداية نعرض فى الجدول التالى تكرار القصص، والأنبياء، والوارد ذكرهم، والآيات والسور:

---

(١) ضياء الدين بين الأثير: المثال السائر فى أدب الكاتب والشاعر، قدمه وعلق عليه: د. /أحمد الحوفى ود. / بدوى طبانة، نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة، ٨/٣.



م	اسم النبى	عدد المواضع	عدد السور	الســـــــور
١-	آدم	٢٥	٩	البقرة- آل عمران- المائدة- الأعراف- الإسراء- الكهف.
٢-	إدريس	٢	٢	مريم – الأنبياء.
٣-	نوح	٤٣	١٤	آل عمران- النساء- الأنعام- الأعراف- التوبة- يونس.
٤-	هود	٧	٣	الأعراف- هود- الشعراء.
٥-	صالح	٩	٣	الأعراف- هود- الشعراء.
٦-	إبراهيم	٦٣	٢٥	البقرة- آل عمران- النساء- الأنعام- التوبة- هو- يوسف- إبراهيم.
		-	-	الذاريات- النجم- الحديد- الممتحنة- الأعلى
٧-	إسحاق	١٦	٨	البقرة- آل عمران- النساء- الأنعام- إبراهيم- مريم.
٨-	إسماعيل	١٢	٨	البقرة- آل عمران- النساء- الأنعام- إبراهيم- مريم.
٩-	لوط	٢٧	١٤	الأنعام- الأعراف- هو – الحجر- الأنبياء- الحج.
١٠-	يعقوب	١٦	١٠	البقرة- آل عمران- النساء- الأنعام- هود.
١١-	يوسف	٢٦	٣	يوسف- الأنعام- غافر.
١٢-	شعيب	١٠	٤	الأعراف- هود- الشعراء- العنكبوت.
١٣-	موسى	١٣٦ - -	٣٤ - -	البقرة- آل عمران- النساء- المائدة- الأنعام- الأعراف. المؤمنون- الفرقان- الشعراء- النمل القصص- العنكبوت. الذاريات – النجم- الصف- النازعات- الأعلى.
١٤-	داود	١٦	٩	البقرة- النساء- المائدة- الأنعام- الإسراء.
١٥-	سليمان	١٦	٧	البقرة- النساء- الأنعام- الأنبياء- النمل.
١٦-	أيوب	٤	٤	النساء- الأنعام- الأنبياء- ص.
١٧-	يونس	٤	٦	[ذكر باسمه] النساء- الأنعام- يونس- الصافات-
١٨-	زكريا	٨	٤	آل عمران- الأنعام- مريم- الأنبياء.
١٩-	يحيى	٥	٤	آل عمران- الأنعام- مريم – الأنبياء.
٢٠-	عيسى	٣٥	١٣	البقرة- آل عمران- النساء- المائدة – الأنعام.
٢١-	مريم	١١	٤	آل عمران- مريم- المؤمنون- التحريم.
٢٢-	محمد	٤	٤	آل عمران- الأحزاب- محمد- الفتح.(*)

(*) انظر تفاصيل هذه المواضع فى السور :

١- محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. =

ت / السـور	
مريم – طه – يس	
هود- إبراهيم- الإسراء- مريم- الأنبياء- الحج- المؤمنون- الفرقان	
الحجر- النحل- مريم- الأنبياء- الحج- الشعراء- العنكبوت- الأحزاب- الصافات- الشورى- الزخرف.	
الأنبياء. ص.	
الأنبياء. ص.	
الشعراء- النمل- العنكبوت- الصافات- ص-ق- القمر- التحريم.	
يوسف – مريم- الأنبياء- العنكبوت- ص.	
يونس- هود- إبراهيم- الإسراء- الكهف- مريم- طه- الأنبياء- الحج- السجدة- الأحزاب- الصفات- غافر- فصلت. الشورى. الزخرف- الأحقاف.	
الأنبياء- النمل- سبأ- ص.	
سبأ- ص.	
[ذكر بوصفه] فى : الأنبياء- القلم.	
التوبة- مريم- المؤمنون- الأحزاب- الشورى- الزخرف- الحديد- الصف.	

= ٢- عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط٢، د.ت.

٣- الجدول الخاص بالتكرار فى الجزء الخاص بالجداول الإحصائية التى أعدها الباحث. مع إضافة أن ذكر" محمد" صلى الله عليه وسلم لم نجد سورة – تقريباً – خالية من الحديث إليه أو عنه، لكن بالصفات أحياناً، وبالضمائر أحياناً أخرى.

فأكثر الأنبياء ذكراً موسى عليه السلام؛ إذ ورد فى "١٣٦" موضعاً فى "٣٤" سورة، منها"٢٧" سورة مكية. والملاحظ أن الذى تكرر تكريراً تاماً هو اسم موسى عليه السلام، أما ما يخص قصته؛ فإن ما ذكر فى هذه السور هو مواقف متعددة، تمثل فى النهاية قصة كاملة تبدأ بالحديث عن ولادته وإرضاعه فى سورتى القصص وطه(١)، وخروجه من مصر إلى مدين والسبب، فى سورة القصص ١٥ : ٢١، وطه "٢١"، ومصاهرة الشيخ الكبير، وبعثته بالوادى المقدس، وعودته إلى مصر ودعوته لفرعون، وما حدث بينهما والسحرة ... إلى غرق فرعون، ومواقف بنى إسرائيل المتعددة مع موسى وأخيه وما فعله السامرى، ومسألة البقرة، وإيذاء بنى إسرائيل لموسى،والسبعين رجلاً، وطلب رؤية الله جهرة، والتبشير بمحمد صلى الله عليه وسلم -، والعبد الصالح معه، ... وغيرها من المواقف التى تمثل حياة موسى عليه السلام شبه كاملة التفاصيل، خاصة ما يتعلق بدعوته(٢).

ومن ثم فالقول بتكرار القصة نفسها أكثر من مرة، ليس مطلقاً بل الغالب عدم تكرار القصة الواحدة. غير أن الذى يجمع بين هذه المواقف كلها، أنها تدور حول شخص نبى الله موسى، وما تعرض له من أحداث.

وهذه المواقف - فى مجملها - تكون القصة الكاملة لموسى عليه السلام، وهنا يبرز عنصر التماسك النصى بين هذه النصوص المكونة للقصة؛ فهى تقسم إلى عدة حلقات، تعرض كل منها فى سورة، أو أكثر أحياناً، مع اختلاف الأسلوب بما يتلاءم مع جو السورة العام وهدفها.

وهذا التماسك الدلالى بين المواقف المكونة للقصة، تبرز فيه المرجعية عبر تكرار اسم موسى عليه السلام، ووحدة المرجعية فيها كلها، والإجمال أحياناً فى سورة والتفصيل لهذا الإجمال فى سورة أخرى.

---

(١) القصص ٧ : ١٣، طه ٣٧ : ٤٠

(٢) انظر تفاصيل هذه المواقف كلها : قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، ١٨٩ : ٣٦٠

ومناسبة ذكرها فى سور مكية أكثر من المدنية، يرجع - فيما نرى - إلى أن أشد الفترات إيذاء لرسول الله كانت فى مكة، وقد تعددت ألوان هذا الإيذاء ومن ثم احتاج رسول الله إلى العون الشديد من الله تعالى، فأنزل الله هذه المواقف الشديدة من فرعون وقومه وبنى إسرائيل ضد موسى عليه السلام. ومن ثم تبرز العبرة لرسول الله، وأن أخاه موسى قد أصابه الكثير من قبله فى سبيل دعوته.

وإذا كان التماسك بين هذه المواقف حدث بسبب كونها حلقات لقصة نبى واحد، فإن السور التى وردت بها هذه المواقف بالتالى تتضح المناسبات فيما بينها، فسبع وعشرون سورة مكية، وتتناول قصة موسى، وكلها فيها حديث إلى رسول الله، وكلها - كما أسلفنا - تعالج قضية الألوهية وما يتعلق بها. ومن ثم يجمعها إطار دلالى أو أكثر، ومرجعيتها تكاد تكون واحدة من حيث القضية والتناول، إذَنْ فهى متماسكة نصيًّا.

وقصة أخرى، قصة نبى الله إبراهيم عليه السلام،إذ تحتل المرتبة الثانية فى عدد مرات الورود فى القرآن الكريم؛ حيث وردت فى "٢٥" سورة، منها "١٦" مكية، وكذلك وردت فى "٦٣" موضعاً من الذكر الحكيم. وهذه السور تعرض لمواقفه عليه السلام؛ مثل نصحه لأبيه وقومه، وموقفه السلبى من أصنامهم، ومحاكمته ونصر الله له، ومحاجته الملك، وموقفه من هاجر، ومن ابنه إسماعيل، ومن الملائكة الذين أرسلوا إلى قوم لوط، والبشرى، له بإسحاق ... وغيرها من المواقف التى تمثل قصة إبراهيم عليه السلام(١).

فالقصة واحدة، والنبى واحد، والمرجعية بالتالى واحدة، وتكرر اسمه فى هذه المواضع جميعاً، والدلالة واحدة، ومن ثم يظهر التماسك النصى بين المواقف المكونة لقصته، على الرغم من ورودها فى خمس وعشرين سورة.

(١) انظر التفصيل: عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء، ص ١٠٣ : ١٢٩ .

وكذلك فالسور؛ ست عشرة منها، مكية، ومن ثم فهناك مناسبة قائمة بين هذه السور، تحققت بسبب وحدة القضية الأساسية، وحدة السور، على محورى الشكل والدلالة.

فالتماسك القائم بين مواقف القصة المذكورة فى أكثر من سورة يعد سبباً قوياً فى تحقيق ذلك التماسك بين هذه السور؛ إذ كيف تكون هذه القصة متماسكة فيما بينها، ولا تكون السور التى تشتمل على هذه القصة متماسكة؟؛ فقد أثبتنا - فيما سبق - وجود هذا التماسك بين السور، عبر عدة أنماط من المناسبة فيما بين هذه السور. والقصة، بهذه الوظيفة، تحقق التماسك على عدة محاور:

أولاً : على مستوى القصة نفسها، على الرغم من ذكرها فى أكثر من سورة.

ثانياً: على مستوى الموقف، من القصة، المذكور فى السورة، والسورة نفسها؛ فهذا الموقف - لاشك - متماسك مع السورة؛ إذ إنه يُمثل جزءاً من أجزائها.

ثالثاً: على مستوى السورة والسور الأخرى التى ذكر فيها مواقف من القصة.

فمكونات القصة إذن، كلمات وعبارات وجمل وآيات، كلها متماسكة. ومكونات السورة، عدة عناصر متماسكة، والقصة أو الموقف واحد من هذه العناصر. والسور المكية، مكونة من أكثر من ثمانين سورة يجمع بينها الكثير من الجوانب الدلالية المحققة للتماسك فيما بينها.

ومن هذا تتضح مهمة مناسبة تكرار مواقف من قصة واحدة فى أكثر من سورة فى تحقيق التماسك النصى فيما بين هذه السور.

والتماسك النصى ليس بين مواقف القصة الواحدة المذكورة فى أكثر من سورة، بل بين قصص الأنبياء جميعاً، على اختلاف عصورهم؛ فكلهم

أُوحى إليه، وكُلِّف بالدعوة، وقام بها، وكذبه معظم قومه، وصدّقه القليل، ونَكَّل الله بالمكذبين، ووعدهم بالعذاب الشديد فى الآخرة، ونَصرَ المؤمنين فى الدنيا، وفى الآخرة جنات تجرى من تحتها الأنهار.

إذن يجمع بين القصص وحدة دلالية، بل وحدة شكلية، كما يظهر فى تكرار الجمل، فى جدول التكرار، التى قالها الأنبياء لأقوامهم، وردود أقوامهم، وتعقيب الله على هذا.

ومن هذه النماذج ما ورد - على سبيل المثال لا الحصر - فى سورة الأعراف؛ فيقول نوح لقومه:

﴿فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾/٥٩

وكذلك هو:

﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾/٦٥

وكذلك صالح :

﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾/٧٣

وكذلك شعيب :

﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾/٨٥

فكُذِّبوا جميعاً، واتُهموا بالضلال المبين، والسفاهة، والكذب، والسحر، وغيرها من الافتراءات. فماذا كان رد الأنبياء؟ قال نوح :

﴿ضَلالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ(٦١) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ (٦٢).

وقال هود :

﴿لَيْس بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ(٦٧) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ(٦٨)﴾.

ثم جاء تعقيب الله تعالى على قصة نوح :

﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ /٦٤

وعلى قصة هود :

﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾/٧٢

وعلى قصة لوط :

﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ /٨٣

والتعقيب بعاقبة المكذبين كذلك، منهم من أغرقنا، وقطعنا دابر الذين كذبوا، ومنهم من أخذته الرجفة، ومنهم من أُمطر عليه مطر السوء، وكذلك فى بقية السور؛ تلتقى القصص كلها طول هذه المحاور الموحدة، ومن ثم يبرز التماسك الدلالى بين هذه القصص بل التماسك الشكلى أيضاً، كما ظهر.

ومما سبق يبدو أن لذكر القصة وتكرارها وظيفة مهمة فى تحقيق التماسك النصى على المحاور التى ذكرناها، خاصة بعد ما ظهر بين هذه السور من مناسبة، بسبب ذكر هذه القصص، وتكرارها[1].

(٤-ب-٥) : علاقة الإجمال والتفصيل بين السور

تفسير القرآن بالقرآن يُعد أصلاً من أصول التفسير، بل يعد أول هذه الأصول، ويوجد غيره، مثل تفسير القرآن بالسنة ... وهكذا. والأصل الأول هو ما يعنى به الباحث هنا؛ فقد تجمل قصة، أو يجمل حكم، ثم يفصل فى مكان آخر، وهذا كثير فى كتاب الله العزيز.

(١) تعد القصة أوالقصص، داخل السور، نمطاً من التناص؛ لأن هناك استدعاء لهذا القصص ليخدم قضية النص الأساسية، كل نص حسب موضوعه؛ فالقصة ليست لذاتها إذن، بل هى موضوع لا ذات، تتلاحم مع موضوع السورة. وهذا فى قصص القرآن كله. وقد تحدث عن ظاهرة التناص فى شعر صلاح عبد الصبور، أحمد حجازى، وأمل دنقل الدكتور. أحمد مجاهد، فى كتابه: أشكال التناص الشعرى: دراسة فى توظيف الشخصيات التراثية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٩٨م.

والتفصيل - فى ضوء علم اللغة النصى - شديد التماسك بالإجمال، وكلاهما واحد، غير أن التفصيل فيه زيادات وضوابط وتفاصيل تتناسب مع طبيعة الأمر المجمل. ومن ثم يمكننا القول بأن التفصيل يحمل علاقة المرجعية الخلفية الداخلية لما أُجْمل من قبل. ومن ثم فهذه العلاقة تمثل مناسبة من المناسبات التى تسهم فى تحقيق التماسك النصى بين جمل السورة الواحدة - كما بينَّا - ، وبين السور وبعضها كما سنبين هنا. وأيضاً تسهم فى التحليل النصى.

وهذه المناسبة من أهم عناصر المناسبة أو أنماطها التى تحقق التماسك على مستوى النص القرآنى بالجملة.

ومن أبرز هذه النماذج، الإجمال والتفصيل بين سورة الفاتحة، وبقية سور القرآن الكريم، فيذكر الرازى أن الفاتحة "مسمَّاه بأم القرآن، فوجب كونها كالأصل والمعدن، وأن يكون غيرها كالجداول المتشعبة منه ... فهذه السورة جامعة لجميع المقامات المعتبرة فى معرفة الربوبية، إلى قوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾. ومعرفة العبودية تبدأ من ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[1]. وقد ذكرت كذلك بداية كل من الفاتحة والأنعام والكهف وسبأ بالحمد، وكل منها يبدأ ربع القرآن الكريم. ويذكر القرطبى أن "جميع القرآن فيها. وهى خمس وعشرون كلمة تضمنت جميع علوم القرآن ... وتضمنت التوحيد والعبادة والوعظ والتذكير ..."[2]. وربط السيوطى بينها وبين براعة الاستهلال؛ وذكر أن فيها جميع مقاصد القرآن؛ "علم الأصول ... ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ . الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ومعرفة النبوات ... ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، ومعرفة المعاد بـــ ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، وعلم العبادات ... ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، وعلم السلوك ... ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ . اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ... وعلم القصص ... ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

(١) الرازى : مفاتيح الغيب، ١ / ٣٢٧ .
(٢) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن، ١/ ٩٦ .

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾. فنبه فى الفاتحة على جميع مقاصد القرآن، وهذا هو الغاية فى براعة الاستهلال"[1].

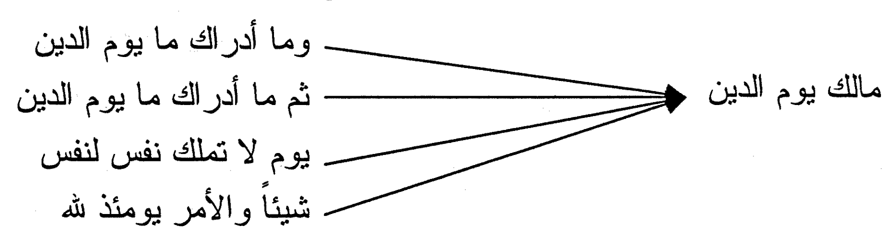
وفى هذا كله بيان لكون القرآن الكريم مفصلاً للإجمال الكائن فى سورة الفاتحة؛ فالقرآن كله قائم على قضيتى الألوهية والعبودية، والسورة مُقَسَّمة إلى هذين المحورين :

ويربط السيوطى بين آية فيها مجملة، وثلاث آيات مفصلة لها فى سورة الأنفطار؛ فقوله: ﴿مَالك يَوْمِ الدِّين﴾. فسره قوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ(١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ(١٨) يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئذٍ للَّه(١٩)﴾[2].

وكذلك قوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بينه قوله:

﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ النساء/٦٩(٢)[3].

ويمكن تمثيل تلك العلاقة التماسكية كما يلى :



والثانية تمثل كما يلى:

الذين أنعمت عليهم ← من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين

(١) السيوطى : الإتقان، ٣/ ٣١٨ .
(٢) السيوطى : معترك الأقران، ١/ ٢٢٠ .
(٣) السابق.

وكلتاهما تحقق المرجعية الخلفية بتكرار الدلالة والألفاظ، مع إجمال فى الأولى/ الفاتحة، وتفصيل فى الثانية؛ الانفطار والنساء.

ونموذج ثان بين آيات فى سورتى الأنعام والأعراف؛ "فسورة الأنعام لما كانت لبيان الخلق، وقال فيها: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾"٢" وقال فى بيان القرون: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾"٦". وأشير فيها إلى ذكر المرسلين، وتعداد كثير منهم، وكانت الأمور الثلاثة على وجه الإجمال، لا التفصيل، ذكرت هذه السورة – الأعراف – عقبها، لأنها مشتملة على شرح الأمور الثلاثة وتفصيلها. فبسط فيها قصة خلق آدم أبلغ بسط، بحيث لم تبسط فى سورة كما بسطت فيها -[وذلك فى قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ إلى: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ ١١: ٢٥

وذلك تفصيل إجمال قوله ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾"٢" الأنعام، ثم فصلت قصص المرسلين، وأممهم، وكيفية إهلاكهم، تفصيلاً تاماً شافياً مستوعباً، لم يقع نظيره فى سورة غيرها - [وذلك من ٥٩ : ١٧٦] ... وذلك بسط حال القرون المهلكة ورسلهم، فكانت هذه السورة شرحاً لتلك الآيات الثلاث" [١].

"وأيضاً فقد قال فى الأنعام: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾"١٢" وهو موجز، وبسطه هنا بقوله: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ "١٥٦" فبين من كتبها لهم[٢].

ويظهر ما بين الإجمال والتفصيل من تماسك نصى؛ فالحديث فى السورتين مجمل فى الأنعام، ومفصل فى الأعراف، حول هذه الأمور؛ فما أُجمل فى ثلاث آيات، فُصِّل فى أكثر من "١٣٠" آية. وتظهر المرجعية واضحة بتكرار بعض الألفاظ وتكرار الدلالة مع الشرح.

(١) السيوطى : تناسق الدرر، ص ١٠١ .
(٢) السابق، ص ١٠٢ .



ولا شك أن هذا الإجمال والتفصيل بين آيات السورتين يحقق التماسك النصى بين نص السورتين. إضافة إلى كونهما مكيتين، وتناقشان قضية العقيدة.

وكذلك ما بين الأعراف ويونس، اختصر أو أجمل فى ذكر عذاب فرعون وقومه فى الأعراف[١].

ثم فصّل ذلك العذاب فى يونس[٢]. ويذكر السيوطى "أنها شارحة لما أُجمل فى سورة الأعراف منه"[٣].

والملاحظ أن المجمل يكون فى السور المتقدمة، بينما التفصيل يكون فى السور التالية لها، وفى هذا تحقيق للمرجعية الخلفية.

وكذلك سورة هود؛ شرحت سورة نوح "وبسطت بما لم يبسطه فى غيرها من السور، ولا فى سورة الأعراف على طولها، ولا فى سورة ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ -[سورة نوح]- التى أفردت لقصته. فكانت هذه السورة شارحة لما أجمل فى سورة يونس ... فإن قوله هناك: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ﴾ "١٠٩" هو عين قوله هنا - فى هود -: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ "٢" [٤].

فالتكرار، إذنْ، ليس تامًّا، بل - كما ذكرنا - ذكر لحلقات متعددة فى سور متعددة، لقصة واحدة. ولا شك أن هذه الحلقات متماسكة فيما بينها، إذ إنها تمثل مراحل فى القصة.

وكذلك بين آيتين؛ إحداهما فى هود، مجملة: ﴿رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ "٤٨"، والأخرى فى يوسف، مفصلة: ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾ "٦"[٥].

---

(١) الأعراف، آية ١٣٦.
(٢) يونس، آيات ٩٠ : ٩٢.
(٣) السيوطى : السابق، ص ١٠٨.
(٤) السيوطى، السابق، ص ١٠٨.
(٥) نفسه ، ص ١٠٩ .

وكذلك الإجمال فى الآية "١٠٥" من يوسف: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾. وتفصيل هذه الآيات فى سورة الرعد ٢ : ٤؛ حيث ذكرَ رفع السموات بغير عمد، والاستواء على العرش، وتسخير الشمس والقمر، ومد الأرض وجعل الرواس، والأنهار، وزوجين من كل الثمرات، والثمار المختلفة من الأعناب والنخيل والزرع، مع وحدة الماء الذى يُسقى منه كل من هذه الثمار[1]. ولذلك ذُكرت كلمة "آيات" ثلاث مرات فى التفصيل، وبلفظ الجمع، ولم تذكر فى سورة يوسف إلا مرة واحدة، وبلفظ الإفراد.

وأيضاً الإجمال فى الآية "٣٢" من سورة الرعد: ﴿وَلَقَد اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ وذلك مجمل فى أربعة مواضع: الرسل، والمستهزئين، وصفة الاستهزاء، والأخذ· وقد فصلت الأربعة فى قوله: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾ "١٦" [2]. وذلك فى الآيات من ٩ : ١٤، من سورة إبراهيم.

وهكذا فى بقية السور؛ قد يكون التفصيل بين كلمة وعدة كلمات فى سورة أخرى، وقد يكون بين آية أو بعض آية وآية كاملة فى سورة أخرى وقد يكون بين آية وعدة آيات فى سورة أخرى، وقد يكون بين إجمال لقصة فى سورة وتفصيل له فى سورة أخرى. وهذه الأنمط كلها تؤكد التماسك بين السور التي تشتمل على الإجمال والسور التى تشتمل على التفصيل. وتبرز جانباً مهماً من جوانب التحليل النصى ببيان الصلة بين أكثر من سور.

ومجمل الأمر أن الإجمال يمثل المحال إليه، والتفصيل يمثل المحيل، والمرجعية بالتكرار الشكلى والدلالى، يمثل الوسيلة التى تتحقق بها الإحالة بينهما، وكذلك يمثل - كما ذكرنا - رد العجز على الصدر:

---

(١) نفسه، ص ١٠٩ - ١١٠ .

(٢) السابق، ص ١١٠ . وقد ذكر نماذج كثيرة فى كتابه المذكور.

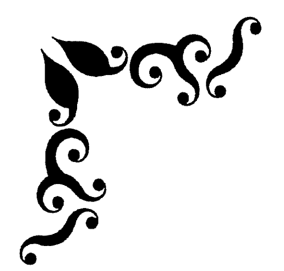
مرجعية خلفية داخلية

الإجمال ← التفصيل

ومن هذا العرض لقضية المناسبة، وعلاقتها بعلم اللغة النصى، يتبين وظيفتها فى تحقيق التماسك النصى، على مستوى السورة المفردة، وعلى مستوى السور المتعددة.

ويتأكد كذلك إضافة المناسبة إلى الأنماط المحققة للتماسك النصى؛ فقد غفل علماء النص عن هذه الوسيلة، على الرغم من أهميتها القصوى فى تحقيق التماسك.

وتبرز كذلك أهمية الخروج، فى التحليل اللغوى، من إطار الجملة الضيق إلى إطار النص الأوسع.



الفصل السابع

"الحـــــذف"

ويشتمل على:

❁ **المبحث الأول:** مفهومه وأنواعه.

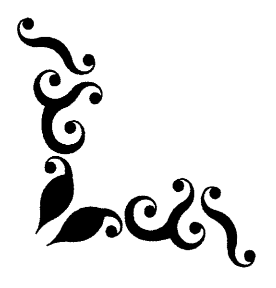
❁ **المبحث الثاني:** علاقته بالإبدال والمرجعية.

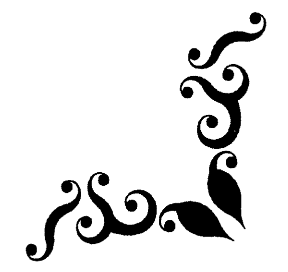
❁ **المبحث الثالث:** ضرورة الدليل وعلاقته بالتماسك.

❁ **المبحث الرابع:** مهمة المتلقي.

❁ **المبحث الخامس:** كيفية حدوث التماسك من خلال الحذف.

❁ **المبحث السادس:** التحليل النصي لنماذج من السور المكية.





المبحث الأول

مفهـــومـــه وأنـــواعـــه



لقد أحس الإنسان بضرورة التعبير عن حاجته وعن الأحداث التى تحيط به، وفى الوقت نفسه رأى صعوبة ذكر تفاصيل هذه الحاجة وتلك الأحداث، إذ يتطلب هذا مساحة كبيرة من الزمان لكل من المتحدث والمتلقى، إضافة إلى ما يحدثه هذا التفصيل من شيوع الملل، والحشو الزائد ... إلى غير ذلك. ولذلك توجهت اللغات الإنسانية إلى لون من الإيجاز عبر الحذف لبعض من عناصر الكلام على مستويات كثيرة نعرضها فيما بعد.

ونظراً لميل اللغات إلى الحذف كثيراً، أصبح "ظاهرة لغوية تشترك فيها اللغات الإنسانية؛ حيث يميل الناطقون إلى حذف بعض العناصر المكررة فى الكلام، أو إلى حذف ما قد يمكن للسامع فهمه اعتماداً على القرائن المصاحبة"(١).

ولهذا لقيت هذه الظاهرة عناية كبيرة من لدن العلماء؛ قديماً وحديثاً، وهذا طبيعى؛ فالحذف ليس وليداً لعصرنا الحديث، بل ورد فى العصور الجاهلية وصدر الإسلام والأموى والعباسى ... إلى عصرنا الحالى. وكذلك فى اللغات الأخرى. غير أن المقام لا يسع لعرض وجوه الاهتمام هذه، وأيضاً لا يسع لتتبع هذه الظاهرة فى اللغة العربية وغيرها.

ويدور المعنى اللغوى لمادة "حَ ذَ فَ" حول القطع، من الطرف خاصة، والطرح والإسقاط(٢). وقد ذكر كريستال معناه الاصطلاحى فى موسوعته ومعجمه، تحت مصطلح "Ellipsis" وهو حذف جزء من الجملة، من الجملة الثانية، ودلَّ عليه دليل فى الجملة الأولى. مثال ذلك:

أين رأيت السيارة ؟ فى الشارع

---

(١) د. / طاهر سليمان حمودة: ظاهرة الحذف فى الدرس اللغوى، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، د. ت، ص ٦ . وقد عرض لقضايا كثيرة متعلقة بالحذف.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، مادة ح ذ ف، وانظر: البرهان للزركشى، ١٠٢/٣ .

فالمحذوف من الجملة الثانية: رأيتها " (١).

ويُعد الحذف واحداً من العوامل التى تحقق التماسك النصى، كما سنعرض، وهذا ما أكده هاليدى ورقية حسن؛ إذ أفردا له قسماً كبيراً من كتابهما "Cohesion in English"(٢).

وإذا كان كريستال قد خصص فى تعريفه موضع الحذف بجزء من الجملة، فإننا نقول إنه يحدث فى الصوت والحرف والكلمة والعبارة والجملة، بل فى عدة جمل كذلك وهذا ما سوف يُؤكد عبر التحليل النصى. خاصة حذف الكلمة والعبارة والجملة وأكثر من جملة.

ولأهمية الحذف لا تكاد تجد مؤلفاً، فى النحو العربى، وفى علم المعانى، وفى إعجاز القرآن وتفسيره، لم يتحدث عن هذه الظاهرة. لكن أأدرك هؤلاء العلماء أهمية الحذف فى تحقيق التماسك النصى، أما توقفوا عند ذكر جوانب معينة تتعلق بهذه القضية؟ هذا ما سوف نعرض له فيما بعد.

هذا وقد اتفق النحاة العرب مع الغربيين فى موضع المحذوف؛ فيذهب ابن هشام إلى أنه " إذا دار الأمر بين كون المحذوف أولاً أو ثانياً فكونه ثانياً أولى"(٣). ويذكر العبدى سبب ذلك بـــ " أن التجوز فى أواخر الجملة أسهل"(٤)، وذلك بالطبع إن لم توجد قرينة ترجح أيهما يحذف وقد رأينا فى تعريف كريستال للحذف بأنه يصيب الجملة الثانية، لوجود دليل فى الأولى. ويذهب هاليدى ورقية حسن إلى أن "الحذف يكون من اليمين ... ويتحرك دائماً ليكون

(1) See: A) D. Crystal, The Cambridge Encyclopedia., p. 119 .
B) D. Crystal, A Dictionary of linguistics., pp. 107- 108.

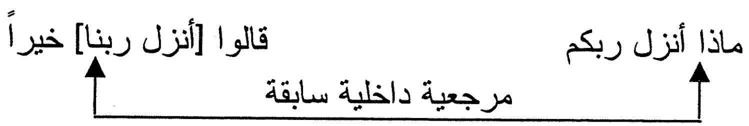
(2) Halliday & Hasan, Cohesion in English ,p. 4, p. 13, p. 226.

(٣) انظر: أ – ابن هشام: معنى اللبيب، ٢/ ١٦٣ .
ب– د. / طاهر سليمان حمودة: السابق، ص ١٤٤: ١٤٦ .

(٤) ابن هشام: السابق، ٢/ ١٦٢ .

فى الكلمة الأخيرة ... "(١)، ومفهوم أن يمين الجملة الإنجليزية هوآخرها، عكس الجملة العربية؛ إذ آخرها فى الشمال. وذلك الدليل هو من أقوى العوامل التى تحقق التماسك النصى بين الجملتين، إذ تتحقق المرجعية من خلال المذكور والمحذوف معاً فى مثل قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا﴾ النحل / ١٦

فالمرجعية واضحة بين مكان المحذوف متأخراً، والمذكور سابقاً.



أما عن أنماط الحذف، فنجد أنها تبدأ من حذف الحركة أو الصوت ثم الحرف ثم الكلمة ثم العبارة ثم الجملة ثم أكثر من جملة. والكلمة قد تكون اسماً وقد تكون فعلاً مفرداً. وهذه الأنماط لا تخرج عنها تقسيمات علماء النحو العربى وأيضاً علماء اللغة المحدثين. فقد أفرد ابن هشام قسماً خاصاً تحدث فيه عن القضايا المتعلقة بالحذف، وذكر فيه أنماط الحذف كلها، وبصورة تفصيلية نلخصها فى:

أولاً: حذف الاسم، كما فى حذف: الاسم المضاف، والمضاف إليه، واسمين مضافين، وثلاثة متضايفات، والموصول الاسمى، والصلة، والموصوف، والصفة، والمعطوف والمعطوف عليه، والمبدل منه، والمؤكَّد، والمبتدأ، والخبر، والمفعول، والحال، والتمييز، والاستثناء. ولا شك أن فى هذه المواضع اسماً، وعبارة، وجملة، إذ قد يكون الحال جملة وكذلك الصفة والخبر، وفيها أيضاً عبارة مثل حذف ثلاثة متضايفات.

ثانياً: حذف الفعل وحده أو مع مضمر مرفوع أو منصوب أو معهما. ولا شك أيضاً أن حذف الفعل مع المضمر المرفوع يمثل جملة.

(1) Halliday & Hasan, Ibid , p. 173.

ثالثاً: حذف الحرف أو الأداة، كما فى حذف: حرف العطف، وفاء الجواب وواو الحال، وقد، وما النافية، وما المصدرية، وكى المصدرية، وأداة الاستثناء، ولام التوطئة، والجار، وأن النافية، ولام الطلب، وحرف النداء ... إلخ.

رابعاً: حذف الجملة، كما فى حذف: جملة القسم، وجواب القسم، وجملة الشرط، وجملة جواب الشرط.

خامساً: حذف الكلام بجملته.

سادساً: حذف أكثر من جملة(١).

وقد عقد هاليدى ورقية حسن مقارنات كثيرة بين الحذف الفعلى، والحذف الاسمى(٢). وذكرا أن أكثر الأنماط التى يتحقق فيها الحذف؛ "العناصر التى تُحذف من جملة الاستفهام، إذ يمثل الاستفهام الدرجة القصوى للحذف المعجمى تبعاً للمفترض مقدماً فى تلك الجمل الاستفهامية، مثل:

- محمد لم يعرف، هل فعل ؟ (Did he?)

(١) انظر التفصيل: أ - ابن جنى: الخصائص، تحقيق محمد على النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣، ١٩٨٨م، جـ٢، صـ٣٦٢- ٣٨٣ .

ب- ابن هشام: مغنى اللبيب، ٢/ ١٦٢: ١٧٦

ج- البرهان، ٣/ ١٩٤ .

د - السيوطى: الإتقان، ٣/ ١٨٤: ١٩٢ .

هـ- محمد عبدالخالق عضيمة: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، حيث عرض فى كثير من أقسامه للقضايا المتعلقة بالحذف فى القرآن. خاصة فى القسم الأول والقسم الثالث - على سبيل المثال: ق١، م٢، ص ٤٢٣، ٤٢٤، ٦٣١ - ٦٣٢، ٦٥٨ وما بعدها، ق ٣، م١، ص ١٨٦: ١٩١، ٢٥٠، ٢٩١: ٣٠٩، ٣٦٧: ٣٧٣، ٤٤١، ق٣، م٣: ٣١٧، م٤ ص ٢٧٦ وما بعدها. وكذلك يُرجع إلى كتب النحو الأخرى مثل الكتاب، والمقتضب، والمفصل، وبقية كتب ابن هشام ... وغيرها.

(2) Halliday & Hasan, Ibid , p. 173.

- هم سوف يعملون فيها طوال الليل، هل سيفعلون ؟ (١).

وأيضاً مثَّلا لحذف الفعل فى جملة جواب الاستفهام فى مثل:

- هل أنت تعوم ؟ نعم

- ماذا تفعل ؟ العوم. (٢).

فالتقدير على الترتيب:

- نعم أعوم

- أفعل العوم

وفى هذا مرجعية داخلية سابقة بين جملة الاستفهام، وجملة جواب الاستفهام. والغالب فى المحذوف - كما هو واضح - أن يكون من لفظ المذكور "أعوم - تعوم و تفعل - أفعل"، وهذا ما أكده ابن هشام؛ "إذ ينبغى أن يكون المحذوف من لفظ المذكور كلما أمكن" (٣).

وتكرار اللفظ هنا واضح، وهو من مسببات التماسك النصى بين المحذوف والمذكور. هذا إضافة إلى المرجعية، وغيرهما من الأمور التى سنعرض لها عند بيان العلاقة بين الحذف والتماسك النصى، أو كيف يؤدى الحذف إلى تحقيق التماسك.

ومن أنماط الحذف المهمة فى التحليل النصى، حذف "بعض الأحداث دون البعض فى التسلسل الزمنى للقصة ... والحذف السببى مثل قوله تعالى: ﴿اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾، أى: فضرب فانفجرت" ومنها حذف الزمان والمكان، أو لنقل عدم تحديد الزمان والمكان

---

(1) Ibid, p. 174.

(2) Ibid, p. 167.

(٣) ابن هشام: مغنى اللبيب، ٢/ ١٦٢. "فيقدر: اضرب، دون أهن، فى: زيد اضربه ... ". وهذا الأمر عُدَّ من أسس التقدير التى ذكرها ابن هشام، ٢/ ١٦٠: ١٦٤.

... وهناك أقسام أخرى من الحذف القصصى مثل ... حذف الشخصيات ... أو بعض مقوماتها ..." (١).

وقد لاحظ الباحث أن أكثر الأنماط قياماً بمهمة التماسك النصى هى:

١- حذف الاسم .

٢- حذف الفعل .

٣- حذف العبارة.

٤- حذف الجملة .

٥- حذف أكثر من جملة.

ويتبع الرابع والخامس الحذف لبعض أحداث القصة. وبناء عليه سوف يسير التحليل النصى للسور تبعاً للتقسيم السابق.

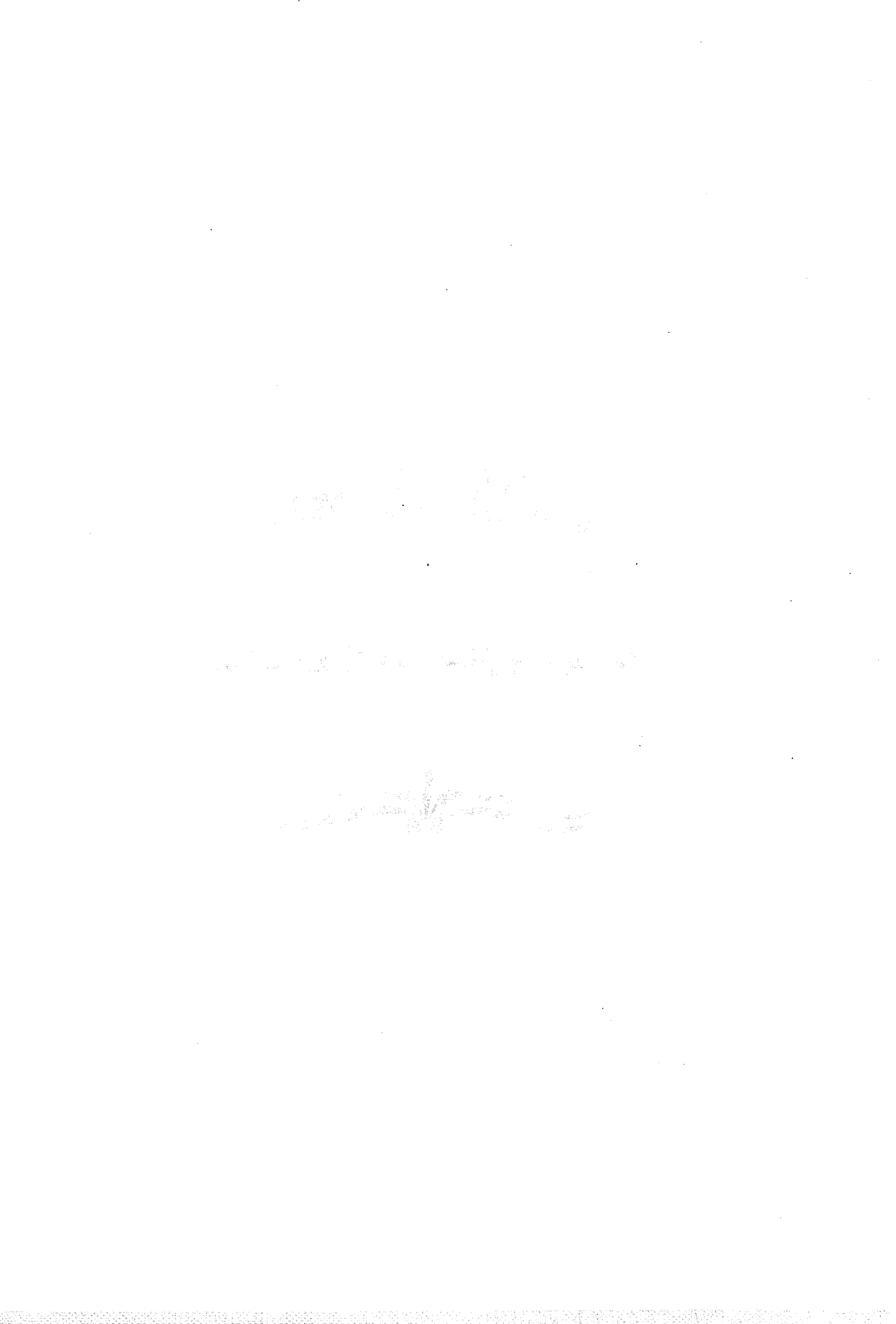
ويعرض هنا سؤال: ما هى الجوانب التى يتعلق بها الحذف حتى يتم التماسك النصى؟ الإجابة تعرض بعضاً من هذه الجوانب، هى: الاستبدال، والمرجعية، وضرورة الدليل، والتكرار، ومهمة المتلقى. هذه هى موضوعات المباحث التالية على الترتيب.

(1) Halliday & Hasan, Ibid, p.142 .

المبحـــث الثانــى

علاقة الحذف بالإبدال والمرجعية





الرأى الشائع عند علماء اللغة النصيين أن هناك تشابهاً بين الحذف والإبدال؛ "إذ إنهما ببساطة يمثلان، أو بصورة أوضح، الحذف يمثل إبدالاً من الصفر Substitution by Zero"(١). لكن الإبدال الذى يعنيه هاليدى ورقية حسن ليس الإبدال الذى يعنيه علماءُ النحو العربى؛ فالمثال الذى ذكره هاليدى:

"[محمد] اشترى بعض الكتب، و[على] بعض قطع الحلوى(٢).

فإعادة كتابه هذا المثال:

محمد اشترى بعض الكتب، وعلى (.....) بعض قطع الحلوى

١ ٢ ٣ ٤ ١ ٢ ٣ ٤

فالمكان الخالى الذى بين القوسين فى الجملة الثانية، يُعد- من وجهة نظرهما. صفراً، لأنه خال من الكلام، ومن ثم فهناك إبدال بين "اشترى التى من الجملة الأولى، والصفر، أو المقدر فى الجملة الثانية. وهنا تبرز العلاقة التماسكية بين الجملتين. مع ملاحظة أن هذا المثال لا يمثل البدل فى النحو العربى، بل نراه نوعاً من التكرار للفظ الفعل، خاصة بعد إعادة المحذوف، ومن ثم فالتكرار هو الذى يسهم فى تماسك هاتين الجملتين.

ومن هذا النمط ما ذكره سيبويه "وذلك قولك، إذا رأيت رجلاً متوجهاً وجهه الحاجّ، قاصداً فى هيئة الحاج، فقلت: مكة وربِّ الكعبة. حيث، زَكِنْتَ أنه يريد مكة كأنك قلت: يريد مكة والله. ويجوز أن تقول: مكة والله، على قولك: أراد مكة والله" (٣).

(1) Ibid, p.142.

(2) Ibid, p.143. والمثال بتصرف

(٣) سيبويه: الكتاب، ١/ ٢٥٧.

والتحليل النصى لهذا المثال كالتالى:

التركيب الذى فيه حذف	التركيب بعد إعادة المحذوف
(...) مكة ورب الكعبة	يريد مكة ورب الكعبة

وكذلك نرى وظيفة السياق هنا واضحة؛ وهو توجه الحاج وجهة البيت الحرام. وكذلك تظهر وظيفة، المتلقى هنا فى ملاحظة السياق، وعليه يقدر المحذوف. إضافة إلى السياق اللغوى الذى يؤكد ضرورة وجود ناصب للاسم المذكور فى أول التركيب "مكة".

وإذا كان هذا المثال على مستوى جملة واحدة [(١)]، ولا تظهر الوظيفة التماسكية كما ظهرت فى مثال هاليدى، فإن الشاهد الذى ذكره المبرد، أشد وضوحاً، لأنه يتعامل مع أكثر من جملة؛ "إذ يقول قيس بن الخطيم".

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا   عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْىُ مُخْتَلِف

أراد: نحن بما عندنا راضون، وأنت بما عند راض"[(٢)].

فلا شك أن التماسك النصى بين هذين الشطرين تحقق بعد تقدير المحذوف، من لفظ المذكور، ويمكن تمثيله كالتالى :

نحن + بما + عندنا + (.....)

أنت + بما + عندك + راض إبدال من الصفر بتعبير هاليدى.

ونرى أن التماسك تحقق عبر عدة جوانب:

١- تكرار اللفظ نفسه بعد إعادة المحذوف.

(١) يذكر د. محمد خطابى أن الحذف على مستوى جملة واحدة لا يحقق التماسك بل على مستوى أكثر من جملة، لسانيات النص صـــ٢٢ .

(٢) المبرد: المقتضب، ٧٣/٤ .

٢- المرجعية المتحققة بين الشطرين.

٣- وجود دليل على المحذوف.

والجانب الثالث أكدضرورته العلماء العرب، وعلماء النص؛ فأينما يوجد الحذف، يوجد المفترض مقدماً أو ما يدل عليه"(١).

بعد هذا نرى أن العلاقة بين الحذف والإبدال، هى فى الحقيقة علاقة بين الحذف والتكرار، لأن هذه النماذج العربية والغربية ليست من الإبدال، وسيبويه والمبرد لم يقصدا الإبدال، بل التقدير للمحذوف لوجود الدليل عليه. وعليه فالإبدال الذى يقصده هاليدى ورقية حسن، لا يماثل الإبدال التابع فى النحو العربى.

أما العلاقة بين الحذف والمرجعية فهى واضحة، وهى من الجوانب التى تؤكد أهمية الحذف فى تحقيق التماسك النصى، ونظراً لوجود دليل مذكور يسهم فى تقدير المحذوف، "هذا يجعلنا نقول إن الحذف بطبيعته علاقة مرجعية لما سبق Anaphoric ... وأحياناً يكون الحذف مرجعيته خارجية Exophoric والأخيرة تعتمد على سياق الحال الذى يمدنا بالمعلومات التى تسهم فى تفسير المثال. لكن الحذف المرجعى للخارج - خارج النص. ليس له مكان فى التماسك"(٢).

ونرى أن المرجعية الخارجية للحذف لا يتحقق التماسك من خلالها لأن أكثر الأماكن التى تتوفر فيها تلك المرجعية، تكون على مستوى الجملة الواحدة، وقد سبق الذكر بأن التماسك من خلال الحذف فى الجملة الواحدة لا يتحقق، بل لابد من وجود أكثر من جملة. فالجملة الواحدة ليس فيها مذكور-

---

(١) انظر: أ - ابن جنى: الخصائص، ٣٦٢/٢ " وقد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة. وليس شئ من ذلك إلا عن دليل عليه"

B) Halliday & Hasan, Ibid, p. 144.

(2) Ibid.

فى الغالب يدل على المحذوف، كى يمكن فيما بعد أن يتماسك المحذوف مع ما يدل عليه فى الجملة. ومن ثم فالمرجعية الخارجية تكون على مستوى الجملة الواحدة غالباً، ولا تحقق التماسك. وقد ذكر هاليدى أمثلة كثيرة، خاصة فى الاستفهام، توضح أهمية المرجعية فى تحقيق التماسك بين جملة الاستفهام وجملة الجواب؛ إذ يوجد، فى الغالب، حذف لكثير من العناصر فى جملة الجواب، يدل عليه ما ذُكر فى جملة الاستفهام(١). مثل:

- هل صلىَّ محمد الفجر ؟ نعم.
- مَن حصل على شهادة التفوق ؟ محمد.
- هل انتهيت من إعداد البحث ؟ نعم.

والإجابة الكاملة تبرز المرجعية:

هل صلى محمد الفجر ؟ نعم صلى محمد الفجر

مرجعية داخلية سابقة

فإذا ذُكرت الإجابة كاملة ظهرت المرجعية، وظهر التكرار أيضاً. وكذلك ظهر التماسك على مستوى أكثر من جملة. وظهرت أهمية الدليل المذكور؛ فعبر هذا الدليل يتمكن القارئ من ملئ الفراغ الممثل للحذف فى الجملة الثانية؛ "إذ يعتمد على ما ورد فى الجملة الأولى أو النص السابق"(٢). ونقول إن الدليل لا يشترط أن يكون فى الجملة الأولى؛ فقد يكون فى الجملة الثانية، مثال ذلك، الشاهد الذى ذكره المبرد فيما سبق.

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأى مختلف(٣).

---

(1) Halliday &. Hasan, Ibid. pp. 200- 201.

(٢) د. / محمد خطابى: لسانيات النص، ص ٢١ – ٢٢.

(٣) المبرد: المقتضب، م٤، ص ٧٣. هذا وقد شكل هاليدى ورقية حسن جدولاً فيه مقارنة بين الحذف والإبدال والمرجعية. p. 145.

ومن ثم فالمرجعية إذا كانت بين المحذوف والمذكور، فهى داخلية لاحقة Catapharic، أما إذا كانت بين المذكور والمحذوف، على الترتيب، فإنها تكون داخلية سابقة. أو لنقل إنها مرجعية داخلية متبادلة.

ومن ثم فمرجعية الحذف قد تكون داخلية سابقة أو لاحقة أو متبادلة، وذلك، فى الغالب، على مستوى الجمل، وقد تكون خارجية، وذلك على مستوى الجملة المفردة. وفى الحالة الأولى تسهم فى تحقيق التماسك النصى، وفى الثانية يغيب هذا الإسهام. وسوف يتضح ذلك فى تحليل السور.

المبحث الثالث

ضرورة الدليل وعلاقته بالتماسك





لم يلجأ المتكلم إلى الحذف ليحقق خللاً ما فى النص، بل العكس؛ إذ إن للحذف جماليات وأغراضاً كثيرة. ومع هذا لم يُترك أمر الحذف لقائل النص ليفعل به ما شاء، بل وُضعت ضوابط وشروط تحكم هذه الظاهرة. ونظراً لكون هذه الظاهرة ليست مرتبطة بلغة دون أخرى، فقد التقى رأى علماء العربية مع غيرهم من علماء اللغة حول وضع شرط للحذف، على درجة كبيرة من الأهمية؛ وهو ضرورة وجود دليل على المحذوف.

فقد تحدث سيبويه عن القرائن، ومهمتها فى إباحة الحذف، فى أكثر من باب من كتابه[١]، وتحدث الفراء عن أهمية القرينة فى تقدير المحذوف[٢]، وقد ذكرنا رأى ابن جنى بأن الحذف لا يحدث "شيء منه إلا عن دليل عليه. وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب"[٣]. وقد ذكر ابن هشام شروطاً ثمانية للحذف، جعل أولها "وجود دليل حالى ... أو مقالى ... أو صناعى ... "[٤]. وتحدث الزركشى عن هذه القضية، وذكر أن " من شروط الحذف أن تكون فى المذكور دلالة على المحذوف؛ إما من لفظه أو من سياقه، وإلا لم يُتَمكن من معرفته، فيصير اللفظ مُخلاً بالفهم ... وهو معنى قولهم: لابد أن يكون فيما أُبْقى دليل على ما أُلْقى. وتلك الدلالة مقالية وحالية ... [٥]. وقد ذكر السيوطى

(١) سيبويه، الكتاب، ١/٢٥٣: ٢٦٠ والأبواب هى: أ - حذف الفعل فى الأمر والنهى، ١/ ٢٥٣ ب- حذف الفعل فى غير الأمر والنهى، ١/ ٢٥٧ . ج- حذف الفعل بعد حرف، ١/ ٢٥٨.

(٢) الفراء: معانى القرآن، ١/ ٣٥٢ .

(٣) ابن جنى: الخصائص، ٢/ ٣٦٢ .

(٤) ابن هشام: مغنى اللبيب، ٢/ ١٥٦: ١٥٨ .

(٥) الزركشى: البرهان، ٣/ ١١١ وما بعدها. بل تحدث كذلك عن أنماط هذا الدليل؛ فقد يدل على المحذوف العقلُ، أوالعادة الشرعية، أودلالة السياق، أو يدل اللفظ على الحذف، والشروع فى الفعل على تعيين المحذوف، ومنها أن تقدم ما يدل على المحذوف وما فى سياقه، ومنها اعتضاده بسبب النزول. وذكر اشتراط بعضهم فى الدليل اللفظى أن يكون على وفق المحذوف ..." انظر ٣/ ١٠٨: ١١٤. ولا شك أن هذا الشرط يومئ بوجود علاقة بين المحذوف والمذكور، وهذا له مهمته فى تحقيق التماسك خاصة بين أكثر من جملة.

شروطاً ثمانية؛ تلك التى ذكرها ابن هشام، وجعل أولها وجود الدليل ..."[1]. وتحدث الشيخ محمد عبدالخالق عضيمة عن هذا الدليل فى مواضع كثيرة من دراسته لأسلوب القرآن الكريم[2]. وتحدث د. السعران عن القرائن بالتفصيل فى كتابه علم اللغة مقدمة للقارئ العربى[3]. ويؤكد د. طاهر حمودة أن "القرنية تعد أهم شروط الحذف ..."[4]. وقد رأينا موقف هاليدى ورقية حسن؛ فأينما يوجد الحذف، يوجد افتراض مقدم أو دليل عليه"[5].

لا شك إذن فى أهمية وجود دليل على المحذوف، مقالى أو مقامى. والذى يهمنا هو وجود هذا الدليل على مستوى أكثر من جملة؛ فإذا كان المحذوف فى جملة، والدال عليه مذكور فى جملة أخرى، سواء أكانت فى هذا النص أم فى نص غيره، بشرط كون النصين من قائل واحد، كما سنعرف، فإن هذا يسهم، فى الحقيقة، فى تحقيق تماسك هاتين الجملتين أو هذه الجمل[6]. خاصة إذا كان المحذوف من لفظ المذكور، أو يترادف معه، أو يتقابل معه.

وأهمية وجود الدليل تكمن فى كونه يحقق المرجعية بين المذكور والمحذوف فى أكثر من جملة، وكذلك قد يحقق التكرار باللفظ والمعنى، وقد يكون بالمعنى دون اللفظ، لكن استمرارية النص على الرغم من عدم تكرار

---

(١) السيوطى: الإتقان، ٣/ ١٧٤: ١٧٧ .

(٢) محمد عبد الخالق عضيمة: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، ق١، م١، ص ٤٦٩، ٥٢٧ . ق ٢، م٢، ص١٨٨، ١٨٩، ٢٣٩ ...

(٣) د. / محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربى، ص ٣٣٧ وما بعدها.

(٤) د. / طاهر سليمان حمودة: ظاهرة الحذف فى الدرس اللغوى، ص ١٠٣: ١٢١.

(5) Halliday & Hasan, Ibid. p. 144.

(٦) يقول تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلاَئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ الأنعام /١٥٨ أى أمره بدليل قوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ النحل/٣٣ . فالدليل ورد فى آية بعيدة جداً عن الآية التى بها حذف، ومع ذلك أسهم الحذف فى تحقيق التماسك بين هاتين الآيتين" انظر: البرهان للزركشى، ٣/ ١١٤.

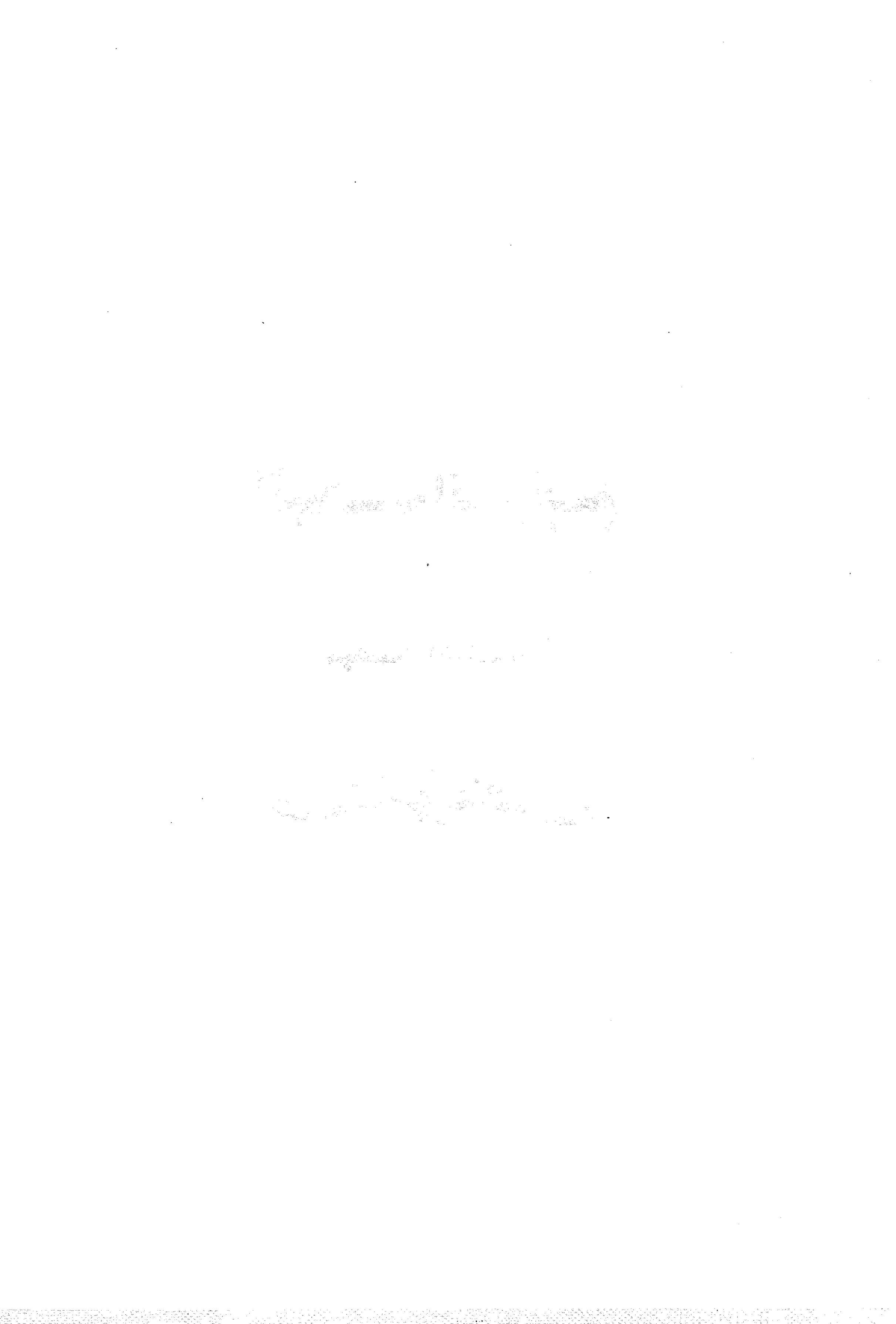
اللفظ، قائمة وقد أثبتنا أهمية التكرار بالمعنى دون اللفظ فى تحقيق التماسك النصى.

والدليل يعد مرشداً للقارئ كى يهتدى إلى إيجاد المحذوف، وكيفية تقديره، واختيار مكان التقدير. ومن ثم يثير لدى المتلقى الرغبة فى إتمام النص بالحصول على العناصر المحذوفة، وتلك العناصر من بين المتطلبات التى تهم المتلقى. ولكن ما مهمته ؟ هذا موضع المبحث التالى .

المبحث الرابع

مهمة المتلقى





يمثل المتلقى جانباً مهماً من جوانب عملية التكلم؛ المتكلم والكلام والمتلقى. والنص القرآنى خاصة، والنص عامة، موجه إلى المتلقى، كى يتفكر فيه ويعمل فيه عقله ومشاعره. ولا شك أن النص يكتسب حياته من خلال المتلقى، إذ هو الذى يفك شفرة ذلك النص، ويستخرج ما فيه، كل متلق حسب ثقافته وأفقه ومعرفته بعالم ذلك النص وسياقه، ذلك الأفق الذى يمكنه من إدراك ما فى النص من أفكار ومبادئ وجماليات، وأيضاً يمكنه من ملئ الفراغ الكامن بين عناصر ذلك النص، على وجه الخصوص ما يتصل بحذف العديد من العناصر فى النص. وهنا تبرز مهمة المتلقى.

ولأهمية هذه القضية لم يغفل العلماء موقف المتلقى، قديماً وحديثاً، فيذكر د. مصطفى حميدة "أن النحاة أقاموا صرح علم النحو العربى على دراسة [مهمة] المتلقى لا [مهمة] المتكلم ... فقد استنبطوا قواعدهم باستقراء الأداء الذى يتلقاه المتلقى ... "(1). وهذا ما فعله النحويون حقيقة؛ " ومن ذلك قوله عز وجل:

﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِه هُوَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ آل عمران/ ١٨٠. كأنه قالَ: ولا يحسبنَ الذين يبخلونَ البخلَ [هو] خيراً لهم. ولم يذكر البخل اجتزاءً بعلم المخاطب بأنه البخل، لذكره يبخلون. ومثل ذلك قول العرب: "من كذب كان شرّا له"، يريد كان الكذبُ شرًّا، إلا أنه استغنى بأن المخاطب قد علم أنه الكذب، لقوله كَذَبَ فى أول حديثه ... "(2).

فتأكيد أهمية علم المخاطب، حرص عليه المحدثون، ولكن بمصطلح المتلقى. وهذا ما أكده الفراء فى حذف جواب الشرط، وسبَّبه بأن "العرب تفعل هذا فى كل موضع يُعرف فيه معنى الجواب ..."(3). وهذه المعرفة من بين الأمور التى يجب على المتلقى أن يعرفها.

---

(١) د. / مصطفى حميدة: نظام الارتباط والربط فى تركيب الجملة العربية، ص ٢٠ – ٢١ .

(٢) سيبويه: الكتاب، ٢/ ٣٩١ . ويلاحظ هنا أهمية وجود الدليل كى يحدث الحذف، وهو دليل لفظى؛ حيث ذُكر لفظاً البخل والكذب.

(٣) الفراء: معانى القرآن، ١/ ٣٣١ – ٣٣٢ .

وقد أكد السيوطى هذه المهمة؛ "نحو: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ﴾ النمل/٩، أى لو شاء هدايتكم؛ فإنه إذا سمع السامع "ولو شاء" تعلقت نفسه بمشيئتهم عليه، لا يدرى ما هو، فلما ذُكر الجواب استبان بعد ذلك، وأكثر ما يقع ذلك بعد أداة الشرط، لأن مفعول المشيئة مذكور فى جوابها ... "[١].

وقد احتلت وظيفة المتلقى مكانة عالية لدى العلماء المحدثين، حتى تأسست فى الثلاثينيات من هذا القرن نظرية التلقى، وكانت "أبرز معطياتها أن كلا من المعنى والبناء ... ينتجان عن التفاعل مع نص القارئ ... فالقارئ هو، إلى حد ما، المبدع المشارك، لا للنص نفسه، بل لمعناه وأهميته وقيمته"[٢]. وهذا ما دفع د. عبدالعزيز حمودة إلى القول بأننا "لا نكون مبالغين إذا قلنا إن أهم الأدوار فىاستراتيجية التفكيك هو دور القارئ، وليس المؤلف أوالعلاقة أوالنسق ... فالقارئ فقط هو الذى يحدث عنده المعنى ويحدثه. ومن دون هذا الدور لا يوجد نص أو لغة أو علاقة أو مؤلف[٣].

فسلطة قائل النص، أو بمعنى آخر، سير عملية التكلم والتلقى فى اتجاه واحد أصبح غير منطقى؛ إذ إن لغة الحوار بين الطرفين، بل بين الأطراف الثلاثة، المتكلم والنص والمتلقى، اصبحت هى السمة الغالبة، وهذا الحوار وُصف بأنه "ديالكتيكى بين القارئ والنص، بين الأسئلة التى يثيرها القارئ والأجوبة التى يقدمها النص، وبين الإجابات التى لا يقدمها النص والأسئلة التى يثيرها المؤلف الجديد للنص، وهو القارئ، فى محاولة كتابه نص جديد ... ومن ثم يصبح القارئ مسئولاً عن النص ... فوظيفة القارئ ليست اكتشاف النص بل كتابته ... [٤]. ومن ثم يعتمد التفكيك على " النشاط القرائى الذى يعمل على الارتباط الوثيق بالنصوص التى يتناولها ... [٥].

(١) السيوطى: الإتقان، ٣/ ١٧٢ – ١٧٣ .

(٢) د. / عبدالعزيز حمودة: المرايا المحدبة: من البنيوية إلى التفكيك، عالم المعرفة، عدد ٢٣٢، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، إبريل، ١٩٩٨، ص ٣٢٢ – ٣٢٣ .

(٣) السابق، ص ٣٢١ .

(٤) السابق، ص ٣٢٧ .

(٥) سمية سعد: عرض كتاب التفكيك؛ النظرية والتطبيق، تأليف: كريستوفرنوريس، مجلة فصول، بعنوان الحداثة فى اللغة والأدب، ج٢، م٤ ، عدد ٤ ، ١٩٨٤ ، ص ٢٣١ .

فالقارئ إذن هو الذى يحكم على النص، ويستخرج معناه، ويتفاعل معه، ويحكم على تماسكه من عدمه، ومن ثم "فالذى يقيم النص هو القارئ المستوعب له. وهذا يعنى أن القارئ شريك للمؤلف فى تشكيل المعنى، وهو شريك مشروع؛ لأن النص لم يُكتب إلا من أجله ... وبقدر ما يقدم النص للقارئ، يضفى القارئ على النص أبعاداً جديدة، قد لا يكون لها وجود فى النص ... وعلى هذا النحو لا تتمثل حقيقة العمل الأدبى إلا من خلال تداخل القارئ مع النص ..."(١). ومن ثم فكثرة التأمل فى النص القرآنى تجعله ينطق بمعان قد تختلف من إنسان لآخر، نتيجة لطبيعة التفاعل بين المتلقى والنص، ولطبيعة الكفاءة التى يمتلكها المتلقى، ولتجارب المتلقى، ومع تطور تجربة القارئ، "يتطور النص"(٢)؛ فالوسائل التى أتيحت لقارئ النص القرآنى فى صدر الإسلام، غير الوسائل المتاحة فى العصر الحالى، ومن ثم تطور فهم النص بما يتلاءم مع هذه الوسائل. بل قد تختلف كفاءة عدد من المتلقين لنص واحد فى وقت واحد " وهو ما حاول تطبيقه منير العكش مع أحد عشر متلقياً لقصائد سعيد عقل ونزار قبانى وبدر شاكر السياب ... وكشف هذا عن إمكانية تعدد الدلالة فى النص الواحد ... "(٣).

فالقارئ إذن يسهم فى إكمال النص، وفى ملئ فراغاته، ولذا أصبحت عملية القراءة "إعادة بناء للنص طبقاً لتصور القارئ ... فالقراءة تتم ... من خلال شعور الفرد والجماعة وتراكم الخبرات فيهما معاً. وبعد كل تراكم معرفى يأخذ النص أبعاداً جديدة لم تكن مقروءة من قبل ... فالنص كائن حى

(١) انظر: أ- د. / نبيلة إبراهيم: القارئ فى النص، ص ١٠١ - ١٠٢.
ب- د. / صلاح فضل: علم الأسلوب وصلته بعلم اللغة، مجلة فصول، عدد الأسلوبية، م٥، ع١، ١٩٨٤ ، ص ٤٧. حيث أكدأن بروز الأسلوب لا يكون إلا من خلال عملية التلقى.

(٢) د. نبيلة إبراهيم، السابق، ص ١٠٢.

(٣) توفيق الزبيدى: أثر اللسانيات فى النقد العربى الحديث، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ١٩٨٤، ص ١٣٥-١٣٦ .

فى حالة سكون يبعث بالقراءة فيحيا من جديد وبأشكال جديدة ... ويصبح القارئ مؤلفاً كما كان المؤلف قارءاً ... فالنص إذن إبداع مستمر وخلق جماعى لا فرق بين تأليفه وقراءته"(١).

وإذا كان هذا يعبر عن طبيعة العلاقة بين القارئ والنص، وعن مهمة القارئ. فهل هذا ينطبق على أى قارئ؟ أم هناك صفات له؟ نرى أن علم التفسير حين وضع شروطاً فى الذى يتعرض للنص القرآنى بالتفسير يعنى وضع صفات لقارئ هذا النص الكريم. وهذا ما أكده المعاصرون؛ فتحدثوا عن "ضرورة وعى القارئ المعاصر، مثلاً، بالأفق التاريخى لقارئ سابق، وضرورة انتقال القارئ المعاصر إلى الأفق التاريخى للقارئ السابق حتى يفهم كيف قرأ النص، ولماذا قرأه بالطريقة التى قرأ بها" ... (٢). وهذا يدفعنا إلى القول بأهمية قراءة تفسير علمائنا – علماء التفسير – الذين تناولوا كتاب الله بالدراسة والتفسير بعد قراءة متأنية، لأن هذا يُعد مرشداً لمحلل النص القرآنى للاهتداء إلى المواضع التى يمكن أن تُملأ فراغاتها، وتُستَكْمل العناصر المحذوفة فيها. هذا إضافة إلى السياق المقامى والمقالى الذى يمثل مادة ثرية تمكننا من ملاحظة هذه العناصر، ومن ثم نهتدى إلى كيفية أدائها لمهمة التماسك النصى" فالسياق يؤدى مهمة كبيرة فى قراءة النص وتفسيره ... حتى يتمكن القارئ من التعامل مع غير المعروف – فى النص الجديد – عن طريق المعروف(٣). أى فى ذهن المتلقى عبر الثقافة التى كونها حول هذا النص، إذ إنه لاشك فى أن الدخول على النص وقراءته دون الأدوات

---

(١) د. حسن حنفى: قراءة النص، مجلة البلاغة المقارنة "ألِف"، ع٨، ١٩٨٨، بعنوان الهرمينوطيقيا والتأويل، الجامعة الأمريكية، مصر، ص ١١، ١٢ .

(٢) د. عبدالعزيز حمودة: المرايا المحدبة، ص ٣٢٤ .

(٣) السابق، ص ٣٢٣ . وقد قدم باحثون مبادئ تحكم مهمة القارئ منها أن تاريخ الأدب يجب ألا يتجاهل القارئ وأهمية التلقى ... ومنها أن أفق التوقعات يساعد فى فهم ردود فعل القراء للنصوص ... إلخ. ص ٣٢٦ – ٣٢٧ .

الواجب توافرها مثل السياق والأفق الواسع وإدراك لغة النص وغيرها، يؤدى فى النهاية إلى عدم دقة هذه القراءة، ومن ثم عدم التمكن من إبراز وظائف الحذف – على سبيل المثال – فى تحقيق تماسك النص.

ولا شك أن وضع ضوابط وشروط فى المتلقى، له أهميته من حيث القراءة، وذلك خشية الفوضى فى النتائج، لأن المتلقى يُعد كاتباً جديداً للنص، ومن ثم إذا فقد أدوات هذه الكتابة، صارت مشوهة، وأدت إلى مفاهيم خاطئة.

وفائدة فهم النص فهماً صحيحاً يؤدى بالتالى إلى " استنباط الذهن للمحذوف"(١).

مثلما يحدث فى الآيات التى تحمل قصصاً ، فمن الصعب السرد المفصل لأحداث القصة كلها، إذ إن هناك جملاً ثانوية يمكن حذفها والأهتداء إليها عبر الجمل الأساسية.

ولأهمية المتلقى فىعملية التحليل النصى، رأينا أن علماء النص لم يغفلوا أهميته، وقد ذكرنا موقف علم اللغة النصى من التلقى فى موضع سابق؛ إذ إن المتلقى يمثل العنصر الأساسى فى حياة النصوص، لأنه هو الذى يكسبها سماتها، ويحكم بتماسكها من عدمه، ويتفاعل معها.

وقضية الحذف، من أهم وسائل التماسك النصى التى تبرز أهمية المتلقى؛ إذ هو الذى يدرك ـ عبر آفاقه الكثيرة – مواضع الحذف،وكيفية قيام هذا الحذف بوظائفه البلاغية والنصية.

أما عن كيفية قيام الحذف بتحقيق التماسك النصى، كما قامت الوسائل الأخرى السابقة، فهذا موضوع المبحث التالى:

---

(١) الزركشى: البرهان، ٣/ ١٠٥ .



المبحث الخامس

كيفية حدوث التماسك من خلال الحذف





المحذوف كالمذكور، خاصة إذا وُجِدَ دليل، ولذلك فإن تأكيد علماء اللغة القدماء والمحدثين، أهمية وجود دليل، أمر له دلالته؛ فقولنا:

هل فهم محمد الدرس ؟ نعم

يدرك المتلقى أن هناك حذفاً فى جملة الجواب، ويدرك تماماً– لوجود الدليل السابق– أن الجملة الثانية: نعم فهم محمد الدرس. ومن ثم إذا عُدَّت هذه العناصر المحذوفة كأنها مذكورة، فإنه يُطبق عليها مثل الذى يطبق على النص الكامل العناصر. وبناء عليه يلاحظ أن التماسك فى تراكيب الحذف يقوم على محورين أساسيين:

الأول: التكرار. خاصة بعد ما علمنا اشتراط علمائنا كون المحذوف من لفظ المذكور كلما أمكن، وإلا كان من متعلقاً به أو مرادفاً له.

الثانى: المرجعية؛ وقد سبق بيانها؛ إذ إنها قد تكون سابقة أو لاحقة، وفى الحالتين تسهم فى تحقيق التماسك النصى.

ولا شك أن التكرار والمرجعية يمثلان وسيلتين من وسائل تحقيق التماسك النصى.

فهناك إذن بيانات أو معلومات ترشدنا إلى معرفة العناصر المحذوفة، وتلك هى المهمة، ثم يُبحث فيما بعد عن أثر هذه العناصر فى تحقيق التماسك النصى، وذلك بملاحظة نوع التكرار، وأيضاً نوع المرجعية المحققة تبعاً للحذف.

وتتلخص الخطوات المتبعة فى تحليل النص من ناحية الحذف فى:

١– ذكر النماذج التى يُراد تحليلها.

٢– تحديد وظائف عناصر الجملة.

٣– البحث عن المعلومات التى تهدينا إلى المحذوف. مثل السياق المقامى، والسياق اللفظى المتمثل فى وجود دليل على المحذوف سابق أو لاحق؛ فأينما يوجد الحذف يوجد الدليل عليه.

٤- صلة هذا الحذف بالتماسك النصى، وذلك عبر محورين:

أ - التكرار، باللفظ نفسه، وبالمعنى فقط، أو كليهما معاً.

ب- المرجعية، سابقة أو لاحقة.

وقد أدرك السيوطى أن الحذف يحقق التماسك بين عناصر النص، وقد أطلق عليه مصطلح "الاحتباك"، "وهو أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره فى الثانى، ومن الثانى ما أثبت نظيره فى الأول ... وقال الزركشى: هى أن يجتمع فى الكلام متقابلان، فيحذف من كل واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه ... [ثم يقول السيوطى]: ومأخذ هذه التسمية من الحبك، الذى معناه الشد والإحكام وتحسين أثر الصنعة فى الثوب،فحبك الثوب سدّ ما بين خيوطه من الفُرَج وشدّه وإحكامه، بحيث يمنع عنه الخلل مع الحسن والرونق. وبيان أخذه منه من أن مواضع الحذف من الكلام شُبهت بالفُرَج بين الخيوط، فلما أدركها الناقد البصير بصوْغة الماهر فى نظمه وحوكه، فوضع المحذوف مواضعه كان حابكاً له مانعاً من خلل يطرقه، فسد بتقديره ما يحصل به الخلل ... "(١).

ولا يخفى فى هذا كله ما يقوم به المتلقى؛ فملاحظة ضمائر الخطاب فى القرآن الكريم، نجدها كثيرة جداً؛ فخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم، وللرسل جميعاً، ولكل رسول على حدة، وللمؤمنين، وللكافرين، وللمنافقين، وللناس جميعاً، وهؤلاء جميعاً وُجّه إليهم النص. ومن ثم فالنص أُنزل لقارئ أو إلى متلق. ومن ثم فهو الذى يُراد بهذا النص، وعليه الفهم، ومن ثم معرفة خصائص هذا النص، ومن بينها الحذف لبعض العناصر.

وبعد هذا العرض النظرى الموجز لما يتعلق بظاهرة الحذف من قضايا، كلها تحاول إبراز أهميتها فى تحقيق التماسك النصى، نحاول الآن التعرض لبعض النصوص القرآنية لتحليلها تحليلاً معاصراً فى ضوء علم اللغة النصى.

---

(١) السيوطى: الإتقان، ٣/ ١٨٢ – ١٨٣ .

المبحث السادس

التحليل النصى لنماذج من السور المكية



من الدراسة النظرية السابقة، يتبين لنا أن التحليل النصى للنماذج التالية لبيان وظيفة الحذف فى هذا التحليل، سوف يُركز على عدة جوانب هى:

١- تقدير المحذوف.

٢- الصلة بين المحذوف والدليل عليه أو المذكور. أى البحث عن الدليل.

٣- صلة هذا الحذف بكل من المرجعية والتكرار، ومن بعد بيان نوع هذه المرجعية.

وفى هذا كله لا تخفى مهمة المتلقى؛ إذ إنه الذى يستطيع تحقيق هذه الجوانب من خلال تفكيكه للنص القرآنى؛ فقد سبق بيان أن المتلقى يمثل أهم جوانب نظرية التفكيك.

وتجدر الإشارة، فى هذا السياق، إلىَ أن الحذف، ليست أنماطه كلها تسهم مباشرة فى تحقيق تماسك النص؛ إذ منها ما يكون بعيداً عن هذه الوظيفة، مثل قوله تعالى:

﴿وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الأنعام/٣٢ .

فالتقدير: يتقون الله، لدلالة السياق، لكن ليس هنا ما يحال إليه المحذوف، وليس هنا نمط التكرار، وعليه يصعب القول بإمكانية تحقق التماسك. ولهذا ركز الباحث، فى جدول الحذف، على ذكر المواضع التى تسهم فى تحقيق التماسك النصى، صلب هذا البحث. وكذلك لن تضع الأنماط التى فى السور كلها تحت مجهر التحليل النصى؛ لأن فى هذا تكراراً لا طائل من ورائه، ولكنّا سوف نركز على نماذج ، يمكن أن يحذو المحلل حذوها إن أراد تحليل غيرها. وأول النماذج فى سورة "الأنعام".

" سورة الأنعـــــام "

تذخر هذه السورة بحشد كبير من المواضع التى تمثل ظاهرة الحذف، حذف الاسم والفعل والعبارة والجملة والعديد من الجمل. وذلك كما أثبتنا وجود حشد كبير من وسائل التماسك النصى التى سبق تفصيلها فى الفصول السابقة كلها.

والحذف لم تقتصر مهمته على تحقيق التماسك بين عناصر الجملة الواحدة، أو الآية الواحدة، بل تحقق التماسك بين أكثر من جملة، وكذلك بين أكثر من آية، غير أن الحالة الأولى أكثر انتشاراً من الثانية.

ولنبدأ بتحليل الآيات التى بها حذف للاسم؛ إذ يقول تعالى:

﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾/٦٣

﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ(٨١) الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ(٨٢)﴾.

﴿أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾/٩٣

﴿بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾/٩٣

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾/٩٤

﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾/١٠٤

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾/١٠٧

﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾/١١١

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾/١١٢

﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾/١١٨

﴿وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾/١١٩

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾/١٢٠ .

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾/١٣٣. ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾/١٥٢ .

الآية	الدليل	المحذوف	سابق	لاحق	المرجعية	نوع التماسك
٦٣	ظلمات	(ظلمات) البحر	سابق	–	داخلية	بين عناصر جملة واحدة
٨١، ٨٢	الفريقين	فريق، أي: فريق الذين	سابق	–	داخلية	بين آيتين ٨١، ٨٢
٩٣	شئ	شئ	–	لاحق	داخلية	بين عناصر آية واحدة
٩٣	تقولون	(قولا) غير الحق	سابق	–	داخلية	بين عناصر آية واحدة
٩٤	فرادى	كما خلقناكم [فرادى]	سابق	–	داخلية	بين عناصر آية واحدة
٠١٤	أبصر	[فإبصاره] لنفسه	سابق	–	داخلية	بين عناصر آية واحدة
١٠٧	ما اشركوا	ولو شاء الله [عدم شركهم]	–	لاحق	داخلية	بين عناصر آية واحدة
١١١	ليؤمنوا	إلا أن يشاء الله [إيمانهم]	سابق	–	داخلية	بين عناصر آية واحدة
١١٢	ما فعلوه	ولو شاء ربك [عدم فعله]	–	لاحق	داخلية	بين عناصر آية واحدة
١١٨	فكلوا	فكلوا [أكلاً]	سابق	–	داخلية	بين عناصر آية واحدة
١١٩	تأكلوا	ألا تأكلوا [أكلاً]	سابق	–	داخلية	بين عناصر آية واحدة
١٢٠	يكسبون الإثم	سيجزون [العذاب]	سابق	–	خارجية	بين الآيتين ١٢٠، ٩٣، وكذلك الآية ٢٠ من سورة الأحقاف
١٣٣	يذهبكم	إن يشأ [إذهابكم]	–	لاحق	داخلية	بين عناصر جملة واحدة
١٥٢	قلتم	إذا قلتم [قولاً]	سابق	–	داخلية	بين عناصر جملة واحدة

فالدليل فى هذه النماذج مقالى؛ إذ يعتمد على اللفظ المذكور فى الآيات ولهذا السبب تحقق التماسك على مستوى النص؛ إذ لو كان الدليل مقامياً، فلن يوجد بالنص كلام مذكور يتحقق التماسك بينه وبين الكلام المحذوف. ولهذا يرى الباحث أن الدليل المقالى هو الذى يسهم فى تحقيق التماسك؛ التماسك الشكلى والدلالى بين عناصر النص.

ونظراً لأن المضاف والمضاف إليه يُعدان من قبيل الاسم الواحد، فقد اندرجا تحت حذف الاسم الذى يسهم فى تحقيق التماسك.

ويلاحظ كذلك أن المحذوف، فى هذه النماذج، من لفظ المذكور،وهذا أشد تأكيداً لوظيفة الحذف فى تحقيق التماسك.

ولا يشترط فى الدليل أن يكون سابقاً؛ لأنه ورد فى هذه النماذج سابقاً ولاحقاً، وعليه تحددت المرجعية؛ فكانت أحياناً سابقة، وأخرى لاحقة. وفى حالة ذكر الدليل داخل الآية، سواء أكان سابقاً أم لاحقاً، فإن المرجعية تكون داخلية. وهذا يحقق التماسك بين عناصر النص الواحد. ولاشك أن المرجعية تحققت نظراً لوجود التكرار بين كل من المذكور والمحذوف، ذلك التكرار لفظاً ومعنى. وسبق إثبات أن التكرار من وسائل تحقيق التماسك النصى.

ويُلاحظ كذلك أن الدليل لم يقتصر على حدود الآية الواحدة، بل كان بين آيتين متجاورتين، كما فى "٨١، ٨٢"، أو بين آيتين غير متجاورتين، كما بين "١٢٠،٩٣"، أو بين آيتين كل منهما فى سور منفصلة عن السورة الأخرى، كما بين "١٢٠" من الأنعام، و"٢٠" من سورة الأحقاف؛ فالدليل على المحذوف الذى فى الآية "١٢٠"، وُجد فى الآية "٩٣" من السورة نفسها، وأيضاً فى الآية "٢٠" من سورة الأحقاف.

أما الآيات التى بها حذف فعل، فهى كالتالى؛ يقول تعالى:

- ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾/١



- ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾/١
- ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾/٣
- ﴿فَإِن اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ﴾/٣٥
- ﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ﴾/٦٤
- ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ﴾/٨٤
- ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾/٩٦
- ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ /١٢٠.
- ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ١٤٥

ويمكن توضيح التحليل النص لهذه النماذج فى الجدول التالى:

الآية	المحذوف	الدليل	سابق	لاحق	المرجعية	نوع التماسك
١	و (خلق) الأرض	خلق	سابق	-	داخلية سابقة	بين عناصر الآية الواحدة
١	و(جعل) النور	جعل	سابق	-	داخلية سابقة	بين عناصر الآية الواحدة
٣	و(يعلم) جهركم	يعلم- يعلم	سابق	لاحق	داخلية مشتركة	بين عناصر الآية الواحدة
٣٥	فتأتيهم بآية (فافعل)	الشرط السابق	سابق	-	داخلية سابقة	بين عناصر الآية الواحدة
٦٤	و(ينجيكم) من كل كرب	ينجيكم	سابق	-	داخلية سابقة	بين عناصر الآية الواحدة
٨٤	و(هدينا) من ذريته	هدينا السابقة	سابق	-	داخلية سابقة	بين عناصر الآية الواحدة
٩٦	و(جعل) الشمس والقمر	جعل	سابق	-	داخلية سابقة	بين عناصر الآية الواحدة
١٢٠	و(ذروا) باطنة	ذروا	سابق	-	داخلية سابقة	بين عناصر الآية الواحدة
١٤٥	ولا عاد (فأكل)	طاعم يطعمه	سابق	-	داخلية سابقة	بين عناصر الآية الواحدة

ويلاحظ، بداية، أن الحذف لم يكن للفعل وحده؛ إذ حذف الفعل فى الغالب يلحقه حذف الفاعل، ومن ثم يمكن أن تشترك هذه النماذج، مع النماذج التى سوف نعرضها للتمثيل بها لحذف الجملة. غير أن الذى يميز هذه النماذج، من الناحية الشكلية، حذف عنصر الفعل، مثل خلق، جعل، يعلم، افعل، أكل. بينما حذف الجملة قد يكون جملة كاملة العناصر، فعلية واسمية أيضاً كما سنرى.

والدليل فى هذه النماذج مقالى، وهو من لفظ المذكور؛ أى المحذوف من لفظ المذكور ومعناه فى الآيات ١، ٣، ٦٤، ٨٤، ٩٦، ١٢٠. ومن معناه أو مرادفه، فى الآية ١٤٥، وكذلك الاعتماد على المعنى العام والتركيب النحوى كما فى الآية ٣٥.

ولا شك أن المتلقى هنا على وعى تام بهذا التقدير للمحذوف، ونقصد بالمتلقى، ذلك الذى تتوفر فيه الشروط السابق ذكرها، حتى يتمكن من فك شفرة النص، والربط بين عناصره المذكورة والمحذوفة.

وقد تنوعت المرجعية، تبعاً لتنوع الدليل وموضعه، غير أن هناك نموذجاً آثر الباحث تسمية مرجعيته "مشتركة"؛ لأن هناك دليلاً سابقاً وآخر لاحقاً، وكلاهما يصلح لأن يحال إليه. وأيضاً المرجعية كلها داخلية، وكلها للربط بين عناصر الآية الواحدة.

أما نماذج حذف جملة أو أكثر، فمنها قوله تعالى:

﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ﴾/١٢

أى: قل ما فى السموات والأرض لله، وقد سبق عرض نماذج لهاليدى ورقية حسن تتشابه مع هذا النموذج. فالمحذوف ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾، وذلك لوجود دليل بالتركيب نفسه فى الجملة السابقة؛ جملة الاستفهام. والمرجعية هنا داخلية سابقة. ويظهر تكرار العناصر نفسها لفظاً ومعنى. وكذا قوله تعالى:

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ(١٥) مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ﴾/١٦

أى: من يُصرف عنه العذاب يوم إذ عذابه عظيم أو عذابه عذاب يوم عظيم، فالتنوين تنوين عوض عن الجملة المحذوفة، وهو دليل صوتى على المحذوف، وكذلك هناك دليل سابق مذكور فى الآية (١٥)، والمحذوف من لفظ المذكور، ومن ثم حدث التماسك بين الآيتين عبر المرجعية والتكرار والحذف، والمرجعية هنا داخلية كذلك.

وأيضاً قوله تعالى:

- ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لاَ أَشْهَدُ﴾/١٩

أى: قل لا أشهد أن مع الله آلهة أخرى، فهذا الحذف لوجود دليل سابق، وعليه فالمرجعية سابقة، والدليل داخل النص، وهو مقالى، وعليه فالمرجعية داخلية، والمحذوف من لفظ المذكور نفسه، وعليه يبرز التكرار القائم بين المحذوف والمذكور. وقوله تعالى ﴿قُلْ لاَ أَشْهَدُ﴾ فقط تترك للمتلقى مهمة تكملة الجملة بناء على ما ورد فى الجملة السابقة.

ومثله قوله تعالى:

- ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾/٣٢

أى: أفلا تعقلون أن الحياة الدنيا ما هى إلا لعب ولهو وأن الدار الآخرة خير للذين يتقون. بل يجوز تقدير المواقف التى سبق ذكرها فى الآيات السابقة كلها وتتطلب إعمال العقل، وفى هذا حذف لأكثر من جملة، وفيها ربط بين هذه الآية وما سبقها من آيات من خلال الحذف وهذه الآيات السابقة تمثل الدليل المقالى الداخلى على المحذوف، وعليه فالمرجعية سابقة داخلية. ولاشك أن مهمة المتلقى فى إدراك تلك الصلة بين المحذوفات هذه، والمذكور سابقاً، تعتمد على كفاءته التى تعتمد على شكل النص ودلالته وغيرهما من الشروط.

وقد يكون الدليل سابقاً ولاحقاً فى الوقت نفسه، كما فى قوله تعالى:

﴿قُلْ لاَ أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾/٥٠.

أى: ولا أقول لكم إنى أعلم الغيب، فحذف الجملة تبعاً للدليل القولى المتمثل فى الجملة نفسها، لفظاً ومعنى، وذلك فى الجملة السابقة والجملة التالية، ومن ثم فالمرجعية داخلية مشتركة؛ فقد تكون سابقة أو لاحقة.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾/٦٥ أى: أو يبعث عليكم عذاباً من تحت أرجلكم، لدلالة الأول عليه، والمرجعية هنا داخلية سابقة يظهر فيها التكرار لفظاً ومعنى.

﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى ... قُلِ اللَّهُ﴾/٩١

أى: قل الله الذى أنزل الكتاب الذى جاء به موسى. وقد سبق شرح نموذج مماثل لهذا النموذج[1].

ومن هذا تتأكد أهمية حذف الاسم والفعل والعبارة والجملة وأكثر، فى تحقيق التماسك النصى لهذه السورة، وذلك لينضم الحذف مع غيره من وسائل التماسك النصى فى السورة، والتى سبق شرحها، ولا يقل أهمية عنها.

سورة " الكـــهف "

وطبيعة هذه السورة أنها تشتمل على أكثر من قصة، كما سبق التفصيل، والقصص له طابع خاص فى الحذف؛ فطبيعة القصة تقتضى – فى لغة القرآن المعجز – عدم التفصيل الشديد؛ إذ إنها تركز على الخطوط العريضة للقصة، ثم تترك الأمور الثانوية التى يمكن للمتلقى أن يدركها خلال سياق القصة وتعاقب أحداثها. وهذا يبرز التفاعل المستمر بين النص

(١) نماذج أخرى فى السورة، منها: ١٠، ٣٥، ٤٧، ٥٠، ٦٤، ٧٠، ٧٨، ٨٣، ٩٩، ١٠٨، ... إلخ.



والمتلقى، وذلك ما أكده علماء النصية. مما يؤدى - فيما نرى إلى إنتاج نمط آخر من التماسك؛ وهو التماسك بين النص والمتلقى، بل بين المنتج والنص والمتلقى.

والنص ذو دلالة مفتوحة، وغير ثابتة؛ بمعنى أنها تتطور بتطور كفاءة المتلقى الذى يقوم بتفكيك النص، وعليه يختلف تقدير المحذوف؛ فقد يقدره شخص كلمة، ويقدره آخر جملة ويقدره ثالث عدة جمل. وهذا تابع لأفق المتلقى، كما سبق، ونحاول تحليل نماذج من هذه السورة، فمن نماذج حذف الاسم قوله تعالى:

- ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾/٥
- ﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾/١٤
- ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾/٢١
- ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾/٢٥
- ﴿الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا﴾/٤٩

الآية	المحذوف	الدليل	سابق	لاحق	المرجعية	نوع التماسك
٥	(مقالتهم) كلمة	كلمة	-	لاحق	داخلية لاحقة	بين عناصر الآية الواحدة
٥	(قولاً) كذباً	يقولون	سابق	-	داخلية سابقة	بين عناصر الآية الواحدة
١٤	(قولاً) شططاً	قلنا	سابق	-	داخلية سابقة	بين عناصر الآية الواحدة
٢١	(عثوراً) كذلك	أعثرنا	-	لاحق	داخلية لاحقة	بين عناصر الآية الواحدة
٢٥	تسع (سنين)	سنين	سابق	-	داخلية سابقة	بين عناصر الآية الواحدة
٤٩	(حسنة أو سيئة) صغيرة	السياق	-	-	خارجية	بين عناصر الآية الواحدة

ويُلاحظ التماسك فى النماذج ٥، ١٤، ٢١، ٢٥، لأن الدليل مذكور لفظاً داخل الآيات، فالكلمة هى عنصر القول، قولاً. يقولون، قولاً - قلنا، وكثير فى القرآن حذف مقول القول، وعثوراً - أعثرنا، سنين - سنين. بينما النموذج (٤٩) لا يظهر فيه التماسك بين عناصر هذه الآية.

وهناك نموذج آخر لحذف الاسم، والدليل عليه يوجد فى سورة أخرى؛ قال تعالى:

﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾/٤٨.

وفى الأنعام:

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾/٩٤ .

فالفراغ الذى فى آية الكهف يُسَدُّ من خلال الدليل الذى فى آية الأنعام، ليصبح التقدير: لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم فرادى أول مرة. والدليل هنا خارجى مقالى، ومن ثم فالمرجعية خارجية. وهذا يحقق التماسك بين الآيات التى فى سور مختلفة، وعليه يؤكد التماسك بين سور القرآن أيضاً. وهذا ما سنفصله بعد قليل.

أما نماذج حذف الفعل، فمنها قوله تعالى:

- ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾/١٨
- ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾/١٠٠
- ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾/١٠٠

الآية	المحذوف	الدليل	سابق	لاحق	المرجعية	نوع التماسك
١٨	(ونقلبهم) ذات الشمال	نقبلهم	سابق	-	داخلية سابقة	بين عناصر الآية الواحدة
١٠٠	يوم إذ (حدث هذا)	السياق السابق	سابق	-	داخلية سابقة	بين أكثر من آية
١٠٠	يوم إذ (نفخ فى الصور)	ونفخ فى الصور وجمعناهم جمعا	سابق	-	داخلية سابقة	بين أكثر من آية

يمكن أن نعد النموذج الأول من الآية ١٠٠ نمطاً لحذف أكثر من جملة وتنوين العوض يبين هذا؛ فبعد أن فرغ من بناء السد، وجاء وعد الله، وجعله دكًّا، ترك بعضهم يموج فى بعض، وهذه كلها جمل محذوفة دل عليها السياق اللغوى للآيات السابقة. وفى هذا تحقيق للتماسك بين أكثر من آية. وكذلك فى النموذج الثانى ربط بين آيتين من خلال الحذف. والمرجعية فيها كلها داخلية سابقة.

ومن نماذج حذف الجملة أو أكثر قوله تعالى:

﴿فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا(١٠) فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ (١١)

أى: فاستجبنا دعاءهم فضربنا، وهذا الحذف يمثل ربطاً دلالياً بين آية الدعاء وآية الإجابة، ودل على المحذوف، السياقُ اللغوى؛ ومن ثم فمرجعية هذا المحذوف داخلية سابقة.

ونموذج آخر يمثل المرجعية الخارجية للمحذوف؛ إذ إن الدليل يوجد خارج السورة؛ فى سورة أخرى، وذلك فى قوله تعالى من الكهف:

﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾/٣٧

و: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ(١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ(١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (١٤) المؤمنون.

فآيات سورة "المؤمنون" توضح الجمل المحذوفة فى آية الكهف، ومن ثم يسهم الحذف فى تحقيق التماسك بين آيات السور المختلفة. وللمتلقى دوره فى ملاحظة هذا التكامل بين آيات السورتين.

وكما سبق القول إن القصص يتميز بحذف عناصر كثيرة؛ فيقول تعالى فى الآية "٢٠"

﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ وفى الآية "٢١" .

﴿ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ...﴾ الآية

فبين هاتين المرحلتين محذوفات تقديرها: فذهب أحد أهل الكهف، ليحضر لهم طعاماً، فشعر به الناس، ثم اتبعوه إلى الكهف، ثم عثروا على أصحابه، وكذلك أعثرنا عليهم. لكن هذه الجمل المحذوفة يمكن للمتلقى إدراكها من خلال تعاقب الأحداث فى سياق القصة. وهذا فى ضوء التحليل النصى يبرز الأثر القوى للمتلقى فى تقدير المحذوف، ومن ثم العثور على المعنى الكلى للنص بتفاصيله كلها؛ المذكورة والمحذوفة. وهذا كثير فى القصص الكريم فى كتاب الله تعالى. وقد حدث هذا فى القصة نفسها فى الآية "١٦".

﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ ...﴾ الآية

أى: فذهبوا إلى الكهف، وضرب الله على آذانهم، فغشيهم النوم، فلبثوا فيه ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً، ثم بعثهم الله ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ﴾ ١٩

ونموذج آخر فى قوله تعالى:

﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلاَ تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾/ ٧٠

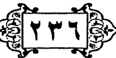
ثم يقول مباشرة:

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ ... الآية﴾/٧١

أى: فقبل موسى عليه السلام هذا الشرط، ثم اتبع الرجل الصالح، فانطلقا ... فلا شك أن السياق له أهمية فى ملىء هذه الفراغات، وهذا السياق من بين أنماط الكفاءة التى يجب ان تتوافر لدى المتلقى للنص.

وكذلك قوله تعالى:

﴿حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾ /٧١



أى: فعلم أن هناك ملكاً جباراً يأخذ كل سفينة غصباً، فخرقها، فلم تستطع السير فى البحر، فتركها أهلها، ونجوا من هذا الملك. وهذه كلها أمور أو أحداث ثانوية بالنسبة للحدث الرئيسى، وهو إحداث الخرق فى السفينة. وهذه المكملات المحذوفة، من وظيفة المتلقى معرفتها حتى تكتمل صورة النص الدلالية فى ذهنه.

ولم يقف هذا الحذف عند القصص، بل فى أحداث مرتبطة بأمر ما، مثل الذى حدث فى مراحل خلق الإنسان، وكذلك هنا فى مراحل نمو النبات إذ يقول تعالى:

﴿فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾/٤٥

أى: فاخضر، ونما، وأثمر، ونضج ثمره، ثم يبس، فأصبح هشيماً تذوره الرياح. وهذه المراحل تعتمد على ملاحظة المتلقى لهذه المراحل على أرض الواقع.

إذن أسهم الحذف بأنواعه فى تحقيق تماسك هذه السورة، وبيان مهمة المتلقى فى ملئ الفراغات المسبَّبَة عن الحذف، ومن ثم فك شفرة النص، والعثور على المعنى الكامل له.

سورة " القصـــــص "

وكما سبق بيان أن هذه السورة تحمل فى طياتها قصتين، ومن ثم فمنهجية الحذف فيها تتماثل مع ما حدث فى سورة الكهف. ومن نماذج الحذف فيها قوله تعالى:

﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾/١٣

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾/٤٤

﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾/٦٠.

﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ﴾/٦٦

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾/٦٨

ويمكن تمثيل بعض الجوانب المتصلة بالحذف فى هذه النماذج فى الجدول التالى:

الآية	المحذوف	الدليل	سابق	لاحق	المرجعية	نوع التماسك
١٣	لا يعلمون [هذا الوعد] أو لا يعلمون [أن وعد الله حق]	وعد الله حق	سابق	–	داخلية سابقة	بين عناصر الآية الواحدة
٤٤	وما كنت من الشاهدين [لهذه الأحداث]	الأحداث السابقة	سابق	–	داخلية سابقة	بين أكثر من آية (١).
٦٠	أفلا تعقلون [هذا كله]	الأحداث السابقة	سابق	–	داخلية سابقة	بين أكثر من آية
٦٦	يوم إذ [نودوا من الله]	ويوم يناديهم	سابق	–	داخلية سابقة	بين عناصر الآية الواحدة
٦٨	ويختار [ما يشاء]	يخلق ما يشاء	سابق	–	داخلية سابقة	بين عناصر الآية الواحدة

فالحذف، خاصة فىالآيتين ٤٤، ٦٠، يترك للمتلقى، لذهنه، أن يتفاعل مع النص، لتقدير هذه المحذوفات، التى تمثل أكثر من جملة، وهو يعتمد فى ذلك على السياق اللغوى للآيات، وعلى الدلالة المتحققة تبعاً لتقدير المحذوف.

(١) فهناك أحداث كثيرة، بل الأحداث كلها لموسى عليه السلام، لم يشهدها رسول الله، وعبَّرت عنها الآيات السابقة. وكذلك فى الآية "٦٠ " هناك أمور كثيرة ذكرت فى الآيات السابقة تحتاج إلى إعمال العقل. ومن ثم فإن الحذف يمثل مرجعية إلى هذه السوابق كلها.

وهناك شبه ظاهرة فى النص القرآنى، تتمثل فى فواصل آياته؛ فأغلبها فواصل محذوف بعدها عناصر كثيرة، وذلك ليترك للمتلقى الفرصة لتقدير هذه المحذوفات، وهذا التقدير يجعله يتعامل مع دلالة النص، وعليه يتحقق فهمه وفك شفرته، وهذا هو الهدف من النص؛ الفهم ثم العمل.

ومرجعية الحذف واضح أنها داخلية سابقة، والمرجعية تحققت بسبب من التكرار للألفاظ نفسها. وإن لم يكن تكراراً باللفظ نفسه، فإنه بما يشير إلى اللفظ علىعمومه مثل "هذا كله"، إذ إن الإشارة إلى العديد من الأمور، ويمكن استبدال "هذا كله" بعدد من الجمل، دلَّ عليها ما سبق ذكره.

ومن هذه النماذج كذلك قوله تعالى:

- ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلاَ تَخَافِي وَلاَ تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ(٧) فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ(٨) ﴾.

أى: فأرضعته، وخافت عليه، فألقته فى اليم، غير خائفة ولا حزينة، متأكدة من وعد الله، فرأى جنود فرعون الصندوق الذى فيه موسى. وهو على سطح الماء، فالتقطوه. فهذه أحداث ثانوية حذفت، ويدركها المتلقى من خلال إدراكه لسياق القصة، ولا شك أن الخطوط العريضة أو الأساسية لأحداث القصة تمثل، هى الأخرى، دليلاً على المحذوف من أحداث ثانوية فالمحذوف هنا يحقق التماسك، لا بين السابق واللاحق فحسب، بل بينهما وبينه أيضاً؛ فإدراك هذه المحذوفات يمثل رابطاً دلالياً بين الآيتين "٧، ٨"؛ إذ بهذا التقدير يستمر التواصل الدلالى بين عناصر النص.

ومن هذه النماذج قوله تعالى:

﴿لاَ تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾/٩

أى: لا يشعرون بما سوف يحدث لهم من موسى فى المستقبل. وهذا الذى سيحدث توضحه آيات أخرى، اتضحت فيها مراحل الدعوة التى قام بها

موسى مع فرعون وقومه، وذلك الصراع الذى حدث بينهما. وهذه الأحداث ذُكرت فى الآيات التالية، وعليه فالمرجعية داخلية تالية أو لاحقة. وهذا النمط من الحذف يُحقق التماسك بين هذه الآية وبقية الآيات فى القصة.

ويقول تعالى:

﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ(١٢)
فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ﴾ (١٣)

أى: فقالوا بلى، فدلَّتهم على هذا البيت، فبعثوا به إليها، فرددناه إلى أمه. فطبيعة الأحداث تتطلب هذا التقدير، وعليه فالحذف يعتمد على السياق القصصى، وهو من المهام التى تناط إلى المتلقى. وهذا الحذف أحدث التماسك على جانبين، الأول بين الآيتين ١٢، ١٣، والثانى بين هاتين الآيتين وبين المحذوف نفسه.

ومن هذا الحذف المتعلق بالقصة، قوله تعالى:

﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾/ ٤٠

فهناك أحداث عديدة حُذفت، تقديرها: فسار موسى وقومه وهم خائفون من فرعون وجنوده، فأمره الله بضرب البحر بالعصا، فكان كل فريق كالطود العظيم، وعبر موسى وقومه آمنين، ثم اتبعه فرعون وجنوده، فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم.

فالقرآن الكريم يميل كثيراً إلى لغة الإيجاز، وفى تلك اللغة يُترك لذهن المتلقى العنان لتقدير المحذوف، لفك رموز النص، ذلك المتلقى الذى يخضع لشروط معينة. ومن ثم يظهر التفاعل بين النص والمتلقى؛ إذ يلقى النص بمعطيات للمتلقى، ليقوم بتفكيكها، ومنحها أبعاداً جديدة وملئ الفراغات التى بها. ولهذا لم يكن غريباً كثرة أساليب الخطاب فى القرآن، وتنوع المخاطبين.

وجدير بالذكر أن الفراغات التى فى هذا النموذج تُملأ من السور الأخرى التى ذكرت هذه التفاصيل مثل سورة الشعراء من ٦٠: ٦٦. ومن ثم

يسهم الحذف هنا فى تحقيق التماسك بين أكثر من سورة. والمرجعية هنا خارجية. والمحذوف من لفظ المذكور، فيقترب من التكرار بينهما؛ المذكور والمحذوف ومن نماذج الحذف أيضاً قوله تعالى:

﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾/٧٤

أى: تزعمون أنهم شركاء لى. والدليل ما ذكر: [أين شركائى]، وهو سابق، وداخل النص، ومن ثم فالمرجعية سابقة داخلية.

ومن نماذج حذف أكثر من جملة قوله تعالى:

﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ ...﴾ الآية /٢٥

أى: فقبل الدعوة، وسار معها، فلما وصل إليه أو فلما جاءه وقصَّ عليه القصص قال لا تخف، وهى جمل ثانوية تعتمد فى ذكرها على السياق، وعلى مراعاة الجمل الأساسية، وترتيب الأحداث وتعاقبها.

ومن هذه النماذج يتضح أن الحذف يسهم فى تحقيق التماسك النصى، ليس بين عناصر الجملة الواحدة أو الآية الواحدة، بل أكثر من آية، وأيضاً بين اكثر من سورة. ويتضح أيضاً أن مهمة المتلقى تظهر فى معالجة ظاهرة الحذف نصيًّاً أكثر من ظهورها فى معالجة الوسائل الأخرى كما سبق.

ومن الملاحظ أن النماذج السابق تحليلها، لا تخرج النماذج الأخرى فى غيرها من السور فى منهجية التحليل. ويلاحظ كذلك أن السور التى تم مناقشة وظيفة الوسائل السابقة فى تحقيق تماسكها، خاصة السور التى تبدأ من "الملك"، نماذج الحذف فيها قليلة؛ فكلما قلَّ عدد آيات السورة، قلَّ الحذف فيها.

وبناء على هاتين الملاحظتين، سوف نحلل نماذج من سور مختلفة حسب ما يتفق مع هدف هذا الفصل، وهو كيفية قيام الحذف بمهمته فى

تحقيق التماسك النصى. ونكتفى من هذه النماذج بذكر التقدير والدليل على المحذوف ونوع المرجعية.

فعلى مستوى الاسم أو الفعل أو العبارة يقول تعالى:

﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ﴾/ ٤٢، سورة الملك

أى: فلا يستطيعون السجود. والدليل ذكر لفظ السجود سابقاً فى الآية نفسها. والمرجعية هنا داخلية سابقة.

وقوله تعالى:

﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ﴾/٣١ المدثر

أى: ضلالاً مثل ذلك، والدليل ذكر الفعل يضل. والمرجعية داخلية سابقة.

وقوله تعالى:

﴿كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾/١٨. و ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ /٤٤. المرسلات

أى: فعلاً مثل ذلك، جزاء مثل ذلك. والدليل ذكر "نفعل" ونجزى" والمرجعية فيهما داخلية سابقة. وقوله تعالى فى النازعات:

﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى(١٦) اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى(١٧)﴾

أى: قائلاً له. والدليل ذكر "ناداه"، والسياق اللغوى. والمرجعية بالترادف داخلية سابقة. وحققت التماسك بين الآيتين ١٦، ١٧ .

وقوله تعالى:

﴿إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ(٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾/٣ المطففين

أى: يستوفون الكيل، يخسرون الكيل أو الميزان. والدليل ذكر "اكتالوا، وكالوهم، وزنوهم" والمرجعية إذن داخلية سابقة.

وقوله تعالى:

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾/ ٢ الكوثر

أى: وانحر لربك. والدليل ذكر "لربك". والمرجعية داخلية سابقة.

وهذا النمط من الحذف يبدو فيه أن المحذوف من لفظ المذكور، ولذا فالتكرار تظهر مهمته هنا أيضاً فالحذف إذاً يتداخل مع المرجعية والتكرار من حيث الشكل والوظيفة.

أما نمط الحذف لجملة أو أكثر، فمنه قوله تعالى:

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ(١٣) وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً(١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ(١٥)﴾ الحاقة

أى: فيوم إذ نُفخ فى الصور، وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة، وقعت الواقعة. والدليل ما ذُكر فى الآيتين ١٣، ١٤، مع وجود تنوين العوض للدلالة اللغوية على المحذوف. والمحذوف من لفظ المذكور. والمرجعية واضح أنها داخلية سابقة. والتماسك هنا بين أكثر من آية. ومثله قوله تعالى:

﴿وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾/١٦ الواقعة.

و: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾/٧ الحاقة.

و: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لاَ تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾/٢٨ الحاقة

و: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ(٨) فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ(٩)﴾ المدثر.

و: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ(٧) وَخَسَفَ الْقَمَرُ(٨) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ(٩) يَقُولُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ(١٠)﴾ القيامة

فقد ربط الحذف فى النموذج الأخير خاصة بين أربع آيات، لا آية واحدة. ومثله كذلك:

﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾/١٢ القيامة

﴿يُنَبَّأُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾/١٣ القيامة.

و: ﴿كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ(٢٠) وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ(٢١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ(٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ(٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ(٢٤)﴾ القيامة

و: ﴿كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ(٢٦) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ(٢٧)وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ(٢٨) وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ(٢٩) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ(٣٠)﴾ القيامة.

فقد ربط الحذف هنا أيضاً بين خمس آيات فى الأول والثانى. ومثله:

﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ(٨) وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ(٩) وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ(١٠) وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ(١١) لأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ(١٢) لِيَوْمِ الْفَصْلِ(١٣) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ(١٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ(١٥)﴾ المرسلات.

ثم تتكرر ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ فى هذه السورة فى الآيات ١٩، ٢٤، ٢٨، ٣٤، ٣٧، ٤٠، ٤٥، ٤٧، ٤٩، (١).

وتقوم "إذاً" بالمهمة نفسها، كما فى قوله تعالى:

﴿يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ(١٠) أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً(١١) قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ(١٢)﴾ النازعات.

وعلى ذلك يسهم التنوين؛ تنوين العوض، مع السياق والدلالة، فى اكتشاف وجود محذوف. وهذا من مدارك المتلقى؛ إذ من شروطه معرفة لغة النص، وقواعدها ، ومنهجها فى التعبير.

---

(١) وردت "يومئذ" فى القرآن الكريم فى سبعين موضعاً والحذف معها دليله قد يكون كلمة أو عبارة أو جملة أو آية أو عدة آيات. وكذلك المحذوف. على سبيل المثال: النازعات ٨، وعبس ٣٧، ٣٨، ٤٠، والانفطار ١٩، والمطففين ١٠، ١٥، الغاشية، ٢، ٨، والفجر ٢٣ فى موضعين، ٢٥، العاديات ١١، والتكاثر ٨ .

ومن الحذف لدليل قوله تعالى:

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنْسَى﴾/ ٦ الأعلى.

أى: فلا تنسى هذه القراءة، والدليل [سنقرئك]،وهو سابق، ومن ثم فالمرجعية سابقة، وهو داخل النص، لذا فالمرجعية داخلية سابقة والمحذوف من لفظ المذكور، فيوجد إذن مظهر تكرارى مرجعى حذفى.

وهكذا نكون قد تعرفنا على مفهوم الحذف وأنواعه عند علماء اللغة القدماء والمحدثين. وعلى الصلة بينه وبين الإبدال والمرجعية، وكيف أنه شديد الصلة بالمرجعية، وأنها قد تكون سابقة أو لاحقة، وقد تكون داخلية أو خارجية. وأنها قد تكون فى السورة نفسها أو فى سورة أخرى، وقد تكون فى الآية نفسها وقد تكون فى آية أخرى.

وثبت كذلك ضرورة وجود دليل على المحذوف، وهذا الدليل قد يكون مقالياً أو مقامياً، والتماسك يتحقق أكثر مع وجود النوع الأول خاصة؛ لأنه بهذا يسهم فى تحقيق التماسك النصى.

وثبت أيضاً أن أبرز وسائل التماسك النصى إظهاراً لمهمة المتلقى، وسيلة الحذف؛ فهى الوسيلة التى تثير ذهنه أكثر من غيرها، وهذه الإثارة للذهن تحقق نمطاً من الحوار بين النص والمتلقى، ومن ثم يحدث التواصل بينهما. وهذا لا ينفى وظيفته فى الوسائل الأخرى، لأنها فى النهاية تمثل عناصر تماسك بين جزئيات النص الذى يتعامل معه المتلقى.

وكيفية حدوث التماسك من خلال الحذف تحقق نتيجة لوجود أمرين أساسيين؛ الأول المرجعية المتحققة، الثانى التكرار الواضح بين المذكور والمحذوف.

والحذف لم يحقق التماسك بين المذكور والمحذوف فحسب، بل بين المذكور السابق للحذف والمذكور اللاحق له.

والتحليل النصى لبعض من السور المكية أثبت أن الحذف لا يقل أهمية عن غيره من الوسائل فى تحقيق التماسك النصى؛ لأن المحذوف يعامل - من ناحية الدلالة على الأقل - معاملة المذكور.

ومن جوانب التحليل النصى التى ذكرها القدماء؛ الاهتمام بالمتلقى؛ المخاطب، والمتكلم، والسياق، وأهمية وجود دليل على المحذوف، ووضع قواعد تحدد المحذوف. وهذه كلها أمور أكدها علم اللغة النصى وتناولتها الدراسة بالتفصيل.

الخاتمة

وهكذا يتبين من عرض هذه الشبكة من العلاقات النصية داخل النصوص أن التحليل النصى المعاصر يعتمد بصفة أساسية على هذه العلاقات، وعلى غيرها من العلاقات، لكن ليست بالدرجة نفسها من الأهمية، ومن ثم كان تركيز الدراسة على هذه الصلات أساساً، وعلى ذكر دور غيرها كلما لزم الأمر في طيات الكتاب. وإذا كانت هذه العلاقات تمثل التماسك النصى، فإنها أيضاً تمثل وسائل التحليل النصى المعاصر كما أكده علم اللغة النصى.

وأيضاً هذا العرض النظرى التحليلى التطبيقى لمفاهيم علم اللغة النصى، وطبيعته وأهميته، وأهم أنماط التحليل النصى، وبعض مواقف القدماء المتصلة بقضايا قد تتصل من قريب أو من بعيد بهذا العلم، وبعد العرض لكيفية تحليل النصوص تحليلاً معاصراً تبعاً لمبادئ علم اللغة النصى، وبعد الإحصاء الشامل للسور المكية كلها وللأنماط التى تسهم فى تحقيق تماسكها تبعاً لفصول الدراسة ... بعد هذا كله فقد أكدت الدراسة نتائج عديدة منها:

لم تصبح مستويات التحليل اللغوى خمسة فقط؛ الصوتى والصرفى والنحوى والمعجمى والدلالى. بل أكدت الدراسة أن هناك مستوى سادساً هو "المستوى النصى"، ذلك المستوى الذى لم تتوقف اهتماماته عند حد تحليل الجملة بصفتها الوحدة اللغوية الكبرى بل عد النص الوحدة اللغوية الكبرى للتحليل اللغوى.

افتقرت التحليلات اللغوية إلى قواعد ومبادئ ومفاهيم تتيح لها الخروج من نطاق الجملة إلى نطاق أرحب يربط بين جمل النص وفقراته وفصوله وأبوابه. ومن ثم سعت هذه الدراسة إلى وضع هذه الضوابط أو القواعد والمبادئ والمفاهيم التى تتيح لها الخروج من نطاق الجملة إلى نطاق أرحب يربط بين جمل النص وفقراته وفصوله وأبوابه. وهدفت الدراسة أيضاً إلى

وضع هذه الضوابط أوالقواعد فى صور نظرية وتطبيقية حتى يمكن إسقاط أبعادها على النصوص الأخرى.

أضافات الدراسة أيضاً وسيلة أخرى من وسائل تحقيق التماسك النصى لم يذكرها النصيون، وهى "الإجمال والتفصيل"، وتحققت مهمة هذه الوسيلة بصورة جلية فى إطار البحث عن المناسبات بين آى السورة الواحدة واسم السورة وموضوعها، وأول السور وبقيتها، بل بين السورة والسور الأخرى.

أيضاً أضافت الدراسة النعت والتوكيد إلى وسائل التماسك؛ فقد اكتفى علماء النص بالتركيز على العطف والإبدال، غير أن مهمة النعت والتوكيد ثبت أنها لا تقل أهمية عن العطف والإبدال.

التكرار لم يتوقف عند التكرار اللفظى والدلالى فقط، بل وجد فى السور المكية تكرار النمط النحوى، وهو ذو أهمية خاصة فى تحقيق التماسك الشكلى خاصة بين آيات السورة.

وأكدت الدراسة أهمية ترتيب الأحداث المكونة لنص، خاصة للنص القصصى فى التحليل النصى؛ فالائتلاف يكون من حصول الترتيب، على حد تعبير ابن أبى الإصبع المصرى، وبالفعل، فالنتيجة تترتب على المقدمات، والجزاء يترتب على الشرط، والمُسَبَّب يترتب على المَسَبِّب ... وهكذا. لكن إذا اختل هذا الترتيب لغير داع دلالى أو بلاغى، فإن هذا يؤدى بالضرورة إلى نوع من اضطراب الأحداث. واختلافها عن ترتيبها المنطقى، ومن ثم عدم التماسك النصى.

وأضافت الدراسة كذلك نمطاً آخر للتكرار، هو التكرار الدلالى. وذلك، على سبيل المثال، فى القصص المكونة لسورة الكهف، والتعقيبات عليها؛ فقد تكررت فيها كلها دلالة واحدة هى تأكيد نصر الحق والخير على الباطل والشر فى الدنيا والآخرة. وهذا النمط من التكرار أسهم فى الاستمرارية الدلالية بين مكونات السورة كلها.

أكدت الدراسة أن ترتيب سور القرآن الكريم توقيفى، وذلك التأكيد تبعاً لتحقيق التماسك النصى بين آيات السورة الواحدة، وسور القرآن؛ فقد ثبت فى فصل المناسبة وجود روابط ومناسبات دقيقة على مستوى السورة الواحدة وعلى مستوى السور المتعددة، مما يعجز العقل البشرى آنذاك عن هذا الترتيب.

وبناء عليه فقد أضافت الدراسة وسيلة على درجة كبيرة من الأهمية إلى وسائل التحليل النصى تسهم فى تحقيق التماسك النصى، وهى "المناسبة"، فقد أسهمت المناسبة فى تحقيق التماسك بين مكونات السورة، بل بين السور المكية – على وجه الخصوص – وثبت أنها من أهم الوسائل التى تسهم فى تحليل أكثر من فصل مكون للنص الأكبر، وذلك عجزت عنه مرجعية الضمائر والتوابع على سبيل المثال، وحقق التكرار والحذف قدراً منه فقط.

وهذه الوسيلة لم يذكرها النصيون، بل ذكرها قدماؤنا، غير أن ذكرهم لها كان على سبيل ملاحظة المناسبة بين الآيات والسور. والذى أضيف إلى إدراكهم هو مهمة هذه المناسبة فى التحليل النصى المعاصر وتحقيق التماسك النصى.

ونظراً لذكر شذور من الإشارات المتصلة بتحليل النص عند القدماء ، فإن الدراسة أكدت أن الدراسات البلاغية وعلم التفسير وبعض الإشارات فى الدرسات النحوية، لم تكن بمنأى عن المنهج النصى، غير أن هذا لم يكن ليصبح علماً متكامل الأركان، ولم يصلح لتكوين نظرية مستقلة ذات قواعد ووسائل وأهداف، بل كان أغلبها مجرد إشارات قد تطول وقد تقصر.

من أهم المدارس التى أكدت دور المتلقى، المدرسة النصية؛ فهو ذو دور واضح فى التحليل النصى، بل عد المبدع الثانى للنص؛ إذ إنه يضيف أبعاداً جديدة للنص، ومن ثم فهو الذى يحلل النص ويفك شفرته ويحكم على تماسكه من عدمه، بل يحكم على نصيّة النص من عدمها. هذا المتلقى ذو شروط معينة أكدتها الدراسة من خلال العمل النظرى والتطبيقى، من أهمها إدراكه للغة النص، وسياقه.

أثبتت الدراسة أيضاً أن وسائل التحليل النصى المحققة للتماسك لا تقتصر على مرجعية الضمائر، والتوابع، والتكرار، والمناسبة، والحذف، بل أكدت أن النمط الذى يحكم هذه القضية هو (الإسناد)، والصلة بين ركنيه، ومن ثم توصلت الدراسة إلى أن أغلب أبواب النحو العربى تصلح لأن تكون أنماطاً تحليلية نصية، مع مراعاة أن دورها لا يقف عند حدود الجملة، بل إلى أكثر من جملة.

ونظراً لأن المتحدثين – فى أغلب الأحيان – ينتجون نصوصاً ذات فقرات وجمل، فإن الدراسة توصى بوضع قواعد للتحليل النصى تتناسب مع طبيعة النص العربى، ومن خلالها يمكن بناء نص متماسك، ويمكن استغلال وسائل التماسك النصى المختلفة، وكيفية توزيعها.

وذلك ينعكس على الرغبة فى وضع هذه القواعد نصب عين المحلل النصى بصفة خاصة، والطالب بصفة عامة، لأن تحليل الجملة المعزولة عن النص، أو البيت المنفصل عن القصيدة يعد قصوراً فى فهم المحلل.

وقد أكدت الدراسة أيضاً أن التماسك النصى يمثل حجر الأساس فى التحليل النصى المعاصر. ومن ثم لم يكن غريباً أن تهتم الدراسة، فى كثير من مواضعها، على هذه القضية؛ لأن التماسك النصى – فيما نرى – هو التحليل النصى المعاصر، لأنه– أى التماسك– يهتم أيضاً بدور المتلقى، وبالسياق اللغوى والاجتماعى، والتواصل بين المنتج والنص والمتلقى. وهذه تمثل الجوانب الأخرى المساعدة فى التحليل النصى.

المصادر العربية والأجنبية

مصـــادر البحث العربيـــة

د. إبراهيم أنيــــس: *موسيقى الشعر*، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط ٥، ١٩٧٨م.

ابن أبى الإصبع المصرى (ت٦٥٤ هـ): *تحرير التحبير فى صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن*، تقديم وتحقيق د. حفنى محمد شرف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، دار التعاون للطبع والنشر، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

د. أحمد درويــش: *دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث*، مكتبة الزهراء، القاهرة، مصر، د. ت.

د. أحمد عبد العزيز عبدالله: *القول الفصل فى ضمير الفصل*، دار الطباعة المحمدية، مصر، طبعة أولى، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

د. أحمد مجاهــــد: *أشكال التناص الشعرى: دراسة توظيف الشخصيات التراثية*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٩٨م.

د. أحمد مختار عمر: *علم الدلالة*، عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ١٩٨٨م.

د. أحمد مختار عمر: *المصطلح الألسنى العربى وضبط المنهجية*، مجلة عالم الفكر، عدد الألسنية، العدد الثالث، المجلد العشرون، ١٩٨٩م.

الأزهر الزنـــــــاد: *نسيج النص*، المركز الثقافى العربى، بيروت، لبنان، طبعة أولى، ١٩٩٣م.

د. إسماعيل أحمد عمايره، د. عبدالحميد مصطفى السيد: *"معجم الأدوات والضمائر فى القرآن الكريم"* تكملة المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م.

الباقلانى (أبو بكر محمد بن الطيب) (٤٠٣هـ): *إعجاز القرآن*، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف بمصر، ط٣، د. ت.

بدر الدين الزركشى (ت٧٩٤هـ): *البرهان فى علوم القرآن*، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، د. ت.

برتيل مالمبرج: *علم الأصوات*، تعريب ودراسة د. عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، مصر، ١٩٨٦م.

أبو البقاء العكبرى (ت ٦١٦هـ): *شرح ديوان أبى الطيب المتنبى المسمى بالتبيان فى شرح الديوان*، ضبط وتصحيح ووضع فهارس: مصطفى السقا، إبراهيم الإبيارى، عبد الحفيظ شلبى، دار المعرفة، بيروت، د. ت.

أبو البقاء العكبرى ت ٦١٦هـ: *إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات فى جميع القرآن*، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

أبو البركات بن الأنبارى (٥٧٧هـ): *البيان فى غريب إعراب القرآن*، تحقيق د. طه عبد الحميد طه، ومراجعة مصطفى السقا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٠. هـ- ١٩٨٠ م.

برند شبلنر: *علم اللغة والدراسات الأدبية، دراسة الأسلوب، والبلاغة، علم اللغة النصى*، ترجمة د. محمود جاد

الرب، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، طبعة أولى ١٩٩١م.

د. تمـــــام حســـان: *مناهج البحث فى اللغة*، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٦م.

د. تمـــــام حسان: *اللغة العربية معناها ومبناها*، دار الثقافة، للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، د. ت.

توفيق الزبيــــــدى: *أثر اللسانيات فى النقد العربى الحديث من خلال بعض نماذجه*، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ١٩٨٤م.

أبو جعفر النحاس ت٣٣٨هـ: *معانى القرآن الكريم*، تحقيق محمد على الصابونى، جامعة أم القرى، مكة، مركز إحياء التراث الإسلامى، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

د. جميل عبد المجيد: *البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٩٨م.

ابن جنـــــى (ت ٣٩٢هـ): *الخصائص*، تحقيق محمد على النجار، ط٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

جوليا كريسطيفــــا: *علم النص*، ترجمة: فريد الزاهى، مراجعة، عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنشر، المغرب، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٩٧م.

جيزيــــــل فالانسي: *النقد النصى*، ترجمة د. رضوان ظاظا، مراجعة: د. المنصف الشنوفى، مقال بمجلة عالم المعرفة، عنوان العدد: مدخل إلى مناهج النقد الأدبى، تأليف مجموعة من الكتاب، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٢١،

المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب- الكويت، مايو ١٩٩٧م.

د. حســـــن حنفـــى: *قراءة النص*، مجلة البلاغة المقارنة، ألف، ع٨، ١٩٨٨، الهرمينوطيقيا والتأويل، الجامعة الأمريكية، مصر.

أبو الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى (ت ٢٦١هـ): *أسباب النزول ومعه الناسخ والمنسوخ*، مكتبة الدعوة، القاهرة، د. ت.

الـــــرضـــــــــى: ت (٦٨٦هـ): *شرح الكافية فى النحو*، لابن الحاجب ت ٦٤٦هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. ت .

روبرت دى بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة د. تمام حسان، عالم الكتب، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

ستيفـــــن أولـــمـــان: *دور الكلمة فى اللغة*، ترجمة د. كمال بشر، مكتبة الشباب، مصر، ١٩٩٠ م.

د. سعد مصلــــــوح: *فى النص الأدبى: دراسة أسلوبية إحصائية*، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

د. سعد مصلـــــوح :" *نحو أجرومية للنص الشعرى*" دراسة فى قصيدة جاهلية، مجلة فصول، جـ١، م١٠، عدد ١، ٢، يوليو ١٩٩١، أغسطس ١٩٩١م.

د. سعيد بحـــيرى: *علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات*، ط١ ، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

د. سعيد بحـــيرى: *من أشكال الربط فى القرآن الكريم (تضافر العناصر الإشارية والعناصر الإحالية فى تماسك النص)*، مقال من كتاب بعنوان فولفديترش فيشر؛ دراسات عربية وسامية، مهداة من أصدقائه وتلاميذه بالجامعات المصرية، مركز اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٩٤م.

سيبـــويــــــه: *الكتاب*، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، الناشر مكتبة الخانجى، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

السيد على محمد خضر: *ظاهرة التكرار بين النحاة والبلاغيين*، رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب جامعة طنطا، ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧م.

ســــيد قطـــــب: *التصوير الفنى فى القرآن*، دار الشروق، مصر، ط٩، ١٩٨٧م- ١٤٠٧هـ.

ســــيد قطـــــب: *فى ظلال القرآن*، دار الشروق، مصر الطبعة (١٦)، ١٤١٠ هـ- ١٩٩٠ م.

ســيزا قاســم - دراز: *توالد النصوص وإشباع الدلالة: تطبيقاً على تفسير القرآن*، مجلة البلاغة المقارنة، ألف، الهرمينوطيقيا والتأويل، الجامعة الأمريكية، مصر، ع٨، ١٩٨٨ .

الســــــيوطـــــى: *الإتقان فى علوم القرآن*، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، د. ت.

الســــيوطـــــى (ت٩١١هـ): *أسباب النزول*، المكتب الثقافى للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، د. ت.

السيوطي: *تناسق الدرر في تناسب السور*، حُقِّق ونشر بعنوان: *أسرار ترتيب القرآن*، دراسة وتحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، سلسلة نوادر التراث، دار الاعتصام، مصر، ، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م

السيوطي: *معترك الأقران في إعجاز القرآن*، تحقيق علي محمد البجاوي، مكتبة الدراسات القرآنية، دار الفكر العربي، (د. ت).

الصبان: *حاشية الصبان على شرح الأشموني*، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د. ت.

د. صبحي الصالح: *دراسات في فقه اللغة*، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط١٠، ١٩٨٣م.

د. صلاح فضل: *بلاغة الخطاب وعلم النص*، سلسلة عالم المعرفة، عدد ١٦٤، الكويت، أغسطس ١٩٩٢م.

د. صلاح فضل: *ظواهر أسلوبية في شعر شوقي*، فصول، مجلد (١)، عدد ٤، سنة، ١٩٨١م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.

د. صلاح فضل: *علم الأسلوب وصلته بعلم اللغة*، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، عدد الأسلوبية، مجلد (٥)، ١٩٨٤،

ضياء الدين بن الأثير: *المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر*، قدمه وعلق عليه د. أحمد الحوفي، ود. بدوي طبانة، نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة (د. ت)

د. طاهر سليمان حمودة: *ظاهرة الحذف فى الدرس اللغوى*، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، د. ت.

أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيبانى ثعلب (ت ٢٩١هـ): *شرح ديوان زهير بن أبى سلمى*، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ، ١٩٤٤م.

د. عبدالعزيز حمودة: *المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك*، عالم المعرفة، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عدد أبريل ٢٣٢، ١٩٩٨م.

عبد القاهر الجرجانى (٤٧١هـ): *دلائل الإعجاز*، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة القاهرة، القاهرة، ١٩٨٠م - ١٤٠٠هـ.

عبد القاهر الجرجـانى: *كتاب المتقصد فى شرح الإيضاح*، تحقيق كاظم بحر المرجان، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة كتب التراث، ١١٦، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٨٢م.

د. عبده الراجحـــى: *النحو العربى والدرس الحديث*، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٨م.

فخر الدين الرازى ت ٦٠٤هـ: *مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير*، دار الغد العربى، القاهرة، ط١، ١٩٩١م- ١٤١٢هـ .

الفـــــــــراء: (أبو زكريا يحيى بن زياد) ت ٢٠٧. هـ: *معانى القرآن*، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد على النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط٢،١٩٨٠ م.

ف. ر. بالــمـــر: *علم الدلالة إطار* جديد، ترجمة د. صبرى إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، إسكندرية، ١٩٩٢م.

د. **قاسم المـومني:** *علاقة النص بصاحبه*، دراسة فى نقود عبد القاهر الجرجانى الشعرية، عالم الفكر، الكويت، المجلد الخامس والعشرون، العدد الثالث، يناير/ مارس ١٩٩٧م.

ابن قتيبة ٢٧٦هـ: *تأويل مشكل القرآن*، شرح ونشر: السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

القرطبـى (أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى) (ت ٦٧١ هـ): *الجامع لأحكام القرآن*، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٣٣م.

القـيسـى: (أبو محمد مكى بن أبى طالب) ت ٤٣٧هـ: *مشكل إعراب القرآن*، دراسة وتحقيق حاتم صالح الضامن، منشورات سلسلة وزارة الإعلام العراقية، سلسلة كتب التراث، ١٩٧٥م.

ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ): *بدائع الفوائد*، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م

ابن كـثير (ت ٧٧٤هـ): مختصر *تفسيرابن كثير*، تحقيق محمد على الصابونى، دار الصابونى، د. ت.

الكـرمـانى: *البرهان فى توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان*، حقق ونشر بعنوان: *أسرار التكرار فى القرآن*، دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، مصر، الطبعة الثالثة، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨، مصر.

المـــبرد (ت ٢٨٥هـ): *المقتضب*، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٣٩٩هـ.

مجمــع اللغــة العربيـــة: *المعجم الوسيط*، الطبعة الثانية، د. ت .

د. محمد حسنين صبرة: مرجع *الضمير فى القرآن الكريم: مواضعه. وأحكامه. وأثره فى المعنى والأسلوب*، دار البهائى للطباعة، القاهرة، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

د. محمد حماسة عبد اللطيف: *بناء الجملة العربية*، الطبعة الأولى، دار الشروق، مصر، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

د. محـــمد خطابـى: *لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)*، المركز الثقافى العربى، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

د. محمد على الخولى: معجم *علم اللغة النظرى*، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م.

د. محـــمد العـبد: *اللغة والإبداع الأدبى*، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٨٩م.

د. محمد عبد الخالق عضيمة: *دراسات لأسلوب القرآن الكريم*، دار الحديث، القاهرة، د. ت.

د. مصطفى حمـــيدة: *نظام الارتباط والربط فى تركيب الجملة العربية*، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان- مصر، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

مصطفى صادق الرافعى: *إعجاز القرآن والبلاغة النبوية*، ضبطه وصححه وحقق أصوله: محمد سعيد العريان، مطبعة

الاستقامة، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٣٧١هـ-١٩٥٢م.

د. محمود السعران: *علم اللغة مقدمة للقارئ العربى*، دار المعارف بمصر، ١٩٦٢م.

د. محمود فهمى حجازى: *علم اللغة العربية*، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د. ت.

د. محمود فهمى حجازى: *مدخل إلى علم اللغة*، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٩١م.

د. محمود سليمان ياقوت: *فقه اللغة وعلم اللغة: نصوص ودراسات*، دار المعرفة الجامعية، اسكندرية، ١٩٩١م.

ابن منظور (ت ٧١١هـ): *لسان العرب*، تحقيق عبد الله على الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلى، دار المعارف، مصر، د. ت .

منير سلطان: *الفصل والوصل فى القرآن الكريم*، دار المعارف، مصر، ١٩٨٣م.

ابن الناظم (ت ٦٨٦هـ): *شرح ألفية ابن مالك*، تحقيق د. عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، د. ت.

نايف خرما: *أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة*، عالم المعرفة، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، الطبعة الثانية، نوفمبر ١٩٧٩م.

د. نبيلة إبراهيم: *القارئ فى النص (نظرية التأثير والاتصال)*، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، عدد الأسلوبية، مجلد (٥) ، العدد الأول، ١٩٨٤،.

ابن يعيش: شرح *المفصل*، مكتبة المتنبى، القاهرة، د. ت .

ابن هشام (ت ٧٦١هـ): مغنى *اللبيب*، دار إحياء الكتب العلمية، فيصل عيسى البابى الحلبى، د. ت

قائمة المصادر الأجنبية

Beaugronde, Robert De And Wolfgang Pressler (1981) *Introduction To Text Linguistics*. Longman, London

Brown, Gillian And George Yule (1983). *Discourse Analysis.* Cambridge University Press, London.

Burzio, Luigi (1991): "The morphological basis of anaphora", *Journal of Linguistics,* Vol. 27, No. 2, September, 1991, pp. 81-105.

Carden, Guy (1982). "Backwards Anaphora In Discourse Context". *Jornal of Linguistics,* Vol. 18, No. 2 September, pp. 361–387.

Carter, David (1987): *Interpreting Amaphoras in Natural Language Texts*. Ellis Horwood, England.

Chelker, Sylvia and Weiner, Edmund (1996), *The Oxford Dictionary of English Grammar,* BCA, London.

Crystal, David (1986): *A Dictionary Of Linguistics And Phonetics.* Basil Blackwell, Oxford.

Crystal, David (1987): *The Cambridge Encyclopedia Of Language.* Cambridge University Press, Cambridge.

Enkvist, Nils Erik (1987), *Text linguistics for The Applier: An orientation,* London.

Halliday, M.A.K. (1985). *An introduction to functional Grammar,* Edward Arnold Ltd, London.

Halliday, M.A.K., And Ruqaiya Hasan (1976). *Cohesion In English.* Longman, London.

Halliday, M.A.K., And Ruqaiya Hasan (1989). *Language, Context, And Text: Aspects of Language In A Social – Semiotic Perspective. Oxford* University Press, Oxford.

Jack, Richards, Platt John And Weber Heidi (1987). *Longman Dictionary Of Applied Linguistics.* Longman, London.

Kress, Gunther (1989). *Linguistic processes in sociscultural practice,* Oxford University Press.

Lasnik, Howard (1989). *Essays On Anaphora.* Kluwer Academic Publishers, Dordrecht, Boston.

Levinson C. Stephen (1987). "Pragmatics and The Grammar of Anaphora: A portial pragmatic reduction of Binding and Cultural phenomena", *Journal of Linguistics,* Vol. 23, No. 2, September 1987.

McCarthy, Michael (1983). *Discours analysis for Language Teachers*, Cambridge University press, Great Britain.

Parsons, Terence (1994). "Anaphoric Pronouns In Very Late Medieval Supposition Theory". *Linguistics And Philosophy,* Vol. 17, No. 5, October 1994, pp. 429 – 445.

Schiffrim, Deborah (1988). *Discourse markers,* Cambridge University Press, Cambridge, New York.

Siewierska, Anna (1991). *Functional Grammar,* Routhledge, London.

Stubbes, Micheal (1983): *Discourse Analysis :The sociolinguistics Analysis of Natural Language,* Basial Black well oxford.

Van De Velde, Roger (1992). *Text And Thinking: On Some Roles Of Thinking In Text Interpretation.* Walter de Gruyter. Berlin.